

الخطيب المنبرية

في المناسبات العصرية

تأليف

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

إمام وخطيب جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز

الجزء الرابع

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
الرياض

حقوق الطبع محفوظة للنّاشِر

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

هاتف: ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥٠

فاكس ٤١١٢٩٣٢ - بَرَقِيَا دَفْتَر

ص.ب.: ٣٢٨١ الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١

سجل تجاري ٦٣١٣ الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
نبينا محمد وآله وصحبه ، وبعد :

فهذا هو الجزء الرابع من الخطب المنبرية في
المناسبات العصرية ، ألحقه بالأجزاء السابقة في طبعته
الأولى ، سائلاً الله أن ينفع به وبما سبقه ، وأن يعفو عما
كان فيه من خطأ ، ويشيبي على ما كان فيه من صوابٍ
ونفعٍ ، إنه سميع مجيب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

في التذكير بنعمة الإسلام والتحذير من المبادئ الهدامة

الحمد لله الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يعلم ما كان وما يكون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من السبل، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وعلم به من الجهالة، ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بدعوته من بعده، ونشروا دينه في مشارق الأرض ومغاربها، وقادوا البشرية إلى سعادتها فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً . ووفقنا للاقتداء بهم والسير على طريقهم . . . أما بعد

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واشكروه على نعمة التي أجلها نعمة الإسلام،

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣] وقال تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلْ أَتَيْكُمْ أَنْبَاءُ مِنْ رَبِّكُمْ هُمْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۚ ﴾ [الحج : ٧٨] .

فالله سبحانه قد منَّ على هذه الأمة بهذا الدين العظيم الذي فضَّلها به على سائر الأمم، فيجبُ عليها من الشكر أكثر مما يجبُ على غيرها، وقد جعلها الله في منصبِ المسؤولية فقال : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وأمرها بالقيام بشكر هذه النعمة بأداء حقِّ الله بفعل ما أوجب وترك ما حرم، ومن أهمَّ ما أوجب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لأنَّ الصلاة عمود الإسلام وهي تنهى

عن الفحشاء والآثام، ومن أقامها فقد أقام دينه، ومن ضيعها فقد ضيع دينه، وفي أداء الزكاة إحساناً إلى الخلق وبراءة من الشح والبخل. ومن جاد بالزكاة جاد بغيرها من الصدقات، ثم أمر سبحانه بالاعتصام به، أي: التوكل عليه والاستعانة به في طلب الحوائج، وجلب المنافع، ودفع المكاره والمضار، والنصر على الأعداء والحاسدين، وهذا هو التوحيد الخالص، والدين القويم، والعقيدة السليمة، فدين الإسلام يشتمل على العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والأوامر الرشيدة، والأخلاق القويمة، وينهى عن كل اعتقاد فاسد، وكل عبادة باطلة، وكل فعل أثيم وخُلقي ذميم، ولهذا شهد الله له بالكمال فقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فهو كامل في اعتقاداته، كامل في تشريعاته، كامل في أوامره ومنهياته، كامل في آدابه وأخلاقه.

وإذا أردت أيها المسلم معرفة نعمة الله عليك بهذا الإسلام فانظر ما عليه أمم الكفر اليوم وما تعيشه من تخبط في العقائد، وفساد في الأخلاق، وضياح للأعراض وهمجية في النظم والقوانين، واختلال في الأمن، واضطراب في السياسة ما بين شيوعية مستبدة تحكّم شعوبها بالحديد والنار، ويهودية حاكمة على البشرية تخطط لهلاكها، ونصرانية ضالة متحيرة، ووثنية تعبد الأشجار والأحجار والقبور والحيوانات وكل ما تزين شياطين الإنس والجن لها عبادته من دون الله، وهكذا كل من حرم النور فإنه يتخبط في الظلام، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الظُّلُمَاتِ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

عباد الله: لقد حسدونا على نعمة الإسلام كما قال تعالى:

﴿وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، [البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَدُوَّالُو

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴿٢٠﴾ [النساء : ٨٩] وقال تعالى : ﴿وَوَدُّوا أَنْ تُدْرِكَهُمُ النَّارُ﴾ [الممتحنة : ٢].

وقد ذكر الله ذلك لنا وكرّره في كتابه ، لئلاَّ نأخذ جذرنا من كَيْدِهِمْ ودسائسهم . فهم يكيدون لهذا الدين وأهله منذ أنزل الله على رسوله ﷺ إلى آخر الدنيا . كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ . [التوبة : ٣٢]

وليس الخطر على الإسلام نفسه لأنّه محفوظ بحفظ الله له كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِظُونَ﴾ ، [الحجر : ٩]

ومصدق ذلك أنّ الإسلام قد تعرّض وما زال يتعرّض للهجمات الشرسة من مختلف أُمم الكفر ، ولم تُؤثّر فيه تلك الهجمات ولم تغيّره منه شيئاً ، فهو لا يزال غَضاً طرياً كما أنزل على محمد ﷺ ، ولا يزال الله يُقَيِّضُ لهذا الدين مَنْ يدافع عنه ويردُّ كَيْدَ أعدائه ويُبَيِّنُهُ للناس ، كما قال النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين لا يضرُّهم مَنْ خَدَلَهُمْ ولا مَنْ خَالَفَهُمْ حتى يأتي أمرُ الله تعالى وهم على ذلك » . وكما أخبر ﷺ « أنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس قرنٍ من يجدد لها دينها » .

فالإسلام بعقيدته وتشريعاته وأحكامه ليس عليه خطرٌ من كيد أعدائه ، وإنما الخطر علينا نحن المسلمين أن نصُدَّ عنه أو نُضَلَّلَ ، فأعداؤنا اليوم يُواصلون الصّدَّ عن سبيل الله وصرف المسلمين عن دينهم بشتّى الوسائل والمُغريات ، ويستخدمون لذلك بعضاً من منسوبي العالم الإسلامي ممن جاء وصفهم في الحديث بأنهم « قومٌ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

ففي مجال العقيدة يحاولون إفساد عقائد المسلمين بالعمل على إبراز الفرق المنحرفة من قبورية وصوفية ومبتدعة ، فيؤيدون هذه الفرق بشتّى الوسائل ، حتى

تبرز في الساحة، ويكون لها كيانٌ قويٌّ ليقضوا بها على العقيدة الصحيحة، ويجعلوا هذه الفرقَ المنحرفة هي التي تُمثِّلُ المسلمين.

وفي مجال العبادة يحاولون نشر البدع والخرافات، ويؤيدون أهلها بالدعم المالي والمعنوي،

وفي مجال الحكم يجلبون القوانين الوضعية للحكم بها بين الناس بديلاً عن الشريعة الإسلامية، حتى أدخلوا دراسة هذه القوانين ضمن المواد التي تُدرَّس في جامعات البلاد الإسلامية إلا مَنْ رَحِمَ الله، فجعلوها عديلةً للشريعة في المؤسسات الدراسية حتى سمَّوا بعض الكليات «كلية الشريعة والقانون».

وفي مجال إفساد الأخلاق دسَّوا على المسلمين العُربي والسُّفُور والاختلاط بينَ الجنسين والأفلام الهابطة والمسرحيات الهزيلة والأغاني والمجون والصُّور الخليعة والموسيقى والمزامير، وجعلوها باسم الفن، أو التراث الشعبي، أو التقدم والحضارة.

وفي مجال شغل المسلمين عن العمل المفيد وإعداد القوة للجهاد ونشر الدين وحماية الوطن شَغَلُوا شباب المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية بالنوادي الرياضية وأنواع الألعاب البدنية والذهنية التي شَغَلَتْ وقتهم واستنزفت طاقاتهم. ففي البلد الواحد فِرَقٌ وأحزاب، ولكلِّ فريقٍ مشجعون تحدثُ بينهم عداوات ومشاحنات، والنتيجة لا شيء ولا فائدة تعودُ عليهم ولا على مجتمعاتهم.

وفي مجال الاقتصاد أدخلوا على المسلمين المعاملات الربوية، والموارد المحرمة كالاتجار بالخمر، والقمار وغير ذلك.

أيُّها المسلمون : إِنَّ عَدُوَّكُمْ لا يريدُ لكم الخيرَ، وإنما يريدُ لكم الشرَّ. كما قال تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٥] وقال تعالى ﴿ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حِبَالٌ وُدٍّ وَأَمَّا غِنْمُ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخَفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨].

فلماذا تحسنون الظنَّ بهم وتَغْفُلون عن كيدهم ومكرهم بكم من قديم الزمان، إنهم لما عَجَزُوا عن القضاء على دعوة الرسول ﷺ في مكة حين حاولوا قتله، واجتمعوا عند بابه ينتظرون خروجه ليقتلوه، فأخرجَه الله من بينهم وهم لا يشعرون، وأنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠]

ولما علموا بخروجه من بينهم وفشل خطتهم خرجوا في طلب البحث عنه، فردَّ الله كيدهم في نحورهم، وهاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فعملوا كل ما بوسعهم للقضاء عليه وعلى دعوته، وجيشوا الجيوش لمحاربتة، فنصره الله عليهم، ولما رأوا أنَّ مقابلته بقوة السلاح والجنود لا تُجدي لجأ بعضهم إلى حيلة خبيثة، وهي حيلة النفاق، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ أَكْفَرُوا فَأَجْرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران : ٧٢]

وذلك بأنَّ يدخلوا في دينه ظاهراً ويكيدوا له في الباطن، ويوقعوا بين أصحابه، فتكونت جماعة المنافقين من اليهود والمشركين، فكشف الله سرهم وهتك سترهم، وعُرفت صفاتهم ودسائسهم، فكان المسلمون منهم على حذرٍ، وما زال الكفار يكيدون للمسلمين ولن يزالوا كذلك.

وفي عصرنا هذا استحدثوا طرقاً جديدة للمكر بنا وغزونا عن طريق الحضارة، وما تركوا باباً من أبوابها إلا دخلوا فيه، دخلوا من طريق وسائل الإعلام، ودخلوا من طريق التعليم، ودخلوا من طريق الطب، ودخلوا من طريق السياسة والحكم، ودخلوا من طريق الاقتصاد، وهكذا وقفوا في كل طريق ينفثون سموهم ويُنفذون مخططاتهم للقضاء على الإسلام وأهله. ولكن الحمد لله لا يزال في المسلمين من يتنبه لدسائسهم، ويحذر من كيدهم، ولورجعنا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لوجدنا فيهما البيان الكافي لمكائد أعدائنا، ولوجدنا الدواء الشافي، والسلاح الكافي لصدد عدوانهم.

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
لِنَصِيرَةٍ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿[آل عمران : ١٤٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .

من الخطبة الثانية : في التحذير من مخططات أعداء الاسلام

الحمد لله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف ربه ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى حق تقاته ، وسارعوا إلى مغفرته ورحمته
ومرضاته ، عباد الله : كثير من الناس اليوم يتنسب إلى الإسلام وهو لا يعرف ما هو
الإسلام . ولا يعرف ما يضاد الإسلام ويناقضه ، بعضهم يدعي أنه مسلم وهو يعبد
غير الله ، فيستغيث بالأموات ويطوف بالقبور ويدعو غير الله . وبعضهم يدعي أنه
مسلم وهو لا يصلي الصلوات الخمس ، ولا يركي ولا يصوم ولا يحج ، وبعضهم
يدعي أنه مسلم وهو ينفذ مخططات الكفار التي تناقض الإسلام . . .

فالواجب على كل مسلم أن يعرف ما هو الإسلام أولاً حتى يقوم بأداء
شرائعه . ثم يعرف ما هي مناقضات الإسلام حتى يتجنبها ويقوم بردها ومقاومتها
 والتحذير منها ، ولما سئل النبي ﷺ عن الإسلام قال : «الإسلام أن تشهد أن لا إله
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،

وَتَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، فقد بَيَّنَ ﷺ في هذا الحديث أَنَّ الإسلامَ قولٌ وعملٌ واعتقاد، وأنه ليس مجرد انتسابٍ بأن يقول الإنسان : أنا مسلم، وهو لا يعرف معنى الإسلام ولا يلتزم بأحكامه، ثم إنَّ الذي يعرف معنى الإسلام ولا يعرف نواقضه قد يتقبَّل مخططات الكفار ويُنفِذُها وهو لا يدري عن خطورتها وضررها على دينه، فالواجبُ على كُلِّ مسلم الاهتمامُ بهذا الأمر، والحدُّ من هذه التيارات الكُفُرية المعاصرة التي غَزَتِ المسلمين في بلدانهم وبيوتهم، وأنَّ يحذرها المسلمون على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى مجتمعهم، ويقوموا بمقاومتها ومدافعتها، قال الله تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ . [التوبة : ٧٣]

والجهادُ يكونُ باليدِ واللسانِ والحجة والبيان، ويكونُ الجهادُ جهاداً للنفس والشیطان والعصاة والفسقة والكفار والمنافقين، فالمسلمُ في جهادٍ دائم . فتنبَّهوا لذلك - رحمكم الله - واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم في الأخوة الإيمانية وثمراتها

الحمدُ لله رب العالمين، جعلَ المؤمنين أخوةً في الدين متحابين، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةَ الحقِّ واليقين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين وسلَّم تسليماً كثيراً . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ الأخوةَ في الدين تَعْلُو الأخوةَ في النسب، فالله أمرَ بالمؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين، ولو اختلفت أنسابُهم وتباعدت أوطانُهم، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠]

وأمر بمعاداة الكافرين ولو تقاربت أنسابهم ، فقال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَؤُلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة : ٢٣] .

ولهذه الأخوة بين المسلمين والمؤمنين حقوق عظيمة وثمرات كريمة قد بينها الله ورسوله في الكتاب والسنة ، تجب مراعاتها والقيام بها ، ولا يجوز إهمالها والتهاون بها .

ومن هذه الحقوق والثمرات وجوب الإصلاح بين المسلمين عندما يحصل بينهم اختلاف ونزاع ، أو تظهر بينهم عداوة وقطيعة ، قال تعالى . ﴿وَلَن طَافَيْنَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَتَلَوَا فَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقِيلُوا لَآلِئِى تَبَغَىٰ حَتَّى تَفَىٰ ءِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩١] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ٩ - ١٠] .

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين تعظيم بعضهم لحرمات بعض ، وعدم تنقص بعضهم لبعض ، قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَقَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُن خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات ١١٠] ينهى سبحانه المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن سُخرية بعضهم من بعض رجالاً ونساءً ، فربما يكون المسخور منه خيراً من الساخر في الدنيا والآخرة ، والسُخرية لا تصدُر إلا من ناقص . ونهى سبحانه عن اللَّمَزِ ، وهو الطعن في حق المسلم . وعن التناؤز باللقاب ، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمِّي به ، واللقب ما يسوء الشخص سماعه .

قال بعضُ المفسرين : ومنه قول : يافاسق ، يا كلب ، يا حمار ، . . . وقد سَمَّى الله السُخرية واللمز ، والتناؤز باللقاب فُسوقاً مما يدلُّ على قُبْح ذلك وشناعته ووجوب الابتعاد عنه .

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين : تجنبُ إساءةِ الظنِّ فيما بينهم ، والتجسُّسِ من بعضهم على بعض ، واغتيالِ بعضهم لبعض ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] . وذلك بأنَّ يَظُنُّ بأهلِ الخيرِ شرًّا . ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات : ١٢] والتجسُّسُ هو البحث عن عُيوبِ الناسِ . انتهى الله عن البحث عن المستورِ من عيوبِ الناسِ وتتبع عوراتهم . ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وفسرَ النبي ﷺ الغيبةَ بأنها ذكرُك أخاك بما يكره . . والغيبةُ محرمةٌ بالإجماع تحريماً شديداً . وقد شبهها الله بأكلِ اللحمِ من الإنسان الميت ، فقال سبحانه : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] أي : كما تكرهون هذا طبعاً فاكروهوا ذاك شرعاً ، فإنَّ عقوبته أشدُّ من هذا .

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية : التعاونُ بينَ المسلمين على البرِّ والتقوى ، والتعاونُ على تحصيلِ مصالحهم ودفعِ المضار عنهم . قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢]

وقال النبي ﷺ : «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» . فالمسلم يفرحُ لفرحِ أخيه المسلم ويسره ما يسره ، ويتألمُ لألمِ أخيه . . .

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية : التناصُّحُ بينَ المسلمين والتأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال النبي ﷺ : «الدينُ النصيحة» ثلاثُ مرات . قيلَ : لِمَنْ يا رسول الله؟ قال : «لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمةِ المسلمين ، وعامتهم» . .

ومن حقوق الأخوة الإسلامية والإيمانية : أَنْ يُحِبَّ الْمُؤْمِنُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . كما قال ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » . .
والمراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فَإِنَّ بَعْضَ النَفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ قَدْ تُحِبُّ الشَّرَّ .

فالواجبُ على المؤمن أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ كَانَ حَسُوداً، وَالْحَسَدُ مَذْمُومٌ .

ومن حقوق الأخوة في الإيمان والإسلام : عَدَمُ الْغِشِّ وَالْخَدِيعَةِ لِلْمُسْلِمِينَ قال ﷺ : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » وَمِنْ ذَلِكَ الْغِشُّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .

فإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ الْيَوْمِ اتَّخَذُوا الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ وَسِيلَةً لِاحْتِيَالِ يَحْتَالُونَ بِهِمَا لِلْاِسْتِيلَاءِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْكَذِبِ وَالْخِدَاعِ وَالْغِشِّ .

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَ الْبَيْعَانِ وَبَيَّنَّا بُورِكَ لِهَُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا فَعَسَى أَنْ يَرْبَحَا رِبْحاً وَيَمْحَقَا بَرَكَةً بَيْعِهِمَا ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مُنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعه عن أبيه عن جده رضي الله عنهما : أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَصْلَى ، فَرَأَى النَّاسَ يَتْبَاعُونَ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ فَاسْتَجَابُوا لِلرَّسُولِ ﷺ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ . فَقَالَ : « إِنَّ التَّجَارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَاراً إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَّقَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قال : فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقلت : خَابُوا وَخَسِرُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ هُمْ ؟ قال : « الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » رواه مسلم وغيره .

ومن حقوق المسلمين والمؤمنين بعضهم على بعض : احترام حقوقهم التي سَبَقُوا إليها، فلا يَبِيعُ بعضهم على بيعِ بعضٍ بأن يقولَ لِمَنْ اشترى سلعةً بثمن : أنا أعطيك مثلها أو أحسنَ منها بأقلَّ من ذلك الثمن . ولا يَسُمُّ بعضهم على سَوِّمٍ بعض ، وذلك إذا سَامَ سلعةً وأرادَ صاحبُها أن يَبِيعَ عليه جاء آخر وقال له : لا تبِعْ ، أنا أزيدُ في السَوِّمِ .

ولا يخطُبُ على خطبة أخيه ، وذلك إذا خطَبَ امرأة رَضِيتَ به جاء آخرُ يخطُبُها ، فقد نهى النبي ﷺ عن هذه الأشياء كلها فقال : « لا يَبِيعُ الرجلُ على بيعِ أخيه ، ولا يخطُبُ على خطبته » . وفي رواية « لا يَسُمُّ على سَوِّمِهِ » . . .

ومما نهى عنه الرسول ﷺ : التناجُشُ بين المسلمين ، وهو أن يَزيدَ في السلعة المعروضة للبيع مَنْ لا يُريدُ شراءها ، وإنما يُريدُ رفعَ قيمتها على المشتري ، قال ﷺ : « لا تحاسدُوا ولا تناجشُوا ، ولا تباغضُوا ولا تدابرُوا ، ولا يَبِيعُ بعضُكم على بيعِ بعض » .

والتدابُرُ : أَنْ يُعْرِضَ عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدُّبُر . . .

ومن حقوق المسلمين بعضهم على بعض : التزاوُرُ فيما بينهم ، وإفشاء السلام ، وقضاء حوائجهم ، والرفقُ بضُعفائهم ، وتوقيرُ كبارهم ورحمةُ صغارهم وعبادةُ مَرْضاهم واتباعُ جنازتهم ، قال ﷺ : « حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خمسٌ : عيادةُ المريض ، واتباعُ الجنائز ، وإجابةُ الدعوة ، وتشميتُ العاطس » متفق عليه .

ومن حقوق المسلمين : دعاء بعضهم لبعض . قال تعالى لَمَّا ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

فالمؤمنون أخوة في جميع الأزمان من أول الخليقة إلى آخرها، وفي جميع أقطار الأرض وإن تباعدت ديارهم يدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض، ويحب بعضهم بعضاً، ويعين بعضهم بعضاً على البر والتقوى، وينصح بعضهم لبعض، ويصدقون في تعاملهم فيما بينهم، ويحترمون بعضهم حقوق بعض، لأن الله ربط بينهم برابطة الإيمان التي هي أقوى من رابطة النسب والوطن واللغة..

فاتقوا الله - عباد الله - وراعوا حقوق هذه الأخوة، ولا تضيعوها فتكونوا من الخاسرين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

من الخطبة الثانية : في الأخوة الإيمانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهدُ أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى واعلموا أن من الناس من يدعي الإيمان مكرراً وخداعاً لأذية المؤمنين وهو في باطن الأمر مع الكافرين قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَيَا لَيْتَ هُوَ يَوْمَ الْآخِرَةِ مِمَّا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ [البقرة : ٨ - ١٥] .

همُّهم تتبّع عورات المسلمين ومحاولة تفريق كلمتهم ، وفيهم قال رسول الله ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين . ولا تتبّعوا عوراتهم . فإنه من يتبّع عوراتهم يتبّع الله عورته ومن يتبّع الله عورته يفضّحه في بيته » رواه أبو داود .

ومن الناس من يكون مؤمناً ضعيف الإيمان ، فيتصف ببعض صفات المنافقين ، فيكذب في الحديث ويخون في الأمانة ، ويفجر في الخصومة ، وفي مثل هؤلاء قال النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذّب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وفي رواية : « وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

فاتقوا الله - عباد الله - وكونوا مؤمنين حقاً كما أمركم الله بذلك . . واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في البراءة من الكفار

الحمد لله ربَّ العالمين ، أَمَرَ بموالاةِ المؤمنين وعداوةِ الكافرين ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوثُ رحمةً للعالمين ، وقد أمره الله بجهادِ الكفار والمنافقين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . . . أما بعدُ :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى وتذكروا أنه سبحانه وتعالى قد نهاكم عن موالاةِ عدوِّه وعدوكم فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وأخبر سبحانه أنَّ من تولاهم فإنَّه منهم وأنَّه ليسَ مِن الله في شيء ، وموالاتهم معناها محبتهم في القلوب ، أو استحسانُ ما هم عليه من الكفرِ أو مدحهم والثناء عليهم ، أو مناصرتهم ومعاونتهم ، أو الفرحُ بانتصارهم على المسلمين ، وما أشبه ذلك من كل ما فيه تعظيمهم واحترامهم ، . . .

وقد خَفِيَ هذا الأمرُ على كثيرٍ من المسلمين لقلةِ التحدث عنه وبيانه ، أو للتساهلِ فيه ، أو لضعفِ الإيمان ، أو لكثرةِ اختلاط المسلمين بالكفار بسببِ قُدومهم إلى بلادِ المسلمين ، أو سفرِ بعضِ المسلمين إلى بلادهم ، أو غير ذلك من الأسباب ، وهذا أمرٌ خطيرٌ وشرٌّ كبيرٌ ، ينتج عنه فسادُ العقيدة ، وعدمُ التمييز بين المؤمنين والكافرين والبرِّ والفاجر ، وانتشارُ الشر ، وقلةُ الخير .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

وقد نفى الله الإيمان عمن تولّى الكافر ولو كان أقرب قريب إليه ، فقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

عباد الله : أنه يجب على كل مسلم يدينُ بدين الإسلام ويعتقدُ عقيدة التوحيد أن يوالي أهل هذا الدين أصحاب هذه العقيدة ، ويعادي أعداءها ، فيجب أهل الإخلاص والتوحيد ويواليهم ، ويُبغض أهل الشرك والنفاق ويعاديهم . . وهذه ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها . قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

ومحبة الكفار وإن كانت عملاً قليلاً خفياً إلا أنها يُعبرُ عنها اللسان وأعمال الجوارح . ولها علامات ومظاهر تُعرفُ بها ، فمن مظاهر موالاة الكفار : التشبهُ بهم فيما هو من خصائصهم من العادات والسُّمَمِ والأخلاق ، كحليّ اللحى وإطالة الشوارب ، واستعمال لغتهم في التخاطب والكتابة من غير حاجة ، والتشبهُ بهم في الزي واللباس ، وفي كيفية الأكل والشرب . فإن التشبه يدل على محبة المتشبه به . ولهذا قال ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » لأن التشبه بهم في الظاهر يدل على محبتهم في الباطن . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] .

ومن مظاهر موالاة الكفار : الإقامة في بلادهم ، والتجنسُ بجنسيتهم ، وترك الهجرة من بلادهم إلى بلاد المسلمين مع القدرة عليها . فقد حَرَّمَ الله الإقامة في بلاد الكفار مع القدرة على الهجرة منها إلى بلاد المسلمين وتوَعَّدَ عليها بأشد الوعيد . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَاُولَئِكَ مَاوَدَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا
الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَاُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٨﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٨].

فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون
الهجرة، وكذلك يعذر من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله تعالى ونشر
الإسلام في بلادهم.

ومن مظاهر موالاة الكفار : السفر إلى بلادهم لغرض النزعة ومتعة النفس،
لأن السفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة كالسفر لأجل العلاج، أو لأجل
التجارة، أو لأجل تعلم التخصصات التي يحتاج المسلمون إليها - فيجوز السفر
إلى بلاد الكفار لتحقيق هذه الأغراض بقدر الحاجة، وبشرط أن يكون المسلم
مظهرًا لدينه معتزًا بإسلامه مبتعدًا عن مواطن الشر، حذرًا من دسائس الأعداء
ومكائدهم. وكذلك يجوز السفر إلى بلاد الكفار إذا كان لأجل الدعوة إلى الله
ونشر الإسلام.

ومن مظاهر موالاة الكفار : إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم
والثناء عليهم، وهذا من نواقض الدين والردّة عن الإسلام. نعوذ بالله من ذلك.

ومن مظاهر موالاة الكفار : الثقة بهم وتوليّتهم المناصب التي فيها أسرار
المسلمين، أو اتخاذهم بطانة ومستشارين. قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَنَخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]. أي : من غيركم. ﴿لَا يَأْلُوَنَكُمْ

خَبَالًا وَذُؤَامًا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ
الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ
قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلِيَكُمْ أَلَا تَأْمَلُ مِنَ الْغِيْطِ قُلْ مُؤْتُوا بِغِيْطِكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
إِنْ تَسْأَلُهُمْ حَسَنَةً سَأُوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

فقد بين الله في هذه الآيات دخائل الكفار وما يكونونه نحو المسلمين من بغض وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يجربونه من مضرة المسلمين وإلحاق الأذى بهم، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين وغررتهم للتخطيط ضدهم، وهذا واقع اليوم ومشاهد من مكر الدول الكافرة بالمسلمين وعمل المخططات الإجرامية ضدهم.

ومن مظاهر موالاة الكفار : التأريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم، كالتاريخ الميلادي الذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوا الاحتفال به سنوياً. فاستعمال هذا التاريخ فيه تشبه بهم ومشاركة لهم في إحياء شعارهم وعيدهم، ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم عمل تاريخ للمسلمين يؤرخون به أعمالهم ويعرفون به آجال معاملاتهم عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ، وهذا مما يدل على وجوب مخالفة الكفار.

ومن مظاهر موالاة الكفار : تهنئتهم بمناسبة أعيادهم، وتعطيل الأعمال الرسمية في أيامها، أو حضور احتفالاتهم. وقد قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: لا يحضرون أعياد الكفار.

ومن مظاهر موالاة الكفار : مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومعاملاتهم، حتى قال بعض الجهال لما ذهب إليهم: وجدت مسلمين بلا إسلام، قال هذا دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد وخلاعتهم وانحلالهم الخلقي. وأما ما عندهم من القوة المادية والتقنية الصناعية فالواجب على المسلمين أن يسبقوهم إليها. لأنهم أولى بذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

خَالِصَةُ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿ [الأعراف : ٣٢]

فهذه الأسرار والمنافع الكونية خَلَقَهَا الله للمؤمنين، ويشاركهم فيها الكفار في هذه الحياة الدنيا. وفي الآخرة تَخْلُصُ للمؤمنين لا يشاركهم فيها أحدٌ غيرهم. ومن مظاهر موالاة الكفار : التسمي بأسمائهم كما يحصل من بعض المسلمين أنهم يُسَمُّونَ أولادهم بأسماءٍ أجنبية مستوردة من أسماء الكُفَّار، ويتركون أسماء آبائهم وأجدادهم والأسماء المستعملة في مجتمعهم. وقد قال النبي ﷺ : «خيرُ الأسماء عبدُ الله وعبدُ الرحمن». وبسبب تغيير الأسماء فقد وُجِدَ جيلٌ يحملُ أسماء غريبة : مما قد يُسَبِّبُ انفصلاً بين هذا الجيل والأجيال السابقة للمسلمين.

ومن مظاهر موالاة الكفار : بداءتهم بالسلام، وقد نهانا الرسول ﷺ عن ذلك، فقال : «إذا لقيتم المشركين في الطريق فلا تبدؤوهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقيها» رواه البخاري في «الأدب المفرد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقيها» رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم» رواه البخاري ومسلم.

ومن مظاهر موالاة الكفار : مخاطبتهم بالفاظ الاحترام والتبجيل، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال : «لا تقولوا للمنافق يا سيد. فإنه إن يك سيِّداً فقد أسخطم ربكم عز وجل» رواه البخاري في «الأدب المفرد».

ومن مظاهر موالاة الكفار : تشييع جنازتهم، وتولي دفنهم^(١)، وإلقاء الزهور على قبورهم أو دفنهم في مقابر المسلمين - وقد قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(١) إذا وجد من يدفنهم من الكفار وإلا فإن المسلم يوارى جثة الكافر في غير مقابر المسلمين لعدم من يواريه من الكفار.

نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٣﴾ [الممتحنة : ١٣]

وهذا يشمل حمل جنازة الكافر وتشيعه أو تكفينه أو الصلاة عليه . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ [التوبة : ٨٤]

ومن مظاهر موالاة الكفار : الترحُّم على أمواتهم والاستغفار لهم ، وقد نهى الله عن ذلك ، فقال : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا مَاتَ بَيْنَ كَلِمَةٍ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣]

ومن مظاهر موالاة الكفار : ما ابتلي به كثير من المسلمين اليوم من استقدامهم إلى بلاد المسلمين وبلاد الحرمين ، بصفة عمالٍ وسائقين ومستخدمين ، وإدخالهم في بيوت المسلمين وبين عوائلهم وتسكينهم بجوار المساجد ، حتى يتكون منهم مظهرٌ سيئٌ حين تُقام الصلاة وهم يتجمعون في الشوارع ، فيراهم الكسالى من المسلمين وشبابهم فيقتدون بهم ولا يحضرون الصلاة . مع ما يُخشى من أنهم يأتون دُعاةً إلى كفرهم وعقائدهم ويحاولون تغيير عقائد أولاد المسلمين . إلى غير ذلك من المحاذير الشديدة .

فيا مَنْ تستقدمون العمال ، ويا أصحاب مكاتب الاستقدام اتقوا الله تعالى ، لا تجلبوا على المسلمين وبلاد المسلمين شرًّا تتحملون إثمهُ وتأكلون في مقابله أموالاً حراماً ، وإذا اضطررتم إلى الاستقدام فاستقدموا من المسلمين الصالحين . وهم كثيرٌ والحمد لله وفيهم الكفاية ، ولكن الأمر يحتاج إلى اهتمام ومراقبة لله سبحانه وتعالى .

فاتقوا الله في أنفسكم ، وفي إخوانكم المسلمين ، وفي بلاد المسلمين ، واعلموا أنه كما تجبُ معادة الكافر الأصلي ، فكذلك تجبُ معادة الكافر المرتد عن دين الإسلام ، ولو كان أقرب قريب . قال تعالى : ﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

أَوْعِشِيرَتَهُمْ ﴿ [المجادلة : ٢٢)

ومن أشدَّ المحادين لله ورسوله الذي يترك الصلاة متعمداً . وقد كثر هذا النوع في بلاد المسلمين ولم نَرِ مَنْ يُعاديهم ويقاطعهم ، بل نرى الكثير منهم يعيشون في بيوت المسلمين وفي بلاد المسلمين مُعَزَّزين مكرمين ، مع أنَّ الواجب استتابتهم فإن تابوا وإلا قُتلوا مرتدين ، وإن بقوا على قيد الحياة فإنه يجب طردهم وإبعادهم ، ولا تجوز مساكنتهم في البيوت ، ولا تزويجهم من نساء المسلمين ، ولا معاشرتهم ومخالطتهم ، لأنهم محادون لله ورسوله وأعداء لله ورسوله . فأين الحبُّ في الله والبغض في الله ؟

يا عباد الله ، أين الغيرةُ لله ؟ أين العملُ بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فاتَّقوا الله في هذا الأمر ، ولا تساهلوا فيه ، فإنه خطير .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءُ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١]

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

من الخطبة الثانية في معاداة الكفار

الحمد لله الذي جعلَ لنا من أمرنا رَشْداً. ونهانا أن نَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله أرسله بدين الحق والهدى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً ومستمراً أبداً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن عداوتنا للكفار ووجوبَ بُغْضِنا لهم وما يتبع ذلك من الامتناع من مظاهر موالاتهم التي سبق بيانها، فإننا مع ذلك لا يجوزُ لنا أن نَظْلِمَهم أو نُجَوِّرَ عليهم في الحكم، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [المائدة : ٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٤٢]

وكذلك عداوتنا لهم لا تمنعنا من عقد المعاهدات معهم والاتفاقيات التي هي في صالح المسلمين، ولا من التعامل التجاري معهم واستيراد ما يحتاجه المسلمون من منتجاتهم، ولا البيع والشراء معهم ومشاركتهم في حدود ما تبيحه الشريعة الإسلامية، لأنَّ النبي ﷺ كان يستدين من اليهود، وكذلك لا يمنع بُغْضُنا لهم من مكافأة مَنْ أَحْسَنَ منهم إلينا، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] وهذا من باب المكافأة والعدل ، لا من باب المحبة والموالة لهم .

ومن ذلك إحسان الولد المسلم إلى والديه الكافرين قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ الْفِطْرِ عَامِنٌ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٤]

كما أنه يجب علينا مع بُغض الكفار وعدم موالاتهم أن ندعوهم إلى الله وننصّحهم بالدخول في الإسلام، لعلّ الله يهديهم ونكون سبباً في ذلك ولنا مثل أجر من اهتدى منهم. وهكذا يجب علينا أن نُفَرِّق بين هذه الأمور وبين المحبة والموالة، كما يجب علينا أن نعلّم أنّ الله سبحانه وتعالى مع أمره لنا بمعادة اليهود والنصارى، فقد أباح لنا التزوُّج من نسائهم المحصّنات، والأكل من ذبائحهم المُذَكَّاة بالذكاة الشرعية. وأن نأخذ الجزية منهم إذا أعطوها وهم صاغرون، ونتركهم على دينهم.

كلّ هذه تعاملات مع الكفار قد شرّعها الله سبحانه مع ما شرعه من معاداتهم وعدم موالاتهم. لأنّ التعامل الظاهريّ الذي فيه مصلحة للمسلمين لا يتعارض مع وجوب بُغضهم وبُغض ما هم عليه من الكفر والضلال، كما أنّ بُغضنا لهم وعدم موالاتهم لا يمنع من استئجارهم للقيام ببعض الأعمال التي يُحسنونها ونحن بحاجة إليها. كل ذلك من التعامل الدنيوي لا التعامل القلبي، فلننتبه لهذه الأحكام المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، فإنّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحثُّ على العمل بالكتاب والسنة والتحذيرُ مما سواهما

الحمد لله الذي أنزلَ على عبده الكتاب ولم يجعلْ له عِوَجاً، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له - وَعَدَ مَنْ اتقاه أن يجعلَ له مَخْرَجاً - وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله أزالَ الله به عن هذه الأمة آصاراً وأغلالاً وحرَجاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أفضلَ قرونِ هذه الأمة وأهداهم طريقاً ومنهجاً، وسلَّم تسليمًا كثيرًا... أما بعدُ:

أيها الناسُ : اتقوا الله تعالى وتمسكوا بكتاب ربِّكم وسنة نبيكم وما كان عليه السلفُ الصالح في الاعتقاد والعمل ، وإياكم والأهواء المُضِلَّة والمذاهب الباطلة والدعايات المزورة المكذوبة التي يُرَوِّجها شياطينُ الإنس والجن ليُصدُّوكم بها عن دينكم ، واحذروا كذلك من تضليل الجهال الذين يقولون في دين الله وعلى الله مالا يعلمون ، واتقوا البدع المحدثه في الدين «فإنَّ كُلَّ بدعة ضلالة» والبدعة هي كل ما أُحْدِثَ في الدين وليس له دليلٌ صحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . قال ﷺ : «مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ» رواه مسلم .

ومن العجيب أن كثيراً من الناس يحِرِّصُونَ على فعل العبادات التي لم تثبتْ عن النبي ﷺ أكثر مما يحِرِّصُونَ على فعل العبادات الثابتة . فيحِرِّصُونَ مثلاً على فعل صلواتٍ مبتدعة مثل صلاة التسبيح ، وصلاة الرغائب في رجب ، وعلى تخصيص ليلة النصف من شعبان بصلاة ، وتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام كل هذه الأمور لم يثبت فيها شيء عن الرسول ﷺ ، فهي مبتدعة .

وفيما شرعة الله وَصَحَّ عن رسول الله من نوافل الصلوات والصيام ما فيه غنية للمسلم في دينه، وفيه الأجر العظيم والثواب الجزيل عند ربه وأما البدعُ فَإِنَّهَا تُتَعَبُ الْإِنْسَانُ وتُؤَثِّمُهُ وتُبْعِدُهُ عن الله عز وجل .

فاحذروا - يا عبادَ الله - هذه البدع وأهلها، ولا تُقدموا على شيء من العبادات إلا بعد التأكد من مشروعيتها، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة وسؤال المحققين من أهل العلم لا سؤال الجهال، أو علماء الضلال، أو الرجوع إلى الكتب المشبوهة، فَإِنَّ بعضَ الكتب هي مصدرُ هذه الضلالات. ومخزن هذه الجهالات، ومن وراء هذه الكتب أناسٌ يستلُّون ما فيها من السموم القاتلة والمواد المتعفنة، ويطبعونها في نشرات صغيرة على شكل نصائح وأدعية وأوراد، ويحُثُّون الناس على استنساخها أو تصويرها وتوزيعها، ويَعِدُّون مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بالشواب الجزيل، ويتوَعَّدون مَنْ لم ينشرها أو يكتبها بالعذاب الويل، فما إن يسمعُ الجُهَّالُ ذلك حتى يُبادروا بنشرها وتوزيعها، رغبةً أو رهبة. وبهذه الطريقة الشيطانية يُغَيِّرُ الدينَ الصحيح وتفسدُ عقائدُ الناس .

وهناك ما هو أخطرُ من الكتب، وهو الأشرطة الصوتية التي تُسَجَّلُ فيها هذه الأباطيل، وتباع أو تُوزَعُ مجاناً، وهذه الأشرطة أخطرُ من الكتب، لأنَّ شرَّ الكتب مقصودٌ على من يُحسن القراءة. أما هذه الأشرطة فيسمعها كل أحد من الكبار والصغار والرجال والنساء والمتعلمين والعوام. وهناك أشرطة وأفلام تحمِلُ أسماء خداعة، مثل: شريط هادم اللذات، وفلم اليقين، سمَّوهما بذلك خداعاً. وفيهما خليطٌ من الكلام والقصاص والوعظ وذكر أحوال يزعمون أنهم شاهدوها لبعض الموتى. وعلى فرض صحتها فإنه لا يجوزُ لهم أن يُشيعوها، بل يجبُ عليهم أن يستروا على أموات المسلمين ما يرونه من أحوالهم ويستغفروا لهم، وإن كان هؤلاء الأموات كفاراً لم يَجْزُ لهم أن يتولَّوا تجهيز جنائزهم. ونحن نَسْعُنا ما وَسِعَ سلفنا الصالح، فَإِنَّهم كانوا يعظون الناس بمواعظ الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، ولم

يكونوا يعظونهم بالحكايات المشبوهة والأناشيد الصوفية التي يسمونها أناشيد إسلامية حتى غروابها كثيراً من الشباب والشابات بحجة أنها تؤثر على الناس ، فقد أغنانا الله عنها بالكتاب والسنة ، ومن لم يسعه الكتاب والسنة فلا وسع الله عليه .

فاتقوا الله - عباد الله - واحذروا هذه الدسائس وحذروا منها ، واتقوا الله يا أصحاب محلات التسجيل ، لا تسجلوا مثل هذه الأشرطة فتشتركوا مع أصحابها في الإثم ، وتحصلوا من ورائها على الكسب الحرام .

نحن لا نقول : إنَّ كُلَّ من يعملون هذه الأشرطة ويروون هذه الحكايات والقصص ، لا نقول : كلهم يقصدون سوء والإفساد ، بل على العكس فيهم رجال صالحون ويقصدون الخير ، ولكنَّ صلاح الشخص وحسن نيته وقصده لا يكفيان لتقبل كل ما يفعله وكل ما يقوله ، لا سيما ما يتعلق بأمور الدين والعقيدة . فقد كان العلماء يتركون رواية الحديث عن أناس هم أصحاب صلاح ودين ونية صالحة . لكن لما لم تتوفر فيهم الشروط المطلوبة للرواية تركوا ما يروونه حفاظاً على الدين والسنة والعقيدة وكان السلف والمحققون من العلماء يحذرون من القصص الذين يزاولون الوعظ عن طريق القصص والحكايات ويتركون طريقة الكتاب والسنة في الوعظ والتذكير ، ولهم في ذلك أخبار طويلة وكتب مؤلفة في التحذير منهم ، ولنا فيهم أسوة حسنة ، فهم كانوا أعلم منا بما يصلح الأمة . وقد قال الإمام مالك رحمه الله : لا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها .

نعم - هناك أشرطة تحوي مواد طيبة وعلوماً نافعة كأشرطة تسجيلات القرآن الكريم وتفسيره ، وأشرطة الخطب المفيدة والمحاضرات القيمة والدروس العلمية ، فهذه يجب تداولها ونشرها بين المسلمين ، لأنها من أهم وسائل نشر الدعوة والعلم النافع ، وإنما الذي نحذر منه هو الأشرطة والأفلام الهابطة والمشبوهة والأشرطة التي تحوي أفكار بعض القصص الجاهل ، وكذا الأشرطة الخبيثة التي تحمِلُ الغناء الماجن ، وأصوات المطربين السفهاء ، وأصوات

المعازِفِ والمزامير، وأفلام العُريِّ والرذيلة، لأنَّ هذه الأشرطة والأفلام تفتِكُ بأفكارِ الأمة وعقائدها وأخلاقيها أَشدَّ من فتكِ المُخدَّرات والمسكرات في العقول، فاتَّقُوا الله - عبادَ الله - واحذروا فتنَّها وامنعُوا من دخولها في بيوتكم ووجودها في سياراتكم ومحلاتكم تخلصاً من شرِّها وضُرِّها.

وَفَقَّ اللهُ الجميع لمعرفة الحق والعمل به ومعرفة الباطل واجتنابه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦]

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

من الخطبة الثانية في الحث على التمسك بالكتاب والسنة

الحمد لله ربِّ العالمين . أمرنا باتِّباعِ كتابه وَهَدَى رَسُولَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَبَيِّنُ لَنَا الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَقَبُولِهِ وَسَلَّمٍ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . . . أما بعد :

أيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاسْأَلُوهُ أَنْ يُوفِّقَكُمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَمَعْرِفَةِ الْبَاطِلِ وَاجْتِنَابِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ هُنَاكَ أشرطة تُنَشِّرُ بِاسْمِ الدِّينِ وَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَفِيهَا الْخَطَرُ الَّذِي ذَكَرْنَا بَعْضًا مِنْهُ، فَهَنَاكَ أشرطة تُنَشِّرُ لِإِفْسَادِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاضِ وَنَشْرِ الْخِلَاعَةِ وَالْمَجُونِ . إِنَّهَا أشرطةُ الْأَغَانِي وَالْمَوْسِيقَى وَالْمَعَارِزِ وَالْمَزَامِيرِ، وَأَفْلَامُ الْفِيدْيُو الْمَدْمُورَةِ الَّتِي تَعْرِضُ مَشَاهِدَ الْفَسْقِ وَالْإِجْرَامِ، وَالْمَنَاطِرِ الَّتِي يَنْدِي لَهَا جَبِينُ الْإِسْلَامِ . إِنَّهَا أَسْلِحَةٌ مُوجِهَةٌ ضِدَّ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَتُسْتَهْدَفُ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ ثَرَوَةُ الْأُمَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا بَعْدَ

الاعتماد على الله في مواجهة عدوِّها، فانتبهوا - يا عبادَ الله - لما يُرادُ بكم وما يُحاكُ ضدَّكم، وتَمسَّكوا بكتاب ربِّكم وسنة نبيكم، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدى هدى محمد ﷺ... الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الدعاء وفوائده

الحمد لله رب العالمين، أمر بالدعاء ووعَدَ بالإجابة، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، توعَّدَ المجرمين بالعقاب ووعَدَ المتقين بالإثابة، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعملوا أن الدعاء أعظمُ أنواع العبادَةِ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح وصحَّحه الحاكم. وقد أمر الله بدعائه في آيات كثيرة ووعَدَ بالإجابة، وأثنى على أنبيائه ورُسُلِهِ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَنِ الْفَيْتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وأخبر سبحانه أنه قريبٌ يجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاه، فقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وأمر سبحانه بدعائه والتضرع إليه لا سيَّما عند الشدائد والكُرَبَاتِ، وأخبر أنه لا يُجيبُ المضطرَّ ولا يكشفُ الضرَّ إلا هو، فقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

وَيَكْشِفُ الشَّوْءَ ﴿ [النمل : ٦٢]

وذم الذين يعرضون عن دعائه عند نزول المصائب وحدث البأساء والضراء، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَاسِءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢]

وهذا من رحمته وكرمه سبحانه، فهو مع غناه عن خلقه يأمرهم بدعائه، لأنهم هم المحتاجون إليه، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد : ٣٨]

وفي الحديث القدسي :

«يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاستهدوني أَهْدِكُمْ، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاستطعموني أَطْعِمْكُمْ، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فاستكسوني أَكْسِكُمْ، يا عبادي إنَّكم تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فاستغفروني أَغْفِرْ لَكُمْ» رواه مسلم.

فادعوا الله عباد الله، واعلموا أنَّ لاستجابة الدعاء شروطاً لا بد من توفرها، فقد وعد الله سبحانه أن يستجيب لمن دعاه. والله لا يخلف وعده، ولكن تكون موانع القبول من قِبَل العبد.

فمن موانع إجابة الدعاء : أن يكون العبد مضيقاً لفرائض الله، مرتكباً لمحارمه ومعاصيه، فهذا قد ابتعد عن الله وَقَطَعَ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فهو حرِيٌّ إذا وَقَعَ فِي شِدَّةٍ وَدَعَا أَنْ لَا يُسْتَجَابَ لَهُ. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ» يعني: أنَّ العبد إذا اتقى الله، وَحَفِظَ حَدُودَهُ، وَرَاعَى حَقُوقَهُ فِي حَالِ رِخَائِهِ، فَقَدْ تَعَرَّفَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مَعْرِفَةٌ

خاصة، فيعرفه ربه في الشدة ويراعي له تعرفه إليه في الرخاء، فيُنْجيه من الشدائد.

وفي الحديث : «وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مما افترضته عليه . ولا يزال عَبْدِي يتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أُحِبَّهُ . فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به، وبصرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بها، ورجلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها. ولئن سألني لأعطينَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذَنَّهُ» رواه البخاري .

فَمَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالتَّقْوَى والطاعة في حالِ رخائه عَامَلَهُ اللَّهَ بِاللَّطْفِ والإعانة في حال شدته، كما قال تعالى عن نبيه يونس عليه الصلاة والسلام لَمَّا التَقَمَهُ الْحَوْتُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات : ١٤٤]
أي : لولا ما تقدَّم له من العملِ الصالح في الرخاء، وقيل : لولا أنه كان من المصلين قبل ذلك ﴿لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات : ١٤٤]

أي : لصار له بطنُ الحوت قبرا إلى يوم القيامة . قال بعض السلف : اذْكُرُوا اللَّهَ فِي الرِّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ فِي الشَّدَةِ، إِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فَلَمَّا وَقَعَ فِي بطنِ الحوت قال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات : ١٤٤] وإنَّ فرعونَ كَانَ طَاغِيًا نَاسِيًا لذكرِ اللَّهِ ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ [يونس : ٩٠] فقال الله تعالى ﴿لَئِنْ وَدَّعَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس : ٩١]

ومن أعظم موانع الدعاء : أكلُ الحرامِ وشربُ الحرامِ ولبسُ الحرامِ، فقد ذكر النبي ﷺ «الرجلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُدْيُ بِالْحَرَامِ فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لَذَلِكَ» رواه مسلم . فقد أشار النبي ﷺ إلى أنَّ التمتع بالحرامِ أَكْلاً وشرباً ولبساً وتغذيةً أعظمُ مانعٍ من قبول الدعاء .

وفي الحديث : «أَطْبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ» .

وقد ذكر عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «الزهد» قال: «أصاب بني إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجاً، فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إليّ أكفاً قد سفكتُم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن حين اشتد غضبي عليكم لن تردادوا مني إلا بعداً». فتنّبهُوا لأنفسكم أيها الناس. وانظروا في مكاسبكم ومآكلكم ومشاربكم وما تُغذون به أجسامكم، ليستجيب الله دعاءكم وتضرعكم.

ومن موانع قبول الدعاء : عدم الإخلاص فيه لله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر : ١٤] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨]

فالذين يدعون معه غيره من الأصنام وأصحاب القبور والأضرحة والأولياء والصالحين كما يفعل عبَاد القبور اليوم من الاستغاثة بالأموات، هؤلاء لا يستجيب الله دعاءهم إذا دعوهم لأنهم لم يخلصوا له، وكذلك الذين يتوسّلون في دعائهم بالموتى فيقولون: نسألك بفلان أو بجاهه. هؤلاء لا يُستجاب لهم دعاء عند الله، لأن دعاءهم مبتدع غير مشروع، فالله لم يشرع لنا أن ندعوه بواسطة أحدٍ ولا بجاهه، وإنما أمرنا أن ندعوه مباشرة من غير واسطة أحد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠]

فاحذروا من الأدعية الشركية والأدعية المبتدعة التي تروج اليوم.

ومن موانع قبول الدعاء أن يدعوا الإنسان : وقلبه غافل، فقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه».

ومن موانع قبول الدعاء : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم

تدعونه فلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ» رواه الترمذي .

قال الإمام ابن القيم : الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره : إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يُجِبُّه الله لما فيه من العدوان . وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً ، فإنَّ السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً . وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ، ورَيْن الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها . قال : والدعاء من أنفع الأدوية . وهو عدوُّ البلاء يُدافعُه ويعالجه ، ويمنع نزولَه ويرفعُه أو يخففُه إذا نَزَلَ ، وهو سلاح المؤمن - كما روى الحاكم في «مستدركه» من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «الدعاء سلاحُ المؤمن ، وعمادُ الدين ، ونورُ السماوات والأرض» . وروى الحاكم أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «الدعاء ينفعُ مما نَزَلَ ومما لم ينزلْ فعليكم عباد الله بالدعاء» . فاتقوا الله - عباد الله - وألحوا على ربكم في الدعاء : فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ» .

فالدعاء هو أعظم أنواع العبادة ، لأنه يدلُّ على التواضع لله ، والافتقار إلى الله ، ولين القلب والرغبة فيما عنده ، والخوف منه تعالى ، والاعتراف بالعجز والحاجة إلى الله . وترك الدعاء يدلُّ على الكبر وقسوة القلب والإعراض عن الله . وهو سببٌ لدخول النار ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠]

كما أن دعاء الله سببٌ لدخول الجنة ، قال تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَفَنَنَا عَذَابُ السَّوْمِرِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور : ٢٦]

يخبر سبحانه عن أهل الجنة أنهم يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال الدنيا

وأعمالهم فيها وعن السبب الذي أوصلهم إلى دار الكرامة فيقول بعضهم لبعض :
 إِنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالسُّرُورِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي دَارِ
 الدُّنْيَا خَائِفِينَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمِنْ عَذَابِهِ ، فَتَرَكُوا الذُّنُوبَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ
 سَبَّحَانَهُ مَنْ عَلَيْهِم بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ، فَضَلَّاهُ مِنْهُ وَإِحْسَانًا
 لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَدْعُوهُ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ السَّمُومِ ، وَيُوصِلَهُمْ إِلَى دَارِ النِّعَمِ .
 فَادْعُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَكْثَرُوا مِنْ دُعَائِهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ
 قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الدعاء وفوائده

الحمد لله على فضله وإحسانه، يجيبُ الداعين، ويحب المتقين، وأشهدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريكَ له شهادةَ الحقِّ واليقين، وأشهدُ أَنْ مُحَمَّدًا عبده
ورسوله، أَفْضَلُ الداعين، وأخوفُ الخلقِ وأخشاهم لربِّ العالمين، صَلَّى اللَّهُ عليه
وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعلموا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ لِقَبُولِ الدعاء أسباباً إذا
وُفِّقَ لها العبدُ حَصَلَتْ له الإجابةُ : قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله مبيناً تلكَ
الأسبابَ : وإذا اجتمع مع الدعاء حضورُ القلبِ وجمعيته بكليته على المطلوب
وصادَفَ وقتاً من أوقات الإجابة الستة : وهي الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان،
وبين الأذان والاقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة
على المنبر حتى تُقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم . وصادَفَ
خشوعاً في القلب، وانكساراً بين يدي الرب، وذُلًّا له وتضرُّعاً وِرْقَةً، واستقبل
الداعي القبلة، وكان على طهارةٍ، ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمدِ الله والثناء عليه،
ثم ثَنَّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ . ثم قَدَّمَ بين يدي حاجته التوبة
والاستغفار، ثم دَخَلَ على الله وألَحَّ عليه في المسألة ودعاه رغبةً ورهبةً وتوسَّلَ إليه
بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقَدَّمَ بين يدي دعائه صدقةً، فإنَّ هذا الدعاء لا يكادُ يَرُدُّ
أَبَدًا، ولا سِيَّما إِنْ صادَفَ الأدعيةَ التي أخبر النبي ﷺ أنها مَظِنَّةُ الإجابة أو أنها
متضمنةٌ للاسم الأعظم .

عبادَ الله : والدعاء فيه تفريجُ الكُرَبَاتِ، وإغاثةُ اللهفات، والنصرُ على
الأعداء، فأكثرُوا من الدعاءِ لأنفسكم ولإخوانكم المسلمين، وادعُوا على الكفرةِ
وأعداءِ الدين، فإنَّ الله قريب مجيب، واعلمُوا أَنَّ دعوةَ المظلومِ مستجابةٌ فاحذَرُوا
الظلمَ، قال ﷺ : «وَاتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينها وبينَ الله حجابٌ» فلا
تظالمُوا يا عبادَ الله، واعلمُوا أَنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ضوابط العبادة الصحيحة

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، وأمرنا بالتمسك به إلى الممات. ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

وتلك وصية إبراهيم ويعقوب لبنيه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ لَصَاطِفِي لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ونحن مسلمون)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون، أنزل الله عليه ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٩]

اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وأطيعوه تغنموا وتسعدوا في الدنيا والآخرة. واعلموا أن الله خلق الجن والإنس لعبادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

وفي ذلك شرفهم وعزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لأنهم بحاجة إلى ربهم، ولا غنى لهم عنه طرفه عين، وهو غني عنهم وعن عبادتهم كما قال تعالى : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ [الزمر : ٧] قال تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٨].

والعبادة : هي التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة . وهي حقُّ الله على خلقه ، وفائدتها تعود إليهم ، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبرٌ ، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشركٌ ، ومن عبد الله وحده بغير ما شرع فهو مبتدعٌ ، ومن عبد الله وحده بما شرع فهو المؤمن الموحّد .

ولمّا كان العبادُ في ضرورة إلى العبادة ، ولا يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم حقيقتها التي تُرضي الله سبحانه وتوافق دينه ، لم يكلّمهم إلى أنفسهم ، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لبيان حقيقة تلك العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥]

فمن حادَ عما بينته الرسل ، ونزلت به الكتب من عبادة الله ، وعبد الله بما يملئ عليه ذوقه وما تهواه نفسه وما زينته له شياطين الإنس والجن فقد ضلَّ عن سبيل الله ، ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادةً لله ، بل هي عبادة لهواه :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠]

وهذا الجنس كثيرٌ في البشر وفي طليعتهم النصارى ومن ضلَّ من فرق هذه الأمة ، فإنهم اختطّوا لأنفسهم خطّةً في العبادة مخالفةً لما شرعه الله في كثير من شعاراتهم ، وهذا يتضح ببيان حقيقة العبادة التي شرعها الله على لسان رسول الله ﷺ ليتبين ، أن كل ما خالفها فهو باطلٌ ، وإن زعم من أتى به أنه يقربه إلى الله ، فهو يُبعده عن الله .

إنَّ العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تنبني على أصولٍ وأسس ثابتة تتلخّص فيما يلي :

أولاً : أنها توقيفية، بمعنى أنه لا مجال للرأي فيها، بل لا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى لنبية : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ [هود : ١١٢] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] وقال عن نبية : ﴿ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأحقاف : ٩]

ثانياً : لا بدُّ أن تكون العبادة خالية من الشرك كما قال تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف : ١١]

فإن خالط العبادة شيء من الشرك أبطلها كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥]

ثالثاً : لا بدُّ أن يكون القدوة في العبادة والمُبين لها رسول الله ﷺ كما قال

تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] وقال تعالى : ﴿ أَوْ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧]

وقال النبي ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه مسلم . وفي رواية : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» متفق عليه ، وقوله ﷺ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» متفق عليه ، وقوله : «خذوا عني مناسككم» رواه مسلم ، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ دون سواه .

رابعاً : أنَّ العبادة محدودةٌ بمواقيت ومقادير لا يجوزُ تعديها وتجاوزها كالصلاة مثلاً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ . [النساء : ١٠٣]

وكالحج ، قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ . [البقرة : ١٩٧]
 وكالصوم ، قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
 وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥]
 فلا تصحُّ هذه العبادات أداءً في غير مواقيتها .

خامساً : لا بد أن تكون العبادة قائمة على محبة الله تعالى والذلُّ له وخوفه
 ورجائه ، قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] وقال تعالى عن أنبيائه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا
 يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ ارْجَاءً وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء :
 ٩٠] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢]
 فذكر سبحانه علامات محبة الله وثمراتها :

أما علاماتها فاتباع الرسول ﷺ وطاعة الله وطاعة الرسول .

أما ثمراتها فنيل محبة الله سبحانه ، ومغفرة الذنوب والرحمة منه سبحانه .
 سادساً : أن العبادة لا تسقط عن المكلف من بلوغه عاقلاً إلى وفاته ، قال
 تعالى : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . وقال : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
 يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩]

عباد الله : والعبادة لها أنواع كثيرة ، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
 من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة . . .

فالصلاة والزكاة والصيام والحج من أعظم أنواع العبادة ، وهي أركان
 الإسلام ، وكذلك الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة هي من أنواع العبادة ،
 كصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبرِّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد
 والنصيحة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد ، والإحسان إلى
 الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمماليك من الأدميين ، والبهايم ، والدعاء والذكر

والقراءة، وأعمال القلوب من حُبِّ الله ورسوله، وخشية الله، وإلانة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لِنِعَمِهِ، والرِّضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه. فالدينُ كُلُّه داخلٌ في العبادة، وأعظم أنواع العبادة أداء ما فَرَضَهُ الله وتجنب ما حَرَّمَهُ الله تعالى. قال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل أنه قال: «وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه» . . .

فأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حَرَّمَ الله وصدق الرغبة فيما عند الله، وذلك أنَّ الله تعالى إنما افترض على عباده الفرائض لِيُقَرَّبَهُمْ عنده ويوجبَ لهم رضوانه ورحمته، وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق : ١٩].

وقال النبي ﷺ : أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ.

وقال : «إذا كان أحدكم يُصَلِّي فإنما يُناجي ربَّه». ولكن هذه الصلاة خَفَّ ميزانها اليومَ عند كثير من الناس، كما قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم : ٥٩].

والعجب أن بعضهم يأتي ببعض النوافل أو كثير منها وهو مضيع للصلاة، فتراه يَحُجُّ ويعتمر وهو مضيع للصلاة، ومنهم مَنْ يُكثِرُ من الصدقات والتبرعات وهو لا يُؤدِّي الزكاة المفروضة، ومنهم من يُحسِّن أخلاقه مع الناس وهو عاق لوالديه، قاطع لِرَجَمِهِ، سَيِّء الخُلُقِ مع زوجته وأولاده. ولا شك أن العدل في الرعية من الفرائض الواجبة، سواء كانت رعية عامة كالحاكم، أو رعية خاصة كالرجل مع أهل بيته.

قال ﷺ : «كلُّكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنَّ المقسطين عند الله على منابرٍ من نورٍ على يمين الرحمن وكلتا يديه يمينُ الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأهْلِيهِمْ وما وَلَّوْا».

وأعظمُ رعايةِ الأهل والأولاد أمرُهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإلزامهم بأداء الصلاة، ومنعهم من سماع الأغاني والمعازف والمزامير ومُشاهدة الأفلام الخليعة والمسلسلات التي تحمِل أفكاراً مسمومة، أو تُشغِل عَنْ طاعةِ الله وذِكْرِهِ، وبعضُ الآباء الذين هم أشباهُ رجال، وليسوا برجالٍ يجلبون هذه الآفاتِ إلى بيوتهم ويتركونها تفتِكُ في أخلاق أولادهم ونسائهم.

إنَّ عبادَ الله حقاً هم الذين يعْمُرُونَ بيوتهم بطاعةِ الله ويُرَبُّون أولادهم ونساءهم على عبادةِ الله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٦]

إنَّ عبادَ الله هم الذين يدعون الله أن يُصْلِحَ أزواجهم وذريتهم.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وَأَجْعَلْ لَنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. [الفرقان: ٧٢].

عبادَ الله : إنَّ العبادةَ لا تنحصر في حدٍّ ضيقٍ، ولكنها تشملُ كلَّ ما شرعه الله من الأقوال والأعمال والنيات، فهي تشملُ أقوالَ اللسان وحركاتِ الجوارح ومقاصدِ القلوب، بل تشملُ كلَّ حياةِ المسلم، حتى أكله وشربه ونومه، إذا نوى بذلك التقوي على طاعةِ الله، بل حتى معاشرته لزوجته إذا نوى بها التعفُّف عن الحرام، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ بكلَّ تسبيحةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بمعروفٍ صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعٍ أحدكم صدقةٌ» قالوا يا رسولَ الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكونُ له فيها أجرٌ قال: «أرأيتم لو وُضِعَها في حرامٍ أكانَ عليه وِزْرٌ؟ فكذلك إذا وُضِعَها في الحلالِ كانَ له أجرٌ» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كلُّ يومٍ تطلُعُ فيه الشمسُ تعدلُ بين اثنين صدقةً، وتُعِينُ الرجلَ في دابتهِ صدقةً، فتحمله عليها، أو

ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» رواه البخاري ومسلم . فاتقوا الله عباد الله واعبدوه كما أمركم . . .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . .

من الخطبة الثانية في موضوع العبادة

الحمد لله رب العالمين ، خلق الخلق ليعبدوه وأنعم عليهم ليشكروه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل
الخلق عبادةً لله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من سار على نهجه
وتمسك بهداه ، وسلّم تسليماً كثيراً . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واحذروا مما يبطل العبادة أو يذهب بثوابها ،
فمن ذلك الشرك بالله عز وجل ، ومنه الرياء والسُّمعة ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ
عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . [الأنعام : ٨٨]

ومن ذلك البدع والمُحدثات . قال ﷺ : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا
فهُوَ رَدٌّ» . . .

ومن ذلك ظلم الناس والتعدي عليهم في دمايهم وأموالهم وأعراضهم . فقد
جاء في الحديث : «أن من الناس من يأتي يوم القيامة بأعمالٍ أمثالِ الجبال ،

فيأتي وقد صَرَبَ هذا وشتَمَ هذا وأكلَ مالَ هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإذا فَنِيَتْ حسناته أخذَ من سيئات المظلومين، فطُرحت عليه وطُرِحَ في النار».

ومن ذلك بعض الكلمات الخبيثة التي ينطقُ بها الإنسان من غير تفكير في عواقبها كما جاء في الحديث : «إِنَّ الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ الله لا يُلْقِي لها بالاً يَهْوِي بها في النارَ أبعدَ ممَّا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ». وفي الحديث أيضاً : «أَنَّ رجلاً قال : والله لا يَغْفِرُ الله لفلانٍ، فقال الله تعالى : مَنْ ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لفلانٍ، إني قد غفرتُ له وأحبَّطتُ عملَكَ».

ومن ذلك الحسد، ففي الحديث عن النبي ﷺ ، قال : «يَأْكُمُ والحسدَ، فَإِنَّ الحسدَ يَأْكُلُ الحسناتِ كما تَأْكُلُ النارُ الحطبَ، أو قال : العشبُ» رواه أبو داود وغيره .

فاتَّقُوا الله عبادَ الله، وحافظُوا على أعمالِكُم من المبطلات والآفات، واعلَمُوا أَنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدى هَدْيُ محمد ﷺ . . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم في التحذير من البدع

الحمدُ لله الذي أكملَ لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، وجعلنا إن تمسكنا به خيرَ أمة . . . وأشهدُ أَنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةٌ تفتحُ لمن قالها صادقاً بابَ الجنة، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، نبيُّ جَعَلَ الله بعثته وإرساله للعالم رحمةً. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا في الخير قادةً وأئمة، وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعدُ :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى وتمسكوا بدينكم الذي به نجاتكم وسعادتكم،

واحذروا دسائس الأعداء الذين يُريدون القضاء على هذا الدين بشتى الوسائل والمحاولات، ومن شر هذه الدسائس القضاء على الدين باسم الدين، وذلكم بأن تحدث أمور تزداد في الدين وهي ليست منه .

وقد حذرنا الله ورسوله من هذه الدسائس وهذه المحدثات، وأوضحنا لنا صفات أصحابها لتكون منها ومنهم على حذر، قال تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف : ٣] وقال : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر : ٥٥] وقال : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٣٨]

وقال النبي ﷺ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي»، وقال ﷺ : «إن خير الحديث كتابُ الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»، وقال ﷺ : «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» .

عباد الله : في هذه النصوص من الكتاب والسنة الأمر باتباع الكتاب والسنة والنهي عن الابتداع والمبتدعين . والبدعة : عبارة عن كل ما أحدث في الدين، وهو ليس منه، بأن لا يكون عليه دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله أو خلفائه الراشدين . أمّا ما أحدث من العادات والأعمال الدنيوية المباحة كالمخترعات الحديثة على اختلاف أنواعها، فهذه مباحة لأن الأصل في العادات والمنافع الجل، إلا ما ترتب عليه ضرر أو استخدم في مُحَرَّم . . .

والبدع في الدين على قسمين :

الأول : بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة في العقائد . . .

الثاني : بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهذا محرّم لأن الأصل في العبادات التوقيف، والاقتصار على ما شرعه الله ورسوله.

والابتداع في العبادات أنواع :

النوع الأول : ما يكون في أصل العبادات بأن تحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كإحداث أعياد الموالد للأنبياء، وللأولياء، أو للعلماء، والملوك، والرؤساء المعظمين، أو غير المعظمين . . .

النوع الثاني : ما يكون في الزيادة على العبادات المشروعة كما لو زاد في عدد ركعات الصلاة عمّا شرّعه الله، كما لو زاد ركعةً ثالثة في الفجر أو رابعة في المغرب أو خامسة في الظهر والعصر والعشاء

النوع الثالث : ما يكون في صفة أداء العبادات بأن يؤدّيها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بصفة غير مشروعة، كأن تؤدّى الأذكار بأصوات جماعية . . .

النوع الرابع : تخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصّصه الشرع، كتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، وتخصيص يوم النصف منه بصيام، . . .

وحكم البدع في الدين بجميع أنواعها أنها محرّمة وضلالة، لقوله ﷺ «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» . . .

ومن زعم أن هناك بدعة حسنة فهو مخطيء ومخالف لهذا الحديث .

ومن البدع ما هو كفر كالطواف بالقبور تقريباً إلى أصحابها، وذبح الذبائح، وتقديم النذور لها . . .

ومن البدع ما هو من وسائل الشرك والكفر كالبناء على القبور، والصلاة عندها، والدعاء عندها، وعمل الموالد للرسول أو لغيره . .

ومن البدع ما هو فسقٌ اعتقادي كمذاهب الخوارج والقدرية والمرجئة . . .
ومن البدع ما هو معصيةٌ دون الفسق كالعلو والزيادة في أداء العبادة عن الحد
المشروع ، كالذي يُصلي الليل ولا ينام ، والذي لا يتزوج النساء أو لا يأكل اللحم
والطيبات من الرزق ويعتبر ذلك من باب الزهد والتقرب إلى الله . . .

أيها المسلمون : إن البدع تُبعد عن الله وعن دينه الصحيح ، وهي شرٌّ لا
خير فيها ، قال ﷺ : «وشرُّ الأمور محدثاتها» . .

والبدعة أحبُّ إلى الشيطان من المعصية ، لأن العاصي يعترف بخطئه
ويتوب ، أما المبتدع فيرى أنه على صواب فلا يتوب ، ولأن المبتدع يُشرع ديناً لم
يأذن به الله ، ويحاذ الله ورسوله ولو حسن قصده ، فإن حُسن القصد وسلامة النية لا
يُبرران المخالفة للكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ . [الزخرف : ٣٦]

فالشياطين تُزين لهؤلاء مخالفتهم حتى يحسبوا الضلال هدىً والباطل حقاً .
وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ . [الكهف : ١٠٣]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : هذه الآية عامة في كل من عبد الله على غير
طريقة مرضية ، يحسب أنه مصيبٌ فيها وأن عمله مقبول وهو مخطيء وعمله
مردود ، كما قال تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية : ٤]
فهؤلاء أتعبوا أنفسهم في العمل والخشوع ، وكانت عاقبتهم النار الحامية ،
لأن عملهم على غير أساس من الشرع الإلهي .

ولما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الرهبان من النصارى بكى ،
فقال له : يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ . [الغاشية : ٢ - ٤]

ومن مفسد البدع أنها تفرق جماعة المسلمين وتجعل المسلمين شيعاً وأحزاباً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ رسولُ الله ﷺ خطاً، فقال: «هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: وهذه سُبُلُ على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ذَلِكَكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [الأنعام: ١٥٣]

ومن مفسد البدع أنها تكسل صاحبها عن فعل السنن. بل إنَّ المبتدع يُبغضُ السنن، ولهذا تجدُ المبتدعة من أكسل الناس في أداء الواجبات وإحياء السنن، وإنما نشاطهم في إحياء البدع وإقامتها..

وتجدُ المبتدعة دائماً يبحثون عن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الضعيفة والحكايات المخترعة التي تؤيدُ بدعتهم، ويتركون الآياتِ القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تدلُّ على بطلان ما هم عليه، أو يؤوّلونها بغير معناها الصحيح، وإذا لم يجدوا ما يستندون إليه من الأحاديث الموضوعة احتجّوا بعمل فلان وفلان وبما ذكر في الكتاب الفلاني.

ومن المعلوم أنه لا يجوزُ العمل بكل ما وُجدَ في الكتب أو الاقتداء بما عليه الناس، حتّى يُعرَضَ ذلك على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبل، وما خالفهما ردّ، فالكتبُ فيها الدسُّ الكثير، وفيها الأحاديثُ المكذوبة والحكايات الباطلة والخرافات الضالة. وأعمالُ الناس فيها الخطأ والصواب، ولا يميّزُ هذا إلا الكتابُ العزيز والسنةُ الصحيحة، وما كانَ عليه السلف الصالح من صَدْرِ هذه الأمة. كما قال ﷺ «فإنه من يَعْشُ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين من بعدي».

وفي «سنن أبي داود» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: كلُّ عبادةٍ لا

يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا تَعَبَّدُوهَا، فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ مَقَالًا . فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقَرَاءِ وَخَذُوا طَرِيقَ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ .

وعن الحسن رحمه الله قال : لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا حَجًّا وَلَا عَمْرَةً حَتَّى يَدْعَهَا . . .

وقال محمد بن مسلم : مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَذِمِ الْإِسْلَامِ . وهكذا كان السلف رحمهم الله يحذرون من البدع : لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَرَ مِنْهَا . وَلَمَّا تَجَرَّهٗ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وِيَلَاتٍ وَعَلَى الدِّينِ مِنْ خَلَلٍ . وَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَمَاعَةً يَجْلِسُونَ فِي الْمَسْجِدِ حِلَقًا فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى ، فَيَقُولُ : كَبُرُوا مِثَّةً فَيَكْبُرُونَ مِثَّةً ، ثُمَّ يَقُولُ : هَلَّلُوا مِثَّةً فَيَهْلَلُونَ مِثَّةً ثُمَّ يَقُولُ : سَبَّحُوا مِثَّةً فَيُسَبِّحُونَ مِثَّةً ، فَأَتَاهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ ، قَالَ : فَعُدُّوا سِثَاتِكُمْ ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ ، هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَنْيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مَلَةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مَلَةِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ مَفْتَتِحُ بَابِ ضَلَالَةٍ ، قَالُوا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ ، وَقَالَ : وَكَمْ مَرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ . .

وجاء رجلٌ إلى الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - فقال : مَنْ أَيْنَ أُحْرِمُ ؟ فقال : مِنَ الْمِيقَاتِ الَّتِي وَقَّتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُحْرِمَ مِنْهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ أُحْرِمْتُ مِنْ أَبَعَدَ مِنْهُ ، فَقَالَ مَالِكُ : لَا أَرَى ذَلِكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا تَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ مَالِكُ : أَكْرَهُ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ ، قَالَ الرَّجُلُ : وَأَيُّ فِتْنَةٍ فِي ازْدِيَادِ الْخَيْرِ ؟ قَالَ مَالِكُ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنَّكَ خُصِّصْتَ بِقُضَلٍ لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . . .

عباد الله : ومن أعظم ما يوقع الناس في البدع التشبه بالكفار، كما في حديث أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاء عهد بكفر وللمشركين سدره يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدره، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿[الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»..

دلّ هذا الحديث على أن التشبه بالكفار وتقليدهم يُوقع في الشرك والبدع، وهذا هو الواقع اليوم فإن غالب المسلمين اليوم قلّدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، فأقاموا أعياد الموالد والأيام والأسابيع لإحياء الذكريات وتجديد المناسبات، مما جرّ على المسلمين كثيراً من البدع، وشغلهم عن إحياء السنن فلتنبّه لذلك، ولنكن على حذر، ولا ننخدع بهذه الأمور، وإذا عملها من عملها ولم نستطع منعه من ذلك فلنعتزلّه ولا نشارك في إقامة هذه البدع، فإنها ليست من دين المسلمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . [الجاثية : ١٨]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

في النهي عن الابتداء في شهر رجب وغيره

الحمد لله رب العالمين، أغنانا بكتابه المبين، وسنة نبيه الأمين، عن ابتداء المبتدعين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ . [الأعراف : ٣]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَائِشِرْ كُوت﴾ [الزمر : ٦٧]

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة ونصح الأمة، وتركها على البيضاء لا يزيغ عنها إلا الهالكون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم يعثون... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، واحذروا البدع فإنها تضل عن الدين وتبعد عن رب العالمين، وإن من البدع ما أحدثه الناس في هذا الشهر: شهر رجب من العبادات والاحتفالات، وما زعموه له من الفضائل والكرامات، التي توارثوها جيلاً بعد جيل، ابتداءً من عصر الجاهلية إلى وقتنا هذا: من تخصيصه بقيام بعض لياليه أو صيام بعض أيامه، أو تخصيصه بذبائح تذبح فيه تقرباً إلى الله تعالى، أو تخصيصه بعمره أو غير ذلك، وما يخصون ليلة السابع والعشرين منه باحتفال يسمونه الاحتفال بمناسبة الإسراء والمعراج. وكل هذه الأمور بدعٌ محدثة، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لشهر رجب خاصية على غيره من الشهور إلا أنه من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فاتخاذهُ موسماً بحيث يُفَرَّد بالصوم مكروه عند الإمام أحمد وغيره، كما روي عن عمر بن الخطاب وأبي بكر وغيرهما

من الصحابة رضي الله عنهم ، ومما أحدث في هذا الشهر من البدع : تعظيم يوم أول خميس منه وصلاة ليلة أول جمعة منه ، وهي الصلاة المسماة بصلاة الرغائب . قال شيخ الإسلام : فإن تعظيم هذا اليوم والليلة إنما أحدث في الإسلام بعد المئة الرابعة ، ورؤي فيه حديث موضوع باتفاق العلماء ، مضمونه : فضيلة صيام ذلك اليوم وفعل هذه الصلاة المسماة عند الجاهلين بصلاة الرغائب . . .

إلى أن قال : والصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم النهي عن أفراد هذا اليوم بالصوم ، وعن هذه الصلاة المحدثه وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم ، وصنعة الأطعمة ، وإظهار الزينة ونحو ذلك . حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من الأيام وحتى لا يكون له مزية أصلاً .

وقال الحافظ ابن حجر : لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيام شيء منه معين ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة . . . وقال الحافظ ابن رجب : فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به . .

والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء . . الى أن قال : وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه . . . انتهى .

وقد اعتاد بعض الناس أداء العمرة في شهر رجب ويظنون أن للعمرة فيه مزية وفضيلة على العمرة في غيره من الشهور ، وهذا خطأ ، فإن الوقت الفاضل لأداء العمرة أشهر الحج وشهر رمضان وما عداها من الشهور فهي سواء في ذلك . .

قال ابن سيرين : ما أحد من أهل العلم يشك أن عمرة في أشهر الحج أفضل من عمرة في غير أشهر الحج . ولما ذكر ابن القيم عدد العمر التي اعتمرها رسول

الله ﷺ وأنها كلها وقعت في أشهر الحج . قال : وهذا دليل على أن الاعتمار في أشهر الحج أفضل منه في رجب بلا شك . .

وأما المفاضلة بينه - أي : الاعتمار في أشهر الحج - وبين الاعتمار في رمضان فموضع نظر . وقد صح أنه أمر أم معقل لما فاتها الحج معه أن تعتمر في رمضان ، وأخبرها أن عمرة في رمضان تعدل حجة . وأيضاً فقد اجتمع في عمرة رمضان أفضل الزمان وأفضل البقاع ، ولكن الله لم يكن ليختار لنبيه ﷺ في عمره إلا أولى الأوقات وأحقها بها ، فكانت العمرة في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره ، وهذه الأشهر قد خصها الله تعالى بهذه العبادة وجعلها وقتاً لها .

والعمرة حج أصغر فأولى الأزمنة بها أشهر الحج . . . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله . .

ومعناه : أن الوقت الفاضل لأداء العمرة حسب الأدلة هو أشهر الحج وشهر رمضان ، وما عدا هذه الأشهر من بقية السنة فلا فضل لبعضه على بعض في أداء العمرة ، لا في رجب ولا في غيره ، فلا داعي لتحري العمرة في رجب دون غيره وتخصيصه من بين الشهور بالعمرة فيه فهو يحتاج إلى دليل . ولا دليل على ذلك .

ومما أحدث في شهر رجب من البدع الاحتفال بمناسبة الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين منه ، فيتجمعون في المساجد ويلقون الخطب والمحاضرات ، ويضيئون المنارات والشوارع بأنواع خاصة من الأنوار الكهربائية . ويثبت ما يجري في هذه الاحتفالات من خلال الإذاعات لتبليغها لمن لم يحضرها حتى يقتدي بهم غيرهم في ذلك . ولا شك أن الإسراء والمعراج آيتان عظيمتان ونعمتان كبيرتان ، قد نوه الله بشأنهما في كتابه الكريم ، فيجب علينا الإيمان بهما وشكراً لله على ما أكرم به رسوله ﷺ وأراه من آياته في الإسراء والمعراج ، وما أكرم الله به أمته من فرض الصلوات الخمس فيهما . . . وهي خمس صلوات في العمل وخمسون صلاة في الميزان والأجر ، لأن الحسنه بعشر أمثالها .

فواجبنا أن نحمد الله ونشكره على ذلك ، وذلك بطاعته وطاعة رسوله وأداء فرائض الله .

أما إقامة هذه الاحتفالات فهي كفر لهذه النعمة ، لأنها بدعة . «وكل بدعة ضلالة» والبدعة معصية لله ولرسوله تبعد عن الله وتصد عن دين الله .

والدليل على أن ذلك بدعة أنه عمل لم يفعله الرسول ﷺ ، ولا صحابته الكرام ، ولا القرون المفضلة في الإسلام ، وإنما حدث هذا بعدهم على أيدي الجهلة والطغام ، والرسول ﷺ يقول : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» . ولأن هذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا في غيره ، ولم يهتم الصحابة ولا علماء الإسلام من بعدهم في البحث عن تعيين هذه الليلة ، لأنها لا يتعلق بها حكم شرعي ، فلا فائدة لنا في تعيينها ، وقد اختلف المؤرخون في تعيينها وتعيين الشهر الذي حصلت فيه ، فقيل : هي في شهر ذي القعدة قبل الهجرة بستة عشر شهراً ، وقيل : في شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، وأما كون هذه الليلة في شهر رجب فهو لم يثبت كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وقال الإمام ابن القيم : «لم يقم دليل على شهرها ، ولا على عشرها ، ولا على عينيها ، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به ، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الاسراء بقيام ولا غيره - إلى أن قال : ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل ليلة الإسراء فضيلة على غيرها ، ولا كان الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها . ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت ، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ . ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية» انتهى كلامه رحمه الله .

ولو ثبت تعيين ليلة الإسراء لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات ، ولم يجز لهم أن يحتفلوا فيها ، لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

لم يحتفلوا فيها ولم يَخْصُصُوها بشيءٍ ، ولو كان الاحتفال فيها مشروعاً لبيَّنه النبي ﷺ
للأمة إمّا بالقول وإما بالفعل ، ولو وقع شيءٌ من ذلك لَعُرِفَ واشتهر ولنقله الصحابةُ
رضي الله عنهم إلينا .

فالاحتفال فيها بدعةٌ ليس من دين الإسلام ، فعلى من يفعله من المسلمين
أن يترُكه ، وعلى المسلم أن لا يغترَّ بما يفعله المبتدعة من الاحتفال في هذه الليلة ،
ولا بما يُنقل في وسائل الإعلام من الصور المرئية أو الصوتية لتلك الاحتفالات
البدعية ، لأنَّ هؤلاء قومٌ عاشوا في البدعِ وألقوها حتى صارت أحبَّ إليهم من
السنن وصار الدين عندهم مجردَ إقامة احتفالات ، وإحياء مناسبات وذكريات ،
كفعل النصارى في تتبع آثار الأنبياء أو تتبع الأزمنة التي جرت فيها أحداث لهم .
وعمل أعيادٍ واحتفالات لإحياء ذكرياتها أو التبرك بمناسباتها . وقد نهينا عن ذلك .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : بل غارُ حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي
وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده هو ولا أحدٌ من أصحابه بعد النبوة مدَّةً مُقامِهِ
بمكة . ولا خَصَّ اليوم الذي أنزل عليه فيه الوحي بعبادةٍ ولا غيرها ، ولا خَصَّ
المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيءٍ .

وَمَنْ خَصَّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعباداتٍ لأجلِ هذا وأمثاله كان من
جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمانَ أحوال المسيح مواسمَ وعبادات ، كيوم
الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله ، وقد رأى عمرُ بن الخطاب رضي الله
عنه جماعةً يتبادرون مكاناً يُصلُّون فيه ، فقال ما هذا ، قالوا : مكانٌ صلَّى فيه رسول
الله ﷺ فقال : أتريدون أن تتخذوا آثارَ أنبيائكم مساجدَ ، إنَّما هَلَك مَنْ كان قبلكم
بهذا ، فمن أدركته فيه الصلاة فليُصَلِّ وإلا فليَمُض .

فاتقوا الله - عبادَ الله - واحذروا البدعَ وأهلها وحذِّروا منهما ، فإنهما وباءٌ
خطير على دين المسلمين ، وتمسَّكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ، ففيهما النجاة
والخير والفلاح العاجل والأجل . . .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في التحذير من الابتداء

الحمد لله القائل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
[آل عمران : ١٠٣]

واعلموا أنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ التحذير من البدع والتصریح بأنها ضلالة ، فقد كان يقول : «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ . وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا . وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ» .

وكان الصحابة يُحذِّرون من البدع غاية التحذير ، وذلك لأن البدع زيادة في الدين ، وشرع ما لم يشرعه رب العالمين ، وتشبه باليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم ، وفي البدع تنقص للدين واتهامه بعدم الكمال . وتكذيب لقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة : ٣] .

وفي البدع إبعاد للمسلمين عن الدين الصحيح ، ونقلهم إلى الدين الباطل ، وهذا ما يُريده الشيطان ، فإن المبتدع أحب إلى الشيطان من العاصي المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب ، لأن العاصي يعترف أنه عاصٍ ويرجو أن يتوب ، بخلاف

المبتدع فإنه يعتبر ما هو عليه من البدعة هو الدين والطاعة، فلا يتوب منه. فاتقوا الله واشكروه على نعمة الإسلام، واقتدوا بنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، واعلموا أن الله أمركم أن تصلوا عليه على الدوام، فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاستجابة لله ولرسوله

الحمد لله رب العالمين، مَنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ . فقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . [آل عمران : ١٦٤]

وأشهد أن لا اله إلا الله لا شريك له مُخلصاً له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيُّهَا النَّاسُ : اتقوا الله تعالى واستمعوا لندائه، واستجيبوا لأوامره. واجتنبوا ما ينهاكم عنه لعلكم تُرحمون، يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنْدَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا أَسْمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تَحْشُرُونَ﴾ . [الأنفال : ٢٠ - ٢٤].

في هذه الآيات الكريمة يأمر الله بطاعته وطاعة رسوله، والاستجابة له ولرسوله عند سماع الأوامر والنواهي الصادرة عنه وعن رسوله، وينهى عن التشبه بالكافرين والمنافقين في عدم الطاعة والاستجابة لله ولرسوله، فإن الكفار أبوا أن يسمِعُوا كلامَ الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ٢٦] واليهود: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة : ٩٣] والمنافقون: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال : ٢١]

فهم يُظهرون أنهم قد سَمِعُوا واستجابوا وهم ليسوا كذلك، فهم يسمعون بأذانهم ولا يسمعون بقلوبهم، ثم أخبر سبحانه أن هذه الأصناف من بني آدم هم شرُّ الخلق والخليقة. فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال : ٢٢]

أي : الصم عن سماع الحق، البكم عن فهمه والنطق به، ووصفهم بأنهم : (لا يعقلون) أي : ليست لهم عقولٌ صحيحة يفكرون بها في العواقب، وإنما عقولهم لا تعدو التفكير بحاضرهم الدنيوي وملاذم العاجلة، فهم كالبهائم التي لا هم لها إلا فيما تأكل في بطونها، ولا تفكر في مستقبل ولا تستعد لحياة أخرى، لكنهم شرُّ من البهائم، لأن البهائم مطيعة لله فيما خلقها له، وهؤلاء خلُقوا للعبادة فكفروا، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤]

عباد الله : إنه مطلوب من المسلم أن يستمع إلى كلام الله إذا يُتلى، والاستماع إلى أحاديث رسوله إذا تُروى استماع تفهم وإدراك لمطالبهما، ثم بعد الاستماع والفهم لكلام الله وكلام رسوله يتجه المسلم إلى العمل بهما والاستجابة لمطالبهما، وإلا فإن الاستماع والفهم من غير عمل يكونان حجة على صاحبهما يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كُنْزُوا آيَاتِي تُنَالِي عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٥] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر : ٥٩]

واليوم يا عباد الله كم نقرأ ونسمع من الآيات والأحاديث، ونعرض عن العمل بما نسمع، مع أن ما نسمعه ولا نعمل به سيكون حجة علينا يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك».

لننظر ما مدى استجابتنا لنداءات الله المتكررة والمتنوعة في كتابه، . . يا أيها الناس، يا بني آدم، يا أيها الذين آمنوا. يا عباد، قال بعض السلف إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأصغ لها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تُحذر منه، وقد أخبر سبحانه أن ما يأمر به ويدعو إليه فيه حياة القلوب التي تترتب عليها الحياة الكاملة السعيدة للأبدان في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٢٤]

قال بعض المفسرين : (لما يُحييكم) هو القرآن . وقال بعضهم : هو الإسلام ، لأن فيه حياتهم من الكفر، كما قال تعالى : ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢]

وقيل : هو الجهاد لأن فيه عز المسلمين بعد الذل، والقوة بعد الضعف، ثم توعده سبحانه من لم يستجب لما دعا إليه فقال : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

فمن لم يستجب له ولرسوله عاقبه بصرف قلبه، فلا يقبل الحق بعد ذلك، كما قال تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام : ١١٠] وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف : ٥]

فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم فيحال بينكم وبين قبوله، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، ويقلب القلوب حيث يشاء، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : «يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وقال ﷺ : «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُصرفها كيف يشاء».

عباد الله : يقول الله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧]

إنه مطلوب منا الاستماع والاتباع ، مطلوب منا استماع كلام الله وكلام رسوله ، فإن من لم يسمع اليوم سيندم غداً حين يقول الكفار ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠]

مطلوب منا استماع الخطب والمحاضرات الدينية ، مطلوب منا حضور الدروس والندوات لنستمع ما يُفيدنا ونتفقه في ديننا ، مطلوب منا استماع البرامج الدينية المفيدة التي تُذاع وتصل إلى كُلِّ بيت وإلى كل مكان ، ولكن الكثير منا لا يسمعون ولو سمعوا فإنهم لا يعقلون ، إن الأرض إذا لم ينزل عليها المطر ويصل إليها الماء ماتت ، وكذلك القلوب إذا لم يصل إليها الوحي والذكر عميت ومريضة وماتت .

وإذا كان الإنسان لا يحضر خطبة ولا يسمع موعظة ولا يتلو قرآناً ، ولا يقرأ حديثاً عن رسول الله ﷺ فماذا ستكون حاله ، ومن أين يفقه في دينه ، وكيف يستجيب لله ولرسوله ؟

إن الاستجابة لا تكون إلا بعد سماع دعوة ، والله قد دعانا في كتابه وعلى لسان رسوله . فهو سبحانه يدعو إلى دار السلام ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١٠]

وَمَنْ سَمِعَ دَعْوَةَ اللَّهِ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَ .
﴿ وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي أَسْوَاقٍ مُبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٢]

من الناس مَنْ يرفض إجابة داعي الله بالكلية ، وهؤلاء هم الكفار والمنافقون الذين قالوا سمعنا وعصينا ، ومن الناس مَنْ يقبل ما يوافق هواه ويرفض ما خالفه . وهذا عبد لهواه ، وليس عبد الله المتبع لنداء مولاه ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبُرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص : ٥٠]

وهذا شبيه بالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فتراه يُدعى إلى حضور صلاة الجماعة في المسجد فلا يجيب، تراه يُدعى إلى ترك الربا، والرشوة والمعاملات المحرمة ولا يفكر في تركها والابتعاد عنها، تراه يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا يمتثل، مع أنه يتسمى بالدين، ويقول إنني من المسلمين، فهذا إن سلّم من الكفر لم يسلم من الفسق والنفاق وسوء الأخلاق.

إن دعوة الله تبليغ كل مكلف بطرق متعددة، من طرق تلاوة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن طريق الدعاة إلى الله، من طريق الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن طريق المنادين للصلاة في اليوم واللييلة خمس مرات، وهكذا لا تمر لحظة إلا ويسمع الإنسان داعياً إلى الله ويسجل عليه أوله ما يقابل به تلك الدعوة من إجابة أو رفض، ومن ثواب وعقاب..

عباد الله : ومن الناس من يؤثر سماع الأغاني والألحان، ومزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، ويؤثر الذهاب إلى الملاهي والملاعب على الذهاب إلى المساجد، ويؤثر الاستماع إلى المطرب فلان وإلى الأغنية الماجنة على الاستماع إلى الواعظ فيكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُفْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان ٦-٧]

نعوذ بالله من الخذلان، ومتابعة الهوى والشيطان، وبارك الله لنا ولكم

في القرآن...

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

من الخطبة الثانية في الاستجابة لله ولرسوله

الحمد لله الذي وعد المطيعين له ولرسوله أجراً عظيماً، وأعدَّ للمعرضين عنه وعن رسوله عذاباً أليماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكفى بالله عليمًا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأتمَّ نعمته عليه وهداه صراطاً مستقيماً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن هناك موانع تحول بين العبد وبين الاستجابة لله ورسوله ، فاحذروها . .

منها : التكبر عن قبول الحق كما حصل من إبليس لما أمره الله بالسجود لآدم ، فأبى واستكبر ، وقال : أنا خير منه .

وقد قال النبي ﷺ « الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » ، ومعنى «بطر الحق» دفعه وعدم قبوله .

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله : الحسد ، كما حصل من اليهود لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان به لم يستجيبوا له وكفروا به حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله التعصب للآراء والمذاهب والتقليد الأعمى لما عليه الآباء ، كما حصل من اليهود والمشركين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنُؤُمْنَ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة : ٩١] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُوكَا ءَابَاءُ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله اتباع الهوى ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا

لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءُ هُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص : ٥٠]

ولهذا قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » . . .

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله : الخوف من الناس وعدم الصبر على أذاهم ، قال تعالى عن كفار قريش : ﴿ وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [القصص : ٥٧]

فَهُمْ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الْهُدَى ، وَأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضَلَالٌ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَذَرُوا عَنْ اتِّبَاعِهِ بِمَا يَخْشَوْنَهُ مِنْ أَذَى النَّاسِ وَيَخَوِّفُهُمْ عَلَى أَمْنِهِمْ أَنْ يَتَزَعَّزَعُ ، وَهَذَا مِنْ فُسَادِ التَّصَوُّرِ وَانْتِكَاسِ الْفِطْرِ ، فَإِنَّ الْأَمْنَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهُدَى ، وَالْخَوْفُ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاتِّبَاعِ الضَّلَالِ ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْكُفَّارُ بِالْأَمْسِ هُوَ مَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ الْيَوْمَ حَيْثُ يَقُولُونَ : نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ ، وَأَنَّ مَا عَدَاهُ بَاطِلٌ ، لَكِنْ يَمْنَعُنَا مِنْ اتِّبَاعِهِ وَتَحْكِيمِهِ خَوْفُ الدُّوَلِ الْكَافِرَةِ أَنْ تَنَالَنَا بِسُوءٍ ، أَوْ تَصِفَّنَا بِالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّخْلُفِ ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ فَعْلَهُمْ هَذَا يَزِيدُهُمْ خَوْفًا وَضَعْفًا وَسَقُوطًا حَتَّى مِنْ أَعْيُنِ أَعْدَائِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥]

وقال النبي ﷺ «مَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ سَخَطَ اللَّهُ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» .

اتقوا الله - عباد الله - واحذروا من أسباب سخطه ، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على تعلُّم العلم النافع

الحمد لله الذي رفع من شأن العلماء العاملين . فقال في كتابه المبين :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر : ٩]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له شهادة الحق واليقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى وتعلَّموا من العلم ما تعرفون به ربكم ، ويستقيم به دينكم ، وتستنير به قلوبكم ، وتصلح به دنياكم وآخرتكم ، لأن العلم نورٌ يخرج من الظلمات ، وتزول به الشبهات ، وتستقيم به الأعمال ، فإن العمل بلا علم ضلالٌ ووبالٌ ، وفضائل العلم كثيرة :

أعظمها معرفة الرب سبحانه بأسمائه وصفاته ، ومنها أن العلم طريق إلى الله وإلى جنته . كما قال النبي ﷺ :

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ .

وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم . فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه من حديث أبي الدرداء .

وفيه الحثُّ على السعي في طلب العلم وذلك بالسفر إلى أهله حيث كانوا ويحفظه وكتابته وتدوينه، فقد كان السلفُ يرحلون المسافات الطويلة لطلب حديثٍ واحد. فقد رَحَلَ أبو أيُّوبَ الأنصاري من المدينة إلى مصر للقاء رجل من الصحابة يروي عنه حديثاً عن النبي ﷺ لم يكن عنده. وَرَحَلَ جابرُ بن عبد الله الأنصاري كذلك. وكان أحدهم يرحلُ إلى مَنْ دونه في العلم والفضل لطلب شيء من العلم عنده لم يبلغه، ويكفي في هذا ما قصَّه الله تعالى من خبر موسى عليه الصلاة والسلام ورحيله مع فتاه لطلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم واختصَّه من التكليم وكتبَ له في التوراة من كُلِّ شيء، ولما أخبره الله عن الخضر وأنَّ عنده علماً يختصُّ به سأل السبيل إلى لقائه ورحل في طلبه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آْبِرْ حَقِّي أَبْلُغْ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِ حُقُبًا﴾ [الكهف : ٦٠]

يعني : سنين عديدة. ثم إنه لما لقيه قال : ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف : ٦٦]

فلو استغنى أحدٌ عن الرحلة في طلب العلم لاستغنى موسى عليه السلام. وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يسأله المزيد من العلم، قال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] فلم يسأل ربُّه الزيادة من شيء إلا من العلم.

ومهما بلغ الإنسان من العلم فهناك مَنْ هو أعلم منه، قال تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٧٦]

قال الحسن البصري رحمه الله : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل وفي حديث أبي الدرداء : دليلٌ على أَنَّ الجنة لا يوصل إليها إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فَمَنْ طَلَبَ الجنة بذلك فقد طلبها من أيسر الطرق وأسهلها.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَظُنُّهُ طَرِيقُ الْجَنَّةِ بَغِيرَ عِلْمٍ، فَقَدْ سَلَكَ أَعْسَرَ الطَّرِيقِ وَأَشَقَّهَا، وَلَا يَصِلُ إِلَى مَقْصُودِهِ مَعَ تَحْمُلِهِ الْمَشَاقَّ، فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَإِلَى الْوَصُولِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَالْفَوْزِ بِقُرْبِهِ وَمَجَاوِرَتِهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَبِهِ يُهْتَدَى فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ. وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ كِتَابَهُ نُورًا يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦]

وفي حديث أبي الدرداء أيضا: أن العلم الذي يُمدح أهله ويُسمون العلماء حقيقة هو العلم الشرعي الذي جاءت به الرسل. حيث قال ﷺ: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر».

فكل مدح وثناء جاء في الكتاب والسنة للعلم والعلماء فالمراد به علم الأنبياء وحملته من المؤمنين العاملين به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩] وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة : ١١]

وقد شبه النبي ﷺ من حمل العلم الذي جاء به بالنجوم التي يُهْتَدَى بها في الظُّلُمَاتِ، فقال ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا طُمِسَتْ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهَدَاةُ» رواه الامام أحمد في «المسند».

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وهذا مثل في غاية المطابقة لأن طريق

التوحيد والعلم بالله وأحكامه وثوابه وعقابه لا يُدركُ بالحسِّ، إنما يُعرفُ بالدليل، وقد بينَ الله ذلك كُلَّهُ في كتابه وعلى لسانِ رسوله، فالعلماءُ بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء الذين يُهتدى بهم في ظُلُماتِ الجهل والشُّبُه والضللالِ، فإذا فُقِدُوا ضَلَّ السالكُ، وقد شُبِّه العلماءُ بالنجومِ . والنجومُ فيها ثلاثُ فوائد :

يُهتدى بها في الظلماتِ، وهي زينةٌ للسماء، ورجومٌ للشياطين الذين يَسْتَرْقُونَ السمع .

والعلماءُ في الأرض تجتمع فيهم هذه الأوصافُ الثلاثة: بهم يُهتدى في الظلماتِ، وهم زينةٌ للأرض، وهم رجومٌ للشياطين الذين يخلطون الحقَّ بالباطل ويدخلون في الدين ما ليس منه

وما دام العلمُ باقياً في الأرض فالناس في هُدًى، وبقاءُ العلم ببقاءِ حَمَلَتِهِ، فإذا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ وَقَعَ الناسُ في الضلالِ . كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعِلْمَاءُ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»

فتبين بهذا أَنَّ الذين يستحقُّون أَنْ يُسموا بالعلماء هم علماء الشريعة، لأنَّ العلم الحقيقي هو العلم الذي جاءت به الرسل . لقوله ﷺ : «والعلماء هم ورثة الأنبياء» .

فهم الذين في بقائهم في الأرض مصلحةُ العباد والبلاد، وبفقدِهِم تَفْقِدُ الأرضُ زِينَتَهَا، وبفقدِ أهل الأرض مَنْ يهتدون به في ظلماتِ الجهل والشُّبُه والشُّكوك، ويتسلَّطُ شياطينُ الإنس والجنِّ على إغواءِ الناس، ولا يجدون مَنْ يَرْجُمُهُم بِثَوَاقِبِ الْحُجَجِ الْعِلْمِيَّةِ التي تُبْطِلُ كَيْدَهُمْ وتَدْحِضُ حُجَّتَهُمْ، وقد صار اليوم كثيرٌ من الناس يُطلقون العلم على النظريات الحديثة في الطبِّ والاختراعات والصناعات، ويسمُّون المخترعين والمفكرين في النظريات الحديثة بالعلماء .

حتى صار لفظ العلم والعلماء لا ينصرف عند هؤلاء إلى هذه الأشياء وأصحابها .
وأما العلم الشرعي فلا يسمونه علماً ، ولا يُسمون أصحابه بالعلماء ، حتى لقد
سمِعنا أن منهم مَنْ يستنكر تسمية المعاهد التي تُدرس فيها علوم الشريعة واللغة
بالمعاهد العلمية ، لأن لفظ العلم يُراد به عندهم نظريات العصر وتقنياته ، حتى إن
أحدهم إذا أراد إن يمدح الإسلام أو القرآن قال : إنه لا يتعارض مع العلم . وكأن
الإسلام شيء والعلم شيء آخر ، بل بلغ الأمر ببعضهم أن يُفسر القرآن بالنظريات
الحديثة ومنجزات التقنية المعاصرة ، ويعتبر هذا فخراً للقرآن حيث وافق في رأيه
هذه النظريات ، ويسمى هذا بالإعجاز العلمي . وهذا خطأ كبير ، لأنه لا يجوز
تفسير القرآن بمثل هذه النظريات والأفكار ، لأنها تتغير وتتأقضى ويكذب بعضها
بعضاً ، والقرآن حق ومعانيه حق لا تتأقضى فيه ، ولا تتغير في معانيه مع مرور الزمن .
أما أفكار البشر ومعلوماتهم فهي قابلة للخطأ والصواب وخطؤها أكثر من صوابها ،
وكم من نظرية مُسلمة اليوم ، تحدث نظرية تكذبها غداً . فلا يجوز أن تربط القرآن
بنظريات البشر وعلومهم الظنية والوهمية المتضاربة المتناقضة .

وتفسير القرآن الكريم له قواعدٌ معروفة لدى علماء الشريعة ، لا يجوز
تجاوزها ، وتفسير القرآن بغير مقتضاها ، وهذه القواعد هي :

أن يُفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في موضعٍ منه فُصل في موضع آخر ،
وما أطلق في موضعٍ قيد في موضع ، وما لم يوجد في القرآن تفسيره فإنه يُفسر بسنة
الرسول ﷺ ، لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة له ، قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤]

وما لم يوجد تفسيره في السنة فإنه يُرجع فيه إلى تفسير الصحابة ، لأنهم
أدري بذلك لمصاحبتهم رسول الله ﷺ ، وتعلمهم على يديه ، وتلقيهم القرآن
وتفسيره منه . حتى قال أحدهم : ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف معانيهن
والعمل بهن .

وما لم يوجد له تفسيرٌ عن الصحابة فكثير من الأئمة يرجع فيه إلى أقوال التابعين لتلقيهم العلم عن صحابة رسول الله ﷺ وتعلمهم القرآن ومعانيه على أيديهم، فما أجمعوا عليه فهو حجة، وما اختلفوا فيه فإنه يُرجع فيه إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن.

وتفسير القرآن بغير هذه الأنواع الأربعة لا يجوز، فتفسيره بالنظريات الحديثة من أقوال الأطباء والجغرافيين والفلكيين وأصحاب المركبات الفضائية باطل لا يجوز، لأن هذا تفسير للقرآن بالرأي، وهو حرام شديد التحريم لقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأْيَهُ وَبِمَا لَا يَعْلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه ابن جرير والترمذي والنسائي، وفي لفظ: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ».

قال ابن كثير: لأنه قد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأت الأمر من بابه والله أعلم. هذا مع أن النظريات تتغير من حين لآخر، لأنها اجتهد بشرى يخطئ كثيراً، والقرآن حق لا يتغير.

فلنحذر يا عباد الله من هذا العمل ولا نتجرأ على تفسير كلام الله بغير علم. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أَيُّ أَرْضٍ تُقْلُنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظْلِنِي إِذَا قُلْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]

فلنتق الله عز وجل ولا نفسر كلامه العظيم بما لا علم لنا به، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في فضل العلم الشرعي

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى وأنزل عليه آيات بينات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الظاهرة والكرامات، وسلم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وتعلموا من العلم ما يستقيم به دينكم ، قال ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» .

فقد دلَّ هذا الحديث على أن الذي لا يفقه أمور دينه فإنَّ ذلك دليلٌ على أن الله لم يُردْ به خيراً ، ولو تعلَّم العلوم الدنيوية وتبحَّر فيها ، لأنها علومٌ معاشية فقط لا تستحقُّ مدحاً ولا ذمّاً . وقد وصف الله سبحانه أصحابها بأنهم لا يعلمون فقال : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ . [الروم : ٧]

فأكثرهم ليس لهم علمٌ إلا بالدنيا وشؤونها ، فهم فيها حُدَّاقٌ أذكياء ، وهم غافلون عن أمور الدين وما ينفعهم في الآخرة . .

قال الحسن البصريُّ : والله ليلبُّغ أحدُهم بدنياء أنه يقلِّب الدرهم على ظفره ، فيخبرك بوزنه وما يُحسِّن أن يصلي . وقد نفى الله عنهم العلم ، مع أنَّهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فدَلَّ على أن ذلك لا يستحقُّ اسمَ العلم ولا يستحقُّ صاحبه أن يُسمَّى عالماً ، لأنَّ العلم إذا أُطلق فالمرادُ به علم الشرع ، وإذا مُدِّح العلم فالمرادُ به علم الشرع . فأين هذا من الذين عكَّسوا الأمر وجعلوا العلمَ الدنيويَّ هو العلمَ عند الإطلاق ، وخلعوا على أصحابه ألقاب المديح والإكبار؟ مع أنَّهم في الغالب أجهلُ الخلق بأمور دينهم وآخرتهم ، وقد حمَلهم علمُهم هذا على الغرور والاستكبار في الأرض وإنكار وجود الخالق ، فهي هي الشيوعية والعلمانية

اليوم تُنكِرُ وجودَ الله وتستكبرُ بعلومها على عبادِ الله، وتختَرُعُ آلاتِ الدمار. ومن الأممِ الكافرة من أنكرَ علمَ الرسل واغترَّ بما عندهم من علم الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. [غافر : ٨٣]

قال ابن كثير : وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعيمهم عما جاءتهم به الرسل.

إنَّ العلمَ الشرعيَّ الذي جاءت به الرسل فيه صلاحُ العباد والبلاذ، أمَّا علومُ البشر ومخترعاتهم فالغالبُ أنَّ فيها الدمار وإهلاك الحرث والنسل، كما هو الواقع اليوم من الأسلحة الفتاكة والقنابل المدمرة، وعلومُ الشرع تُعرِّفُ بالله والدار الآخرة، وعلومُ البشر وتقنياتهم يغلبُ أنَّها تبعثُ على الغرور والجهل بالله وسننه الكونية وتُنسى الآخرة.

ونحن لا ننكرُ ما فيها من نفع إذا استُغِلَّت في الخير، وكانت بأيدي مؤمنة، ولكن ننكرُ أن تُحاطَ بهالة التقديس والإكبار، ويُطلَقَ عليها وعلى أصحابها العلم والعلماء، ويُفسَّرَ بها كتابُ الله وسنة رسوله.

حتى لقد بَلَغَ الأمرُ ببعضهم أن يُخَضَّعَ لها نصوصُ الشرع فلا يقبلَ من نصوص الشرع إلَّا ما يؤيِّده العلمُ الحديث بزعمه، كما فَعَلَ علماء الكلام من قبل، حيث أخضعوا نصوص الشرع لقضايا العقل. وقالوا قضايا العقل يَقينية، ونصوصُ الشرع ظنية ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨]

فالواجبُ على المسلم ألاَّ ينخدعَ بهذه الدعايات وأنَّ يعظَّمَ كتاب الله وسنة رسوله، كما قال ﷺ : « إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ... الخ ».

بسم الله الرحمن الرحيم

في جهاد النفس والشیطان

الحمد لله رب العالمين، أمر بالجهاد وجعله فريضةً على جميع العباد، بحسب الاستطاعة والاستعداد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُنجي مَنْ قالها وعمل بها يوم يقوم الأشهاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من جميع العباد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأمجاد. وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم المعاد... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وأطيعوه، يقول الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ . [الحج : ٧٨]

وهذا أمرٌ لعموم المسلمين بالجهاد، كلٌ عليه واجب منه حسب استطاعته، فقد أمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته، والجهاد أربع مراتب : أولها : جهاد النفس ، وثانيها : جهاد الشيطان . وثالثها : جهاد الكفار، ورابعها جهاد المنافقين . والأصل والأساس هو جهاد النفس .

فإن العبد ما لم يجاهد نفسه أولاً، فيبدأ بها ويلزمها بفعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه الخارجي، لأنه لا يمكن جهاد العدو الخارجي مع ترك العدو الداخلي، ولهذا قال ﷺ : «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» .

وكان ﷺ يقول في خطبة الحاجة : «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا» .

وقال ليحْصَيْن بن عبيد : «أُسْلِمَ حَتَّى أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا» فَأَسْلَمَ، فَقَالَ «قُل : اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رَشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي» ، فَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ لَمْ

يَصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لَأَنْهَا تَحَوُّلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ ، وَالنَّاسُ قَسَمَانِ : قَسَمٌ ظَفَرَتْ بِهِ نَفْسُهُ ، فَمَلَكَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ وَصَارَ مُطِيعاً لَهَا ، وَقَسَمٌ ظَفَرَ بِنَفْسِهِ فَقَهَرَهَا حَتَّى صَارَتْ مُطِيعَةً لَهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الْقَسَمَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ ﴾ [النازعات : ٣٧]

فَالنَّفْسُ تَدْعُو إِلَى الطَّغْيَانِ وَإِثَارِ الْحِيلَةِ الدُّنْيَا ، وَالرَّبُّ يَأْمُرُ عَبْدَهُ بِخَوْفِهِ وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى ، وَالْعَبْدُ إِمَّا أَنْ يُجِيبَ دَاعِيَ النَّفْسِ فِيهِلِكَ ، أَوْ يُجِيبَ دَاعِيَ الرَّبِّ فَيَنْجُو ، وَالنَّفْسُ تَأْمُرُ بِالشَّخِّ وَعَدَمِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالرَّبُّ يَدْعُو إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ ، فيقول سبحانه : ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [التَّغَابُن : ١٦]

فَالنَّفْسُ تَسْمَحُ بِالْمَلَايِينِ فِي سَبِيلِ الْبَذْخِ وَالْإِسْرَافِ ، وَلَا تَسْمَحُ بِالْقَرْشِ لِلْفَقِيرِ وَالْمَحْتَاجِ ، تَكُونُ تَارَةً أَمَّارَةً بِالسُّوءِ ، وَتَارَةً لَّوَامَةً تَلُومُ صَاحِبَهَا بَعْدَ الْوُقُوعِ فِي السُّوءِ ، وَتَارَةً مُطْمَئِنَّةً ، وَهِيَ الَّتِي تَسْكُنُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ ، فَكُونُهَا مُطْمَئِنَّةً وَصَفٌ مَدْحٍ لَهَا ، وَكُونُهَا أَمَّارَةً بِالسُّوءِ وَصَفٌ ذَمٌّ لَهَا ، وَكُونُهَا لَّوَامَةً يَنْقَسِمُ إِلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ .

وَجِهَادُ النَّفْسِ يَكُونُ بِمَحَاسِبَتِهَا وَمُخَالَفَتِهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ » . وَمَعْنَى (دَانَ نَفْسَهُ) : حَاسِبَهَا . . .

وَعَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ ، وَتُزِنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ : ﴿ يَوْمَ يُدْعَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ ۝ ﴾ [الْحَاقَّة : ١٨]

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسِبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ .

ولهذا قيل : النفس كالشريك الخَوَانِ ، إن لم تُحاسبه ذهبَ بمالك .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله : حاسب نفسك في الرِّخاء قبل حساب الشدة ، فإنَّ مَنْ حاسب نفسه في الرِّخاء قبل حساب الشدة عادَ أمره إلى الرضا والغبطة ، وَمَنْ ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة .

وقال الحسن : وإنما خَفَّ الحسابُ يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شَقَّ الحسابُ يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، ويعين الإنسان على محاسبة نفسه معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره ، وكلَّما أهملها اليوم اشتدَّ عليه الحسابُ غداً ، وأنه إذا حاسبها اليوم رِيحَ سُكْنَى الفردوس غداً ، وإذا أهملها اليوم فخرارته بدخول النار غداً .

فحقَّ على العاقل الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يَغْفَلَ عن محاسبة نفسه في حركاتها وسكناتها وخطواتها وخطراتها .

ويظهر التغابن بين مَنْ حاسب نفسه اليوم وَمَنْ أهملها في يوم القيامة .
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَاسِيًا ﴾ [آل عمران : ٣٠]

فاتقوا الله - عباد الله - وحاسبوا أنفسكم قبل يوم المعاد ، وجاهدوها في الله حقَّ الجهاد ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : جهاد النفس أربع مراتب :

إحداهما : أن تجاهدها على تعلُّم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلاَّ به ، ومتى فاتها علمه شَقِيَّتْ في الدارين .

الثانية : أن تجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلَّا فمجرد العلم بلا عملٍ إن لم يضرَّها لم ينفعها .

الثالثة : أن تجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه مَنْ لا يعلمه ، وإلَّا كان من

الذين يكتُمون ما أنزلَ الله من الهدى والبيّنات، ولا ينفعه علمه ولا يُنْجيه من عذابِ الله .

الرابعة : أن تجاهدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق وتحمَّل ذلك كلّه لله .

فإذا استكملَ هذه المراتب الأربع صار من الرّبّانيين ، فإنَّ السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يُسمَّى ربّانياً حتى يعرف الحقَّ ويعمَل به ويعلمه ، فمن عِلِم وعِمِل وعِلِم فذاك يدعى عظيماً في ملكوتِ السماوات .

وفي وصية لقمان لابنه قال : يا بُنَيَّ ، إن الإيمانَ قائدٌ ، والعمل سائقٌ ، والنفس حُرُونٌ ، فإن فترَ سائقُها ضلَّت عن الطريق ، وإن فترَ قائدُها حرَّت ، فإذا اجتمعا استقامت .

إنَّ النفس إذا أطمعت طمعت ، وإذا فوّضت إليها أساءت ، وإذا حملتها على أمر الله صلحت ، وإذا تركت الأمر إليها فسدت ، فاحذر نفسك واتهمها على دينك ، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها ولا بُدَّ له منها ، وإنَّ الحكيم يذلُّ نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق ، وإنَّ الأحمق يُخَيِّر نفسه في الأخلاق ، فما أحبَّت منها أحبَّ وما كرهت منها كره . . .

عباد الله : لا شك أنَّ النفس تكره مشقة الطاعة ، وإن كانت تعقب لذّة دائمة ، وتحب لذّة الراحة وإن كانت تعقب حسرة وندامة ، فهي تكره قيام الليل وصيام النهار ، وتكره التبكير في الذهاب إلى المسجد ، فكم من شخص يجلس الساعات في المقاهي والأسواق ويبخل بالدقائق القليلة يجلسها في المسجد ، تكره إنفاق المال في طاعة الله ، تكره الجهاد في سبيل الله . كما قال تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة : ٢١٦]

تكره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، تكره القيام

بالإصلاح بين الناس ، وهكذا ما من طاعةٍ إلا وللنفسِ منها موقفٌ الممانع المعادي ، فإن أنت أطعتهأ أهلكتك وخسرتهأ . كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ . [الزمر : ١٥]

إن أنت أطعتهأ فقد ظلمتهأ حيث عرّضتهأ لسخطِ الله وعقابه وأهنتهأ ، وأنت تظنُّ أنك قد أكرمتهأ حيث أعطيتهأ ما تشتهي ، وأرحتهأ من عناءِ العمل ومشقتهأ فحرمتهأ من الثواب .

عباد الله : والعدوُّ الثاني بعد النفس هو الشيطان ، عدوُّ أبينا آدمَ ، وعدوُّ البشرية كلّها وقد حذّرنا الله منه ، فقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِيَّ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ . [يس : ٦٠]

وقد أمرنا الله بالاستعاذةِ منه ، ومعناها أن نستجيرَ بالله من شرِّه ، فإن الشيطانَ الجنِّي لا يكفُّه عن الإنسانِ إلا الله ، فإن الشيطان قد يكونُ من الجنِّ ، وقد يكونُ من الإنس ، وقد يكونُ من الدوابِّ ،

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢]

وهم يتعاونون على إهلاكِ بني آدم :

شيطانُ الجنِّ بالوسوسة والإغراء بالشرِّ والتخذيل عن الخير ، وهو عدوُّ خفيٌّ لا يراه الإنسانُ لأنه يجري منه مجرى الدَّم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَفِيْلُهُ مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧]

ولا يمنع منه جدرانُ ولا أبواب ، وإنما يمنع منه ذكرُ الله .

وأما الشيطانُ الإنسيُّ فيراه الإنسان ويجالسه ويكلِّمه ويتلبَّسُ بلباس الدين والإنسانية ، وما أكثرَ شياطينِ الإنسِ اليوم ، وما أكثرَ دعايتهم للشرِّ فهم يدعون إليه بكل وسيلة ، يدعون إلى الإباحية والرذيلة باسمِ الحرية ، يدعون النساءَ إلى

الخروج من البيوت، وإلى العُري والسفور باسم إخراجها من الكُبت، ويدعون إلى سماع الأغاني والمزامير وتعاطي المخدرات وشرب الخمر باسم الترفيه، ويدعون إلى إضاعة الصلاة واتباع الشهوات وترك الجمع والجماعات باسم التسامح، ويدعون إلى تعطيل الشريعة وتحكيم القوانين باسم العدالة والمرونة، ويدعون إلى الشرك والبدع ويحذرون من التوحيد والتمسك بالسنن باسم حرية الرأي وترك الجمود، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويقفون في طريق الدعوة إلى الله، ويصدون عن سبيل الله ويشجعون العصاة، ويهينون أهل الطاعات من المؤمنين والمؤمنات، ويحاولون تعطيل الحدود باسم مساهرة الأمم المتحضرة وإن كانت كافرة. أولئك هم شياطين الإنس وهذه أعمالهم وعلاماتهم وهم من جنود إبليس وأعدائه وإخوانه، فاحذروهم وجاهدوهم حتى توفقوا زحفهم إلى بيوتكم ومجتمعاتكم...

لكن اعلموا يا عباد الله أن الشيطان الجني لا تمنع منه الحُجب والأبواب، ولا يُدفع إلا بالاستعاذة بالله منه ومن شره، والشيطان الإنسي تمنع منه الحُجب والأبواب ويُدفع بالحذر منه والابتعاد عنه وهجره، والرد على ما يؤدي به من الشبه والمقالات، والأخذ على يده ومنعه بالقوة من تنفيذ مخططاته، والتنبيه لكيدته ومكره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ هَذَا الْآدَمِيَّ واختاره من بين سائر البرية وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتُر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه، لأنه يدخل عليها بما تُحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد : ثلاثة مُسلطون آمرون... فاقترضت رحمة ربّه العزيز الرحيم أن أعانه بجند آخرين يقاوم بهم هؤلاء الجند

الذين يريدون هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربّه، ويُنّ له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يُلمّ به مرة، وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل. والمحموظ من حفظه الله تعالى، وجعل له مقابل نفسه الأمانة بالسوء نفساً مطمئنة إذا أمرته النفس الأمانة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة. وإذا نهته عن الخير أمرته به النفس المطمئنة. . وجعل له مقابل الهوى الحامل على طاعة الشيطان والنفس الأمانة نوراً وبصيرة وعقلاً يرّده عن الذهاب مع الهوى.

فالحمد لله الذي ردّ كيد الشيطان باتباع السنة والقرآن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾
إلى قوله : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس : ١ - ١٠]
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

من الخطبة الثانية : في جهاد النفس والشيطان

الحمد لله مُعِيذٍ مَن استعاذ به، ومُجِيرٍ مَن التجأ إلى جنبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا به، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتابه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليمًا كثيراً. . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعتصموا بحبله. وكونوا من حزبه : (فإنَّ حزب الله هم الغالبون) . . .

عباد الله : هناك حزبان : حزب الله تعالى . . . وحزب الشيطان .
فحزب الله : هم الذين آمنوا به واتبعوا رسله وجاهدوا في سبيله . . .

وحزبُ الشيطان: هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله، أولئك هم الخاسرون.. والله يدعو إلى دارِ السلام. ورسوله يدعو إلى الإسلام، والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحابِ السعير. ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]

فَمَنِ استجاب لدعوة الله فهو من حزبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

وَمَنِ استجاب لدعوة الشيطان فأضاع الصلاة واتبع الشهوات واستمع إلى أصوات المعازف والقيانات بدلاً من الاستماع إلى السُّور والآيات وأضاع الأوقات باللَّهو والغفلات، فلا شك أنه من حزبِ الشيطان، لا سيَّما إذا صار مع ذلك يدعو إلى الباطل ويحاول صرفَ المسلمين عن كتاب ربِّهم وسنة نبيِّهم ويجلبُ المبادئ الهدَّامة، والأفكارَ المنحرفة إلى مجتمع المسلمين، فاحذروا حزبَ الشيطان، واستعينوا بالله من شرِّهم، ولا تنخدعوا بدعاياتهم ومظاهرهم مهما تظاهروا لكم بالمحبة والنصح. فقد قال قائدُهم وإمامُهم إبليس لأبينا آدم عليه السلام ﴿يَتَّكِدُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]

بل غرَّ بالأبوين عليهما السلام بأن حلفَ لهما أنه لا يريدُ لهما إلا النَّصْحَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّالٌ فِي النَّصِيحِ﴾ [الأعراف: ٢١]

فانخدعا بذلك ووقعا في المعصية التي حذرهما الله منها وعوقبا بالإخراج من الجنة ثم من الله عليهما بالتوبة..

وقد حذرهم الله من هذا العدو فقال: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]

وجنودُ الشيطان وأعوانه اليوم كثيرون يدعون إلى الإباحية والكفر والضلال

باسمِ التَّقْدُمِ والرُّقْيِ والحضارة، وقد انخدعَ بهم كثير من الناس إلا مَنْ رحمهُ
الله . . .

فاتقوا الله - عبادَ الله - واحذروا من دسائسِ الشيطان وأعوانه، واعلموا أنَّ
خيرَ الحديث كتاب الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحسنة والسيئة

الحمد لله رب العالمين، يقبلُ التوبةَ من عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم
ما تفعلون، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، يعلمُ ما كان وما يكون، وما
تُسررون وما تُعلنون، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الصادقُ المأمون. صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه خيرِ القرون. وسلِّم تسليماً كثيراً. . أما بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى وأكثرُوا من الحسنات، فإنها طريقُ النجاة،
وتوبوا من السيئاتِ قبلَ الممات، فإنها طريقُ الهلكات، يقولُ الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ
تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل : ٨٩].

ففي هذه الآية الكريمة حثٌّ على فعل الحسنات، وأنَّ الله قد وَعَدَ فاعلَهَا
بوعدين كريمين :

الأول : أن يَجْزِيَهُ خيراً، وذلك بمضاعفتها إلى عشرِ حسنات وإلى أضعافٍ
كثيرة، كما قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠]
والوعد الثاني : أنَّ الله يؤمِّنُهُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يومَ القيامة، كما قال تعالى :
﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣]

وفي هذا أكبر حافز على فعل الحسنات والإكثار منها .

وفي الآية الكريمة التحذير من السيئات ، وأنَّ مَنْ جاء بالسيئة كُِبَّ وجهه في النار، وهذا وعيدٌ شديد وبيانٌ أنَّ السيئات طريق إلى النار، وذلك مما يوجب الحذر من السيئات والابتعاد عنها، وَمَنْ وَقَعَ في شيءٍ منها فإنه يجب عليه المبادرة بالتوبة منها .

والناس على ثلاثة أقسام : أصحابُ حسنات فقط وليس لهم سيئات، وهؤلاء في الجنة، وأصحابُ سيئات فقط وليس لهم حسنات، وهؤلاء في النار، وأصحابُ سيئات وحسنات، وهؤلاء قسمان :

من رَجَحَتْ حسناته فهذا من أهل الجنة .

ومن رَجَحَتْ سيئاته، وهذا من أهل النار، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٤] .

والحسنات أقسامٌ والسيئات أقسام :

فأعظمُ أقسام الحسنات حسنة التوحيد . وقد قال بعضُ المفسرين : إنها هي المعنية بهذه الآية : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [النمل : ٨٩] .

قال قتادة : مَنْ جاء بالإخلاص . وقال زين العابدين : من جاء بلا إله إلا الله .

وفي «الصحيحين» من حديث عتبان : «فإنَّ الله حَرَّمَ على النار مَنْ قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» .

وعن معاذ بن جبل قال قال رسولُ الله ﷺ : «مَنْ لَقِيَ الله لا يشركُ به شيئاً دَخَلَ الجنة» . وهذه الحسنة قد يُكْفَرُ الله بها جميع السيئات، كما روى الترمذي عن أنس سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «قالَ الله تعالى يا ابنَ آدم، لو أتيتني بقرابٍ

الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً».

قال العلامة ابن القيم في معنى هذا الحديث: ويُعْفَى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبه بالشرك ما لا يُعْفَى لِمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، فلو لقي الموحّد الذي لم يشرك بالله شيئاً ألبتة رَبَّهُ بِقُرَابِ الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرةً، ولا يحصلُ هذا لمن نقص توحيده، فإنّ التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذَنْبٌ، لأنه يتضمّن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه، ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قُرَابَ الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها قويّ.

القسم الثاني بعد حسنة التوحيد: الحسنات المفروضة كالصوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام وسائر الحسنات الواجبة كبرّ الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الضيف والجار إلى غير ذلك من فعل ما أمر الله به ورسوله. والقسم الثالث: الحسنات المستحبة من فعل نوافل العبادات، فإنّها تكمل بها الواجبات، وترفع بها الدرجات.

وكما أنّ الحسنات أقسامٌ، فالسيئات أقسام كذلك: وأعظم أقسام السيئات سيئة الشرك، وقد قال بعض المفسرين في هذه الآية. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠].

إنّ المراد بها سيئة الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري...

فدلّ ذلك على أنّ الشرك أعظم الذنوب، لأنّ الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لِمَنْ لم يتب منه، وأنّ الله حرّم الجنة على المشرك وجعل النار مأواه ومصيره خالداً فيها، وذلك مما يوجب على المسلم شدة الخوف من الوقوع في الشرك، وبعض

الناس قد يقع في الشرك لتحصيل بعض الأغراض، كأن يذبح للجن، أو يفعل شيئاً من أنواع السحر لأجل العلاج وشفاء المريض، أو يسأل الكهّان عن بعض الأشياء الغائبة ويصدقهم فيما يقولون . . .

ومن المنتسبين إلى الإسلام من يستغيث بالأموات ويطلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وهؤلاء قد أتوا بما يخرجهم من الإسلام، ويلحقهم بعبدة الأصنام، وأتوا بالسيئة التي لا تنفع معها طاعة ولا تصح معها عبادة إلا أن يتوبوا إلى الله تعالى .

القسم الثاني من أقسام السيئة : سيئة الكفر، وهو الجحود والخروج من الدين وهو نوعان :

كفر أصلي : وهو الذي لا يدين صاحبه بدين صحيح . . . وكفر ردّة : وهو الذي كان صاحبه على دين الإسلام ثم خرج منه بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام كأن يستهزيء بالدين أو بالرسول، أو يسب الدين أو الرسول، أو يتعلم السحر أو يعلمه، أو يدعي علم الغيب، أو يصدق من يدعي ذلك، أو يدعي النبوة، أو يصدق من يدعيها، أو يرى أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو غير ذلك من أسباب الردة . . .

القسم الثالث من أقسام السيئة : سيئة الفسوق وهو المعاصي التي دون الشرك والكفر وذلك بفعل شيء من كبائر الذنوب، كالزنى، والسرقة، وشرب المسكرات، وتعاطي المخدرات، وقذف المحصنات، وغير ذلك مما رتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو لعن فاعله، أو توعّد بال غضب أو النار. والكبائر كثيرة، ومنها: الغيبة والنميمة، وشهادة الزور، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم .

والقسم الرابع : من أقسام السيئة : سيئة المعاصي التي هي دون الكبائر، وهي ما يُسمّى بالصغائر، ويُسمّى باللّم، وهي خطيرة، لأن الإنسان قد يتساهل

فيها، وهي إذا تجمعت على الإنسان تهلكه . . . وفي الحديث : «إياكم ومُحقرات الذُّنوب، فإنَّ لها من الله طالباً، وقد قال بعضُ السلف: إنَّ الإصرارَ على الصغيرة يُصيرُها كبيرةً، وقالوا لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرارٍ، ويتضمَّن هذه الأقسام الثلاثة قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ لِإِيمَنِ وَرَتَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات : ٧]

فالمؤمن يكره السيئة بجميع أنواعها، وفي الحديث : «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ» .

فالمؤمن تُسرُّه الحسنة، لأنها محبوبةٌ لله تعالى : والمؤمن يُحبُّ ما يُحبهُ ربه، ولأنها تُقرِّبه من الله فيُكثر من الحسنات ويكره السيئة لأنَّ الله يكرهها، والمؤمن يكره ما يكرهه الله . ولأنَّ السيئة تُبعده عن الله، وإذا كره السيئة حملَه ذلك على تركها والتوبة منها، وهذا بخلاف الكافر والمنافق، فإنَّ كلاهما يكره الطاعة ويفرُّح بالمعصية، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنَ يَشَاءِ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءِ ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٧]

فاتَّقوا الله عبادَ الله، وأكثرُوا من الحسنات، وتوبُوا من جميع السيئات لعلَّكم تُرحمون .

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحسنه والسيئه

الحمد لله على فضله وإحسانه، يُحِبُّ المحسنين، ويقبلُ توبَةَ المسيئين،
ويعفِرُ للمذنبين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً
عبده ورسوله. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى
يوم الدين... أما بعد :

أيها الناس : اتَّقُوا الله تعالى ، وانظروا في أعمالكم وسَدِّدُوا أقوالكم ، فإنَّها
تُحْصَى وتُكْتَبُ عليكم وتحاسَّبون بها وتُجَازَوْنَ عليها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ الله كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسيِّئَاتِ ، ثم بَيَّنَ ذلك ، فَمَنْ هَمَّ
بحسنةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عنده حسنةً كاملةً ، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عنده
عشرَ حسناتٍ إلى سبعِ مئةٍ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ ، وإنْ هَمَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْهَا
كَتَبَهَا الله عنده حسنةً كاملةً ، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله سيئةً واحدةً » رواه
البخاري ومسلم .

وقد دلَّ هذا الحديث على أنَّ عملَ العبد يُكْتَبُ كُلُّه خيرُهُ وشره ، ويستوي
في ذلك ما عَزَمَ عليه في قلبه ولم يَعْمَلْهُ ، وما عَزَمَ عليه وعَمِلْهُ ، لكن ما عَزَمَ عليه
من الخير ولم يَتِمَّكُنْ من عمله يُكْتَبُ له حسنة ، وما عَزَمَ عليه وعمله يُكْتَبُ :
الحسنةُ بعشرِ حسناتٍ إلى سبعِ مئةٍ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ لا يَعْلَمُهَا إلا الله . . .
وما هَمَّ به من السيِّئَاتِ وتركه خوفاً من الله كَتَبَهُ الله له حسنةً كاملةً ، وما هَمَّ به وعمله
كَتَبَهُ الله سيئةً واحدةً . .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : اعْلَمْ أنَّ تَرَكَ السيئة على ثلاثة أقسام :
تارةً يتركها لله ، فهذا تُكْتَبُ له حسنةٌ على كَفِّهِ عنها لله تعالى ، وهذا عملٌ
ونيةٌ كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح : « فَإِنَّمَا يَتْرُكُهَا من جَرَاثِي » أي : من أجلي .

وتارةً يتركها نسياناً وذهولاً عنها، فهذا لا له ولا عليه، لأنه لم ينو خيراً، ولا فعل شراً.

وتارةً يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يُقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان سيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا نيَّاتِكُمْ وأعمالكم يضاعف الله لَكُمْ أجورَكُمْ ويُكفِّرْ عَنْكُمْ سيئاتِكُمْ، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله... الخ...

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على العمل الصالح

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيمُ الخبير، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفور. وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، البشيرُ النذير، والسراجُ المنير، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان إلى يومِ البعث والنشور، وسلِّم تسليماً كثيراً... أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ﴿ وَقَدْ مَوْا لَ أَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهٗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣]

عباد الله : إنَّ الإنسانَ خُلِقَ في هذه الحياة ليعملَ، ثم يُعْتَبَرُ يومَ القيامة ليُجْزَى على عمله، فهو لم يُخْلَقْ عَبَثاً، ولن يُتْرَكَ سُدىً، والسعيدُ مَنْ قَدَّمَ لنفسه خيراً، يجده عند الله ذُخْراً، والشقيُّ مَنْ قَدَّمَ لنفسه شراً تكون عاقبته خُسرًا.

فانظروا في أعمالكم، وحاسبوا أنفسكم قبل انقضاء أعماركم، فإنَّ الموتَ نهايةُ العملِ وبدايةُ الجزاءِ، والموتُ قريبٌ لا تدرون متى نزولُهُ، والحسابُ دقيقٌ لا تدرون متى حلولُهُ، والشيبُ نذيرُ الموتِ فاستعدُّوا له، وموتَ الأقرانِ علامةٌ على قُربِ موتِ أقرانهم، فتذكروا الموتَ، واعملوا لما بعده مما أنتم قادمون عليه ومقيمون فيه، ولا تشغلوا عنه بما أنتم راحلون عنه وتاركوه، ولا تغرَّنكم الآمالُ الطوال، وتنسوا حلولَ الآجال، فكُم من مؤمِّلٍ أملاً لا يدركُهُ، وكم من مُصبحٍ في يومٍ لا يدركُ غروبَهُ. ومُمسٍ في ليلٍ لا يدركُ صباحَهُ، وكم من يتمنى عند الموتِ أن يُتركَ قليلاً ليُصلِحَ ما أفسد، ويستدركَ ما ضيَّع فيُقالَ له: هيهات، إنَّ ما تتمنى قد فات، وقد حذرناك قبل ذلك وأنذرناك. بأن لا رجوعَ هناك. قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ [المنافقون : ٩]

عباد الله : إنَّ كلَّ إنسانٍ ينتهي عمله عند حلولِ أجله، وهناك أعمالٌ خيريةٌ يستمرُّ نفعُها وأجرها لصاحبها بعد وفاته، وهي أعمالٌ عمِلَها في حياته واستمرَّ نفعُها بعد مماته، فما دامَ نفعُها مستمرّاً فإنَّ أجرها يجري لصاحبها مهما طالَت مدتها، وهي كلُّ مشروعٍ خيريٍّ ينتفعُ به الناسُ والبهائمُ : كالأوقافِ الخيرية، والأشجارِ النافعة والمثمرة، وسقاياتِ المياه، وبناء المساجد، والمدارس، والذرية الصالحة، وتعليمِ العلمِ النافع، وإخراجِ الكتبِ المفيدة. ففي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له». فهذا الحديث يدلُّ على انقطاعِ عملِ الإنسانِ بموته، وأنَّ محلَّ العملِ هو مدةُ حياته في العملِ الصالح وأنَّ يحذرَ من الغفلة والإضاعة، وأنَّ يُبادرَ بفعلِ

الطاعات قبل الموت . ولا يؤخر ذلك إلى وقتٍ قد لا يُدرُكه ، والنصوص التي وردت بالحث على استباق الخيرات ، والمصارعة إلى الطاعات ، والمبادرة بالأعمال نصوص كثيرة ، مما يدل على أنها إذا لم يبادر إليها فاتت . كما يدل الحديث على استثناء الأعمال الخيرية التي يستمر نفعها بعد موت صاحبها وأنها لا تنقطع بموته ، بل يستمر أجرها ما دام ينتفع بشيء منها ، ولو طال بقاؤها ، وأنها يتجدد ثوابها بتجدد نفعها ، وهذه الأشياء هي :

أولاً : الصدقة الجارية . وقد فسرها العلماء بالوقف الخيري : كوقف العقارات ، والمساجد ، والمدارس ، وبيوت السكنى ، والنخيل ، والمصاحف ، والكتب المفيدة ، ووقف سقايات المياه من آبار وبرك وبرادات وغيرها . وفي هذا دليل على مشروعية الوقف النافع والحث عليه ، وأنه من أفضل الأعمال التي يقدمها الإنسان لنفسه في الآخرة ، وهذا بإمكان العلماء والعوام .

ثانياً : العلم النافع ، وذلك بأن يقوم الإنسان في حياته بتعليم الناس أمور دينهم ، وهذا خاص بالعلماء الذين قاموا بنشر العلم بالتعليم وتأليف الكتب ونسخها ، وبإمكان العامي أيضاً أن يشارك في ذلك بطبع الكتب النافعة أو شرائها وتوزيعها أو وقفها ، وشراء المصاحف وتوزيعها على المحتاجين أو جعلها في المساجد وهذا فيه حث على تعلم العلم وتعليمه ونشره ونشر كتبه لينتفع بذلك الناس في حياته وبعد موته . والعلم يبقى نفعه ما دام في الأرض مسلم وصل إليه هذا العلم ، فكم من عالم مات من مئات السنين وعلمه باقٍ ينتفع به بواسطة كتبه التي ألفها وتداولها الأجيال تلو الأجيال من بعده ، وبواسطة طلابه وطلاب طلابه ، وكلما ذكره المسلمون دعوا له وترحموا عليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وكم أنقذ الله بعالم مُصلح أجيالاً من الناس من الضلالة ، وناله مثل أجور مَنْ تبعه إلى يوم القيامة .

ثالثاً : الولدُ الصالح من ذَكَرٍ وأنثى ، وولد الصلب ، وولد الولد يجري نفعُهم لأبائهم بدعواتهم الصالحة المستجابة لأبائهم ، وبصدقاتهم عنهم ، وحجَّهم لهم ، وحتى دعاء من أحسنَ إليهم هؤلاء الأولاد من الناس فكثيراً ما يقول الناس للمحسنين رَحِمَ الله آبَاءَكُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ ، وفي هذا حُثٌّ على التزوُّج لطلب الأولاد الصالحين . ونهي عن كراهية كثرة الأولاد . فَإِنَّ بعضَ الناس قد تأثَّرَ بالدعايات المُضِلَّة ، فصار يكره كثرة الأولاد ويحاولُ تحديدَ النِّسل ، أو يدعو إليه ، وهذا من جهلهم بأمور دينهم ، ومن جهلهم بالعواقب ، ومن ضَعْفِ إيمانهم .

وفي هذا الحديث أيضاً الحُثُّ على تربية الأولاد على الصلاح وتنشئتهم على الدين والصلاح ليكونوا خَلَفاً صالحاً لأبائهم يدعون لهم بعد موتهم ويستمرُّ نفعُهم بعد انقطاع أعمالهم وكثيرٌ من الناس اليوم قد أهملَ هذا الجانب فلم يهتمَّ بتربية أولاده ، وإنما يهتمُّ بشأن دنياه ويهتمُّ بجمع الدراهم التي لا تبقى له ولا يبقى لها ، يرى أولاده على الفساد ولا يحاولُ إصلاحهم ، يراهم يفعلون المحرمات ويتركون الواجبات ، ويضيعون الصلاة فلا يأمرهم ولا ينهاهم ، يراهم يهيمون في الشوارع ويجلسون مع الأشرار ، وربما يذهبون إلى أمكنة الفساد ولا يهيمه ذلك ، ولا يُلقي له بالاً بينما لو أتلَّفوا شيئاً من ماله أو نقَصُوا شيئاً من دنياه لكانَ منه الرجل الحازم والمؤدب الشجاع ، والبطل المغوار - يَغَارُ لدنياه ، ولا يَغَارُ على دينه ، يهتمُّ بإصلاح ماله ، ولا يهتمُّ بصلاح أولاده . إنه بسبب ذلك شاعَ العقوقُ وكثُرَتِ القطيعة بين كثير من الآباء وأولادهم في حياتهم ، فكيف بعد مماتهم . فاتقوا الله أيُّها الآباء في أولادكم ليكونوا دُخراً لكم ولا يكونوا خسارةً عليكم ، واعلموا أنَّ صلاح الأولاد لا يأتي عفواً بدون بذلِ أسبابٍ وصبرٍ واحتسابٍ .

ويدلُّ هذا الحديث أيضاً على مشروعية دعاء الأولاد لأبائهم مع دعائهم لأنفسهم في الصلوات وخارجها وهذا من البرِّ الذي يبقى بعد وفاة الآباء .

وهذه الأمور المذكورة في هذا الحديث هي مضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتُومَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس : ١٢]

فما قَدَّمُوا : هو ما باسروا فعله في حياتهم من الأعمال الحسنة والسيئة .
وآثَرَهُم : ما تَرَتَّبَ على أعمالهم بعد موتهم من خيرٍ أو شرٍّ .

وما يصل إلى العبد من آثارِ عمله بعد موته ثلاثة أشياء :

الأول : أمورٌ عملها غيره بعد موته بسببه وبدعايته وتوجيهه إليها قبل موته .

الثاني : أمورٌ انتفع بها الغير من مشاريع نافعة أقامها الميت قبل موته ، أو أوقف أوقفها في حياته .

الثالث : أمورٌ عملها الحي وأهداها إلى الميت من دعاء وصدقة وغير ذلك من أعمال البرِّ . وروى ابن ماجه : «إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علمٌ نشره ، أو ولدٌ صالح تركه أو مصحفٌ ورثه ، أو مسجدٌ بناه ، أو بيتٌ لابن السبيل بناه . أو نهرٌ أجره ، أو صدقةٌ أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته» فاحرصوا رحمكم الله على بذل الأسباب النافعة وتقديم الأعمال النافعة التي يستمر نفعها ويجري عليكم أجرها بعد وفاتكم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف : ٤٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم .

من الخطبة الثانية في الحث على العمل الصالح

الحمد لله الذي جَعَلَ الدنيا مزرعة للآخرة، وحثَّ على اغتنام أوقاتها قبل فواتها وقبل الوقوع في الصفقة الخاسرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنعم علينا بِنِعْمِهِ الباطنة والظاهرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرة، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حقَّ جهاده حتى أصبحت ملة نبيهم هي الملة الظاهرة، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنه كما تَبَقَّى آثارُ الأعمال الصالحة ويجري نفعُها للعامل بعد موته . فكَذَلِكَ الأعمالُ السيئةُ يبقى شرُّها ويجري ضرُّها على عاملها بعد وفاته كما جاء في الحديث : «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا» ، وقال الله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُّوكَ ﴾ [النحل : ٢٥]

فالذي يُورِثُ للناسِ العلومَ الفاسدة والعقائدَ الباطلة يناله من شرِّها وعقوبتها بقدر ما يحصلُ بسببها من ضلالٍ .

والذي يُولِّفُ الكتبَ المنحرفة ، أو ينشرُها بينَ الناسِ يناله من إثمها ويجري عليه شرُّها ما بقيتْ هذه الكتبُ تُتداولُ بأيدي الناسِ ، ومِثْلُهُ الذي يُسَجِّلُ الأغاني الماجنة والأفلامَ الخليعة ، والذي يوجِدُ المشاريعَ الضارةَ كدورِ اللهو ، والسينما ، ومحلات التصوير ، أو المؤسساتَ الصحفية التي تُصدِرُ الصُّحُفَ والمجلات الخليعة التي تنشرُ الصورَ العارية ، والأفكارَ المسمومة ، والمقالاتِ المضلَّة ، يناله من شرِّها وإثمها ما بقيتْ هذه المؤسساتُ تنشرُ شرِّها وتَبَثُّ سُمومَها ، طالَ زمنُها أو قَصُرَ .

والذي يرَبِّي أولاده تربيةً سيئةً يناله من إثمهم ما عاشوا على الضلال والانحراف وما مارسوا الإثم والفسوق والعصيان، لأنَّهُ هو الذي عَوَّدَهُم على ذلك ونَشَأَهُم عليه، أو أهملَهُم صغاراً حتى ضاعوا كباراً. ولذلك ترون كثيراً من الأولاد المنحرفين إذا آذَوْا أحداً دعا عليهم وعلى آبائِهِم الذين رَبَّوَهُم على ذلك.

فاتقوا الله - عبادَ الله - وكونوا قدوةً في الخير، ولا تكونوا قدوةً في الشرِّ. والذي يؤسِّس البنوك والمؤسسات الربوية لتكونَ مصادرَ أويَّةٍ اقتصاديةٍ تمتصُّ دماءَ الشعوب، وتُدمِّرُ المجتمعات، وتحاربُ الله ورسوله، لا شكَّ أنه ينالُ مؤسَّسها الأول أوفرَّ نصيبٍ من إثمها، كما أنَّ ابنَ آدمَ الأول الذي قتل أخاه ظلماً وعدواناً يناله نصيبٌ من إثم كلِّ نفسٍ قُتلت بعده ظلماً وعدواناً، لأنَّه أولُ من سنَّ القتلَ. نسأل الله أن يجعلَنا قادةً وقدوةً في الخير ولا يجعلَنا قادةً وقدوةً في الشرِّ. ثم اعلَمُوا - عبادَ الله - أنَّ خيرَ الحديث كتابَ الله . . . الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

خصال من الإيمان

الحمدُ لله ذي الفضلِ والامتنانِ، يَمُنُّ على من يشاءُ بهدايته للإيمان. وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةٌ تُوجبُ لِمَنْ قالها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها دخولَ الجنانِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أنزلَ عليه القرآن. هدىً للناسِ وبيناتٍ من الهدى والفرقان. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان، وسلِّم تسليماً كثيراً. . . أمَّا بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وامثلوا ما أمركم به على لسانِ نبيِّه من حفظِ اللسانِ وكفِّ الأذى عن الجيرانِ وإكرامِ الضيفان. فقد روى أبو هريرة رضي الله

عنه أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » رواه البخاري ومسلم . . فهذه ثلاثة أشياء هي من خصال الإيمان ويؤمّر بها المؤمن :

الأولى : استعمال اللسان في النطق بالخير ، وكفّه عن النطق بالشر .

فالنطق بالخير يشمل ذكر الله تعالى بتلاوة القرآن ، والتهليل ، والتكبير والتسبيح ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة للمسلمين ، وتعليم الجاهلين ، والإصلاح بين المتخاصمين ، وإفشاء السلام ، ومخاطبة الناس بطيب الكلام ، لا سيّما أهل الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

[البقرة : ٨٣]

أي : خاطبهم بالقول الحسن .

وكفّ اللسان يشمل السكوت عن الكلام الخبيث ، وأشدّه كلمات الشرك والكفر ، وكلمات السبّ والشتيم ، والكذب ، وشهادة الزور ، والغيبة ، والنميمة ، وكذا السكوت عن فضول الكلام ، أي : الكلام الذي لا حاجة إليه ، والكلام بما لا يعنيه . . .

روى الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعاً : « لَا تَكْثُرُوا الْكَلَامَ بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسَ عَنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي » .

عباد الله : تحفظوا من ألسنتكم ففي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَبَيِّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

وخرّج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ » .

ثم إن كلامنا يُكْتَبُ علينا، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[ق : ١٨]

أي : ملكان موَكَّلان بالإنسان يكتبان عمله : الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات. ولهذا أمرنا النبي ﷺ بالحفظ، فقال: «فليقل خيراً أو ليصمت»، فأمر بقول الخير والصمت عما عداه، فرب كلمة أدخلت صاحبها في النار، ورب كلمة تسببت في قتل صاحبها، ورب كلمة فرقت بين الأحبة، ورب كلمة هيّجت فتنة وأثارت حمية جاهلية.

الخصلة الثانية. من الخصال التي أمر النبي ﷺ بها : إكرام الجار والإحسان إليه وكف الأذى عنه. وقد أوصى الله بالإحسان إلى الجار في محكم كتابه.

والجار : هو الذي يسكن إلى جوارك سواء كان بيته ملاصقاً لبيتك، أو كان قريباً منه، وقد قالت طائفة من السلف : حدُّ الجوار أربعون بيتاً من كل جانب، وإكرام الجار يكون بالإحسان إليه، من إعانته إذا احتاج، والإهداء إليه، وملاطفته بالكلام، ومناصحته إذا صدر منه مالا ينبغي في حق الله أو حق عباده.

وقد جاء في الأثر : «أندري ما حق الجار : إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدت عليه، وإذا مرض عُدته، وإذا أصابه خير هنيته، وإذا أصابته مصيبة عزيتته، وإذا مات أتبعته جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه».

وأما أذى الجار فهو مُحَرَّمٌ، شديد التحريم، لأن الأذى بغير حقٍّ محرَّم لكل أحد. ولكن في حق الجار أشدُّ تحريماً. ففي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ : أيُّ الذنب أعظم؟ قال : «أن تجعل الله نداً وهو خلقك»، قيل : ثم أيُّ؟ قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قيل : ثم أيُّ؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي شريح عن النبي ﷺ قال : «والله لا يؤمن،

والله لا يؤمن» قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

والبوائقُ: الغوائل والشرور كالتطلع إلى عورات الجيران بالنظر في بيوتهم من فوق السطوح، أو من خلال الفرج المفتوحة في الجدران، أو باستعمال المناظر التي تَكْشِفُ له ما في بيوت الجيران من المناظر المحرمة، أو بالاستماع إلى أحاديث الجيران وأسرارهم.

ومن أذية الجيران إزعاجهم بالأصوات التي تُقْلِقُهُمْ وتَحْرِمُهُمْ من النوم والراحة، لا سيما إذا كانت هذه الأصوات محرمة كأصوات الأغاني والملاهي التي تبثها وسائل الإعلام، أو آلات التسجيل.

ومن أذية الجيران طرح القمامة في طرقاتهم وأمام بيوتهم وإرسال مياه الغسيل في ممراتهم، وقد تُعَرِّضُهُمْ للانزلاق بها أو تؤذِيهِم بالروائح الممتنة.

الخصلة الثالثة مما أمر به النبي ﷺ إكرام الضيف

والضيافة من آداب الإسلام وأخلاق الأنبياء والصالحين، وقرى الضيف واجب في الإسلام إذا كان في مكان لا يوجد فيه فنادق ولا مطاعم. والضيافة الواجبة يومٌ وليلة إلى ثلاثة أيام، لما في «الصحيحين» من حديث أبي شريح رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قالوا وما جائزته؟ قال: «يومٌ وليلة»، قال: «والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة».

فالواجب المتأكد من الضيافة يومٌ وليلة، واليومان الباقيان من تمام الضيافة، وفي وجوبهما خلاف.

وقد جاء نهْيُ الضيف عن إطالة الإقامة عند المضيف، قال ﷺ «لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحَرِّجَهُ»، وفي رواية: «حتى يؤثمه». فعلى الضيف أن يتحرى

النزول عند مَنْ يستطيع القيام بضيافته، ويتجنب مَنْ لا يستطيع القيام بها لفقره، لأنَّ ذلك يُخرجه ويُسْقُ عليه . . .

ومن امتنع عن القيام بالضيافة الواجبة أثمَّ، لأنَّه ترك واجباً عليه، . .

وللضيف المطالبة بحقه من الضيافة وعلى مَنْ علِمَ بذلك من المسلمين مناصرته حتى يأخذ حقه. وفي «الصحيحين» من حديث عُقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول الله إنَّك تبعنا، فنزلَ بقومٍ لا يَقْرُوننا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إنَّ نزلتُم بقومٍ فأمرُوا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلُوا، فإن لم يفعلوا فخذُوا منهم حقَّ الضيف الذي ينبغي لهم».

وقال عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ لم يُضَيِّفْ فليس من محمدٍ ﷺ، ولا من إبراهيم عليه السلام».

وقال أبو هريرة لقوم نزلَ عليهم، فاستضافهم فلم يُضَيِّفوه، فنَحَى ونزل، فدعاهم إلى طعامٍ فلم يُجيبوه، فقال لهم: لا تُنزلُون الضيفَ، ولا تجيبون الدعوة، ما أنتم من الإسلامِ على شيءٍ.

عباد الله: إنَّ دين الإسلام يأمرُ بكفِّ الأذى وبذلِ المعروف والإحسان، لا سيَّما إلى الضيوف والجيران، وما ذاك إلا لأنه دينُ الرحمة ودينُ المواساة ودينُ التعاون على البر والتقوى، وقد كان حُسْنُ الجوار وكرمُ الضيافة خُلُقَيْنِ معروفين عند العرب في الجاهلية فأقرَّهما الإسلامُ وأكَّده عليهما، لأنَّه دينٌ يُنمي مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فالحمدُ لله على هذا الدين الذي هو أعظمُ نعمة على البشرية.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّهِ هِيَ أَقْوَمُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

من الخطبة الثانية في خصال من الإيمان

الحمد لله الذي أنعم علينا بدين الإسلام، الذي به هديتُنَا لدار السلام .
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مَنْ قال : ربُّنا الله ، ثم استقام .
وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله
وأصحابه البررة الكرام . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا ربكم وأحسنوا إلى من أمركم الله بالإحسان إليه ، قال
الله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٢٦]

جمع الله تعالى في هذه الآية عشرة حقوق ، بدأها بحقه سبحانه ، ثم حقَّ
الوالدين ، ثم حقَّ الأقارب ، ثم حقَّ الضَّعْفَةِ والمحتاجين من اليتامى والمساكين ،
ثم حقَّ الجيران والمخالفين ، ثم حقَّ الوافِدِ على الإنسان غير المقيم ، وهو ابن
السبيل ، ويدخل فيه الضيفُ ، ثم حقَّ المماليك من الأدميين ، وأدخل بعضُ
السلف ما يملكه الإنسان من البهائم . وقد جاء في «مسند البزار» من حديث جابر
مرفوعاً تقسيمُ الجار إلى ثلاثة أنواع : جارٌ له حقٌّ واحد ، وجارٌ له حقَّان ، وجارٌ له
ثلاثة حقوق . . . فأما الجارُ الذي له حقٌّ واحد فهو الجارُ غيرُ المسلم ، وغير
القريب له حقُّ الجوار فقط . والجارُ الذي له حقَّان : هو الجارُ المسلم الذي ليس
له قرابة . له حقُّ الإسلام وحقُّ الجوار . والجارُ الذي له ثلاثة حقوق : هو الجارُ
المسلم ذو الرَّحِمِ ، له حقُّ الإسلام ، وحقُّ الجوار ، وحقُّ الرحم .

وقيل : الجار ذو القربى : هو القريبُ الملاصق ، والجارُ الجُنُب : الجارُ

البعيد، وأما الصاحب بالجَنَبِ: فُفَسِّرَ بالزوجة وفُسِّرَ بالرفيق في السفر، ومن بابٍ أولى الرفيق الملازم في الحَضَرِ..

فاتقوا الله وأعطوا كل ذي حقَّ حَقَّهُ، فإنكم مسؤولون عن تلك الحقوق، واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها... الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في خلق الحياء وفوائده

الحمدُ لله ذي الفضل والإحسان، جَعَلَ الحياءُ شعبةً من شعب الإيمان، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ﴿يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩]

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى جميع الثقليين الإنس والجان، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نَشَرُوا دينه في جميع الأوطان.. وَسَلَّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى ، واستحيُوا منه حقَّ الحياءِ ، واعلمُوا أنه رقيبٌ عليكم أينما كنتم يسمَعُ ويرى ، فلا تبارزوه بالمعاصي وتَظَنُّوا أنكم تَخْفُونَ عليه ، فإنه يسمَعُ السِّرَّ والنجوى .

عبادَ الله : إنَّ الحياءَ خصلةٌ حميدةٌ تَكْفُفُ صاحبَهَا عما لا يليقُ . وقد قالَ النبي ﷺ : «إن الحياءَ لا يأتي إلا بخير» ، وأخبرَ أنه شعبةٌ من شعب الإيمان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قالَ : «الإيمانُ بضْعٌ وسبعون شعبةً ، أو بضْعٌ وستون

شعبة . فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان» . وقد مرَّ النبي ﷺ برجلٍ وهو يعطُّ أخاه في الحياء ، أي : يلومه عليه ، فقال : «دَعُهُ فَإِنَّ الحياءَ مِنَ الإيمان» . ذَلَّتْ هَذِهِ الأحاديثُ على أَنَّ الحياءَ خُلُقٌ فاضل .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : والحياءُ من الحياة ، ومنه الحياءُ للمَطرِ . وعلى حسب حياة القلب يكونُ فيه قوَّةُ خُلُقِ الحياء ، وقلةُ الحياء من موت القلب والروح ، فكلُّما كان القلبُ أحمى كانَ الحياءُ أتمَّ . فحقيقةُ الحياء أنه خُلُقٌ يبعثُ على تركِ القبائحِ ويمنعُ من التفريطِ في حقِّ صاحبِ الحق .

والحياءُ يكونُ بينَ العبدِ وبينَ ربِّه عز وجل ، فيستحي العبدُ من ربِّه أن يراه على معصيته ومخالفته ، ويكون بين العبد وبين الناس . فالحياءُ الذي بينَ العبدِ وربِّه قد بيَّنه ﷺ في الحديث الذي جاء في «سنن الترمذي» مرفوعاً أَنَّ النبي ﷺ قال : «استحيوا مِنَ الله حقَّ الحياء» . قالوا : إِنَّا نَسْتَحْيِي يَا رَسُولَ الله . قال : «ليسَ ذلكم ، ولكن من استحيى مِنَ الله حقَّ الحياء فليحفظِ الرأسَ ، وما وعى ، وليحفظِ البطنَ وما حوى ، وليذكرِ الموتَ والبلى ، ومن أراد الآخرة تركَ زينةَ الدنيا ، فمنَ فعَلَ ذلك فقد استحيى مِنَ الله حقَّ الحياء» ، فقد بيَّنَ ﷺ في هذا الحديثِ علاماتِ الحياء من الله عز وجل : أَنَّها تكونُ بحفظِ الجوارحِ عن معاصي الله ، وبتركِ الموتِ وتقصيرِ الأملِ في الدنيا ، وعدمِ الانشغالِ عن الآخرةِ بملاذِ الشهواتِ والانسياقِ وراءِ الدنيا . وقد جاء في الحديثِ الآخر : «أَنَّ من استحيى مِنَ الله استحيى الله تعالى منه» .

وحياءُ الربِّ من عبده حياءُ كرمٍ وبرٍّ وجودٍ وجلال ، فَإِنَّه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أن يرُدَّهُما صِفْراً ، ويستحي أن يعذِّبَ ذا شِيبةٍ شابت في الإسلام .

وأما الحياءُ الذي بين العبد وبين الناس ، فهو الذي يكفُّ العبدُ عن فعلِ مالا

يليقُ به، فيكره أن يطلعَ الناسُ منه على عيبٍ ومذمة، فيكفُّه الحياءُ عن ارتكابِ القبائحِ ودناءةِ الأخلاقِ، فالذي يستحي من الله يجتنِبُ ما نهاهُ عنه في كلِّ حالاته: في حالِ حضوره مع الناسِ، وفي حالِ غيبته عنهم. وهذا حياءُ العبودية والخوف والخشية من الله عز وجل، وهو الحياءُ المكتسبُ من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وقربه من عباده، وإطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور. وهذا الحياءُ من أعلى خِصالِ الإيمان، بل هو من أعلى درجاتِ الإحسان، كما في الحديث: «الإحسان أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والذي يستحي من الناس لا بُدَّ أن يكون مبتعداً عما يُدْمُ من قبيح الخصال. وسَيِّء الأعمال والأقوال، فلا يكون سبباً، ولا نمّاماً ومُغتتاباً، ولا يكون فاحشاً ولا مُتفحشاً، ولا يجاهرُ بمعصية، ولا يتظاهرُ بقبيح، حياؤه من الله يمنعه من فسادِ الباطن، وحياؤه من الناس يمنعه من فسادِ الظاهر، فيكونُ صالحاً في باطنه وظاهره، في سرّه وعلايته، فلهذا صار الحياءُ من الإيمان. ومن سلبَ الحياءَ لم يبقَ له ما يمنعه من ارتكابِ القبيح والأخلاقِ الدنيئة، وصار كأنه لا إيمانَ له، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» رواه البخاري. ومعناه: إنَّ مَنْ لم يستحِ صَنَعَ ما شاء من القبائح والنقائص، فإنَّ المانعَ له من ذلك هو الحياءُ وهو غير موجود، ومن لم يكن له حياءُ انهمك في كل فحشاء ومنكر.

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: إنَّ الله إذا أرادَ بعبد هلاكاً نَزَعَ منه الحياءَ، فإذا نَزَعَ منه الحياءَ لم تلقه إلا مقيتاً مُمَقَّتاً، فإذا كان مقيتاً مُمَقَّتاً نَزَعَ منه الأمانة فلم تلقه إلا خائناً مُخَوَّناً، فإذا كان خائناً مُخَوَّناً نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزع رِبْقَةَ الإيمان من عنقه، فإذا نزعَ رِبْقَةَ الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لَعِيناً ملعناً.

وعن ابن عباس قال: الحياءُ والإيمان في قرنٍ، فإذا نزعَ الحياءَ تبعه الآخرُ.

وقد دل الحديث وهذان الأثران على أن مَنْ فَقَدَ الحياء لم يبقَ ما يمنعه من فعل القبائح، فلا يتورع عن الحرام، ولا يخاف من الآثام، ولا يكفُ لسانه عن قبيح الكلام، ولهذا لما قُلَّ الحياء في هذا الزمان أو انعدم عند بعض الناس، كَثُرَت المنكرات، وظَهَرَت العورات، وجاهرُوا بالفضائح، واستحسنوا القبائح، وَقَلَّتِ الغيرةُ على المحارم، أو انعدمت عند كثيرٍ من الناس، بل صارت القبائح والرذائل عند بعض الناس فضائلَ وافتخروا بها. فمنهم المطرب والملحن والمغني الماجن، ومنهم اللاعبُ التاعب الذي أنهك جسمه وضَيَّعَ وقته في أنواع اللعب وفنون الرياضة التافهة كاشفاً لعورته أمام الناس إلا سترةً يسيرةً يضعها على عورته المَغْلَظَةِ. وأقلُّ حياءً وأشدُّ تفاهةً من هؤلاء المغنين واللاعبين مَنْ يسمع لغوهم أو ينظرُ ألعابهم ويضيِّعُ كثيراً من أوقاته في ذلك.

ومن قلةِ الحياءِ وَضَعَفِ الغيرةِ في قلوب بعض الرجال استقدائمُ النساءِ الأجنبية السَّافراتِ أو الكافرات، وخلطُهم لهنَّ مع عوائلهم داخلَ بيوتهم، وجعلُهنَّ يزاولنَ الأعمالَ بينَ الرجال، وربما يستقبلنَ الزائرينَ وَيَقْمَنَ بِصَبِّ القهوةِ للرجال. أو استقدائمُهم للرجال الأجانب سائقينَ وَخَدَّامِينَ يَطْلَعُونَ على محارمهم وَيَحْلُونَ مع نسائهم في البيوت وفي السيارات في الذهابِ بهن إلى المدارس والأسواق، فأينَ الغيرةُ، وأينَ الحياءُ، وأينَ الشهامةُ والرجولةُ؟

ومن ذهابِ الحياءِ في النساءِ اليومَ ما ظهر في الكثير منهن من عدم التستر والحجاب والخروج إلى الأسواقِ مُتَطَيَّباتٍ مُتَجَمَّلَاتٍ لابساتٍ لأنواعِ الحلي والزينة لا يُبالين بنظرِ الرجالِ إليهن، بل رُبَّما يفتخرنَ بذلك، ومنهن مَنْ تُعْطِي وجهها في الشارع، وإذا دَخَلَتِ المعرضَ كَشَفَتْ عن وجهها وذراعَيْها عند صاحبِ المعرض ومازحتَهُ بالكلامِ وَخَضَعَتْ له بالقول، لِيُطَمَعَ الذي في قلبه مرضٌ.

ومن ذهابِ الحياءِ من بعضِ الرجالِ أو النساءِ شَغْفُهُم باستماعِ الأغاني والمزامير من الإذاعات ومن أشرطةِ التسجيل، حتى إنهم يطلبون من الإذاعاتِ إعادةَ بثِّ هذه الأغاني ويَهْدُونَهَا إلى أقاربهم وأصحابهم.

وأين الحياءُ ممَّن يشتري الأفلامَ الخليعةَ ويعرضُها في بيته أمامَ نسائه وأولاده بما فيها من مناظرِ الفجورِ وقتل الأخلاق وإثارة الشهوة والدعوة إلى الفحشاء والمنكر؟

أين الحياءُ ممَّن ضيَّعوا أولادهم في الشوارع يخالطون من شاؤوا ويصاحبون ما هبَّ ودبَّ من ذوي الأخلاق السيئة، أو يضايقون الناسَ في طُرقاتهم ويقفون بسيارتهم في وسط الشارع حتى يمنعوا المارة، أو يهدِّدون حياتهم بالعبث بالسيارات وبما يُسمونه بالتفحيط؟

أين الحياءُ من المدخن الذي ينفث الدخان الخبيث من فمه في وجوه جلسائه ومن حوله، فيخنق أنفاسهم ويقرزُّ نفوسهم ويملاً مشامهم من نتنه ورائحته الكريهة؟

أين الحياءُ من الموظف الذي يستهترُّ بالمسؤولية، ويُتعبُ المراجعين بحبسِ معاملاتهم؟

أين الحياءُ من التاجر الذي يخدعُ الزبائن ويغشُّ السلع ويكذبُ على الناس؟

إن الذي حمل هؤلاء على النزول إلى هذه المستويات الهابطة هو ذهابُ الحياء كما قال ﷺ «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» فاتَّقوا الله عبادَ الله وراقبوا الله في تصرفاتكم.

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الحياء

الحمد لله الذي يمن على مَنْ يشاء من عباده بالفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالدين القويم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الحياء الممدوح هو الحياء الذي يكف صاحبُه عن مساوئ الأخلاق ، ويحمُّه على فعل ما يُحمُّه ويُزيُّنه . أما الحياء الذي يَمْنَعُ صاحبه من السعي فيما ينفعه في دينه ودنياه ، فإنه حياء مذموم ، وهو ضعفٌ وخَوَرٌ وعَجْزٌ ومهانة ، فلا يستحي المؤمن أن يقول كلمة الحق ، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يستحي المؤمن أن يسأل عن أمور دينه ، فإن الحياء الذي يَمْنَعُ من فعل الخير أو قول الحق إنما هو تخذيلٌ من الشيطان فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في الإنفاق في سبيل الله وإخلاص النية في ذلك

الحمد لله رب العالمين على فضله وإحسانه ، خلَقنا ورَزَقنا . وأمرنا بالإنفاق مما أعطانا ليدخر ثوابه لنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نقولها ونعتقدُها سرًّا وعلنًا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ما ترك خيراً إلا بيَّنه لنا ، وحَثَّنَا عليه وأمرنا ، ولا شراً إلا نهانا عنه وحذَرنا . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وسلّم تسليمًا كثيراً . . . أما بعد :

أبها الناس : اتقوا الله تعالى واشكروه على ما رَزَقَكُم وأنفقوا مما آتاكم ، واعلمُوا أَنَّهُ ليس لكم من أموالكم إلا ما قدمْتُمْ لِأَخْرَتِكُمْ ، قال ﷺ : «أَيْكُمْ مَالُ وَاثِرِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا : يا رسولَ الله ، ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قال : «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَاثِرِهِ مَا أَخَّرَ» رواه البخاري .

ومعناه : أَنَّ ما يُنْفَقُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ فِي وجوه البر والإحسان من الصدقات وإقامة المشاريع الخيرية ، والأوقاف النافعة وكفالة اليتامى ، وإطعام الجائعين وسدّ حاجة المحتاجين وإعانة المعسرّين ، كلّ هَذَا يَقْدُمُهُ أَمَامَهُ وَيَجِدُ ثَوَابَهُ مَدْخَرًا عِنْدَ اللَّهِ وَمُضَاعَفًا أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، فَهُوَ مَالُهُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَبْقَى لَدَيْهِ وَيَجْرِي نَفْعُهُ عَلَيْهِ ، وما عداه فَإِنَّ مِلْكِيَّتَهُ لَهُ مَحْدُودَةٌ بِحَالِ صِحَّتِهِ وَسَلَامَةِ فِكْرِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا مَرَضَ مَرَضَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ يُخَجَرُ عَلَيْهِ فَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِصَدَقَةٍ وَلَا هِبَةٍ ، بَلْ وَلَا يَصِحُّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِقْرَارُهُ بِحَقِّ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ . . .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ النِّصْدَقَةِ أَفْضَلُ أَوْ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ : «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ شَحِيحٌ صَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ ، وَلَا تُثْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا ، وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

ففي هذه الحال يُمنع الْإِنْسَانُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ الَّذِي أُنْعِبَ جِسْمَهُ وَفِكْرَهُ وَقَضَى عَمْرَهُ فِي جَمْعِهِ ، لِأَنَّهُ عَلَى وَشَكِّ زَوَالِ مِلْكِهِ عَنْهُ وَانْتِقَالِهِ إِلَى غَيْرِهِ . وَقَدْ فَرَطَ فِي حَالِ الصِّحَّةِ يَوْمَ أَنْ كَانَ مِلْكُهُ عَلَيْهِ تَأْمًا وَتَصَرُّفُهُ فِيهِ نَافِذًا ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْدِمَ مِنْهُ شَيْئًا لِنَفْسِهِ يَبْقَى لَهُ ، وَيَنْعَمُ بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ نَعِيمًا مُؤَبَّدًا . نَعَمْ ، قَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَهُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَنْ يُوصِيَ بِشَيْءٍ مِنْهُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِ فَأَقْلُ لَغَيْرِ وَارِثٍ .

عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِثُلُثِ أَمْوَالِكُمْ عِنْدَ وَفَاتِكُمْ زِيَادَةً فِي حَسَنَاتِكُمْ لِيَجْعَلَهَا لَكُمْ زِيَادَةً فِي أَعْمَالِكُمْ» . . .

فينبغي للمسلم أن يستفيد من هذه الصدقة التي تصدَّق الله بها عليه فيما ينفعه فيوصي بثُلث ماله فأقل في وجوه البر والإحسان، ولا يُضَيِّع ذلك فيما لا يحلُّ له، كأن يُوصي به في الإعانة على إثمٍ أو إحياء بدعة، أو يُوصي به لأحدٍ من ورثته محابة له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ أَوْ الْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضَرُهُمَا الْمَوْتُ، فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ، فَتَجُبُ لَهُمَا النَّارُ». وقرأ أبو هريرة: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] رواه أبو داود والترمذي...

فيا من أنعم الله عليهم بالأموال، قدّموا لأنفسكم من أموالكم ما تشترون به منازل لكم في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]

بعض الناس يجمع المال ويقول: أؤمن به مستقبلي، يعني مستقبلي الدنيوي، وهو لا يدري هل يعيش مستقبلاً يتمتع فيه بهذا المال أو يموت ويتركه لغيره، لكنه لا يفكر في تأمين مستقبله الذي لا بدُّ له منه في الدار الآخرة بأن يقدم من ماله ما يجده مدخراً مضاعفاً أضعافاً كثيرة، وهو أحوَج ما يكون إليه...

ثم انظروا يا عباد الله إلى كرم الله وفضله عليكم. فإنه يشتري منكم ما تفضّل به عليكم، ويأمركم بالإنفاق مما أعطاكم، ويقترض منكم مما آتاكم، فيقول سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [المنافقون: ١٠] ويقول سبحانه: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١٨] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]

عباد الله: ليس طلبُ الصدق خاصاً بالأغنياء، بل إنَّ الفقيرَ مطلوب منه أن يتصدَّق بما يقدر عليه ولو كان قليلاً، قال ﷺ: «فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وقال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَلَ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ

يقبلها بيمينه، ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»
وقد مدح الله سبحانه وتعالى الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...
ثم إن التصدق سبب لحصول الرزق والخلف من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا : ٣٩]

أي : يعطي بدله وخيراً منه في الدنيا والآخرة ويعوّض عنه أكثر منه...
فالصدقة لا تنقص المال، وإنما تزيد، قال ﷺ: «ما نقصت صدقة من
مالٍ»، وقال ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثاً فاحفظوه ما نقص مال عبد
من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب
مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» الحديث . رواه الترمذي، وقال: حديث حسن
صحيح .

فلا يتصور الإنسان من أن ما يتصدق به من المال قد تلف وذهب، بل يثق
ويوقن أنه هو الذي يبقى له ويضاعف، وما أمسك بيده هو الذي يذهب .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ «ما
بقي منها؟» قالت : ما بقي منها إلا كتفها، قال : «بقي كلها غير كتفها» رواه
الترمذي، وقال : حديث صحيح .

ومعناه : أنهم لما تصدقوا بها كلها إلا كتفها أخبر ﷺ أنها بقيت لهم في
الآخرة إلا كتفها الذي لم يتصدقوا به، فإنه لم يبق لهم ليبين ﷺ لأمتيه أن الذي
يتصدق به من المال هو الذي يبقى لصاحبه، وأن الذي لا يتصدق به هو الذي
يذهب ويزول عن صاحبه .

ومنع الصدقة سبب لتلف المال، قال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا
ملكان يتزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط
ممسكاً تلفاً» متفق عليه .

عباد الله : عليكم بالإِنْفَاقِ من جَيِّدِ المال ولا تنفقوا من رديئه، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ ۝﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

يأمر تعالى بالإِنْفَاقِ من جَيِّدِ المال، وينهى عن الإِنْفَاقِ من رديئه، ويقول : كما أنكم لا ترضون بالرديء لو دفعه إليكم غيركم، فلا تدفعوه إلى غيركم، فإنه لا يرضاه، فكيف ترضون للناس مالا ترضونه لأنفسكم .

ثم أخبر سبحانه أنه غني عن صدقاتكم، وإنما أمركم بالتصدق لأنفسكم، فلا تقدموا لها الرديء، فإنه لا ينفعكم، كما قال تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

أي : لن تكونوا من أهل الإحسان والتقوى والمنازل العالية في الجنة إلا إذا تصدقتم بأحب أموالكم إليكم .

ولما نزلت هذه الآية بادر الصحابة رضي الله عنهم بتقديم أنفس أموالهم وأحبها إليهم تقرباً إلى الله تعالى، فتصدق أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه بحائطه الذي هو أحب ماله إليه، وكان عند عمر جارية تعجبه، فأعتقها، وقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

وكذلك ابنه عبد الله كان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به ابتغاء وجه الله . .
وقد وصف الله الأبرار بقوله ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿فَمَا تَطْعَمُهُمْ كُفْرًا﴾
لأنهم لا يربطون كُفْرًا ولا شكوراً﴾ [الانسان : ٨ - ٩] .

وكثير من الناس اليوم لا يتصدقون إلا بالشيء الذي تعافه أنفسهم، أو يريدون أن يرموه في المزابل مما ذهب نفعه وقلَّت الرغبة فيه، وهذا لا يفيدهم شيئاً، كما قال الله تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢]

فعليكم عباد الله بالإنفاق من الطيبات، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً . والطيب هو الحلال الجيد .

واحذروا - عباد الله - من موانع قبول الصدقة التي منها أن يتصدق الإنسان وهو كاره، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ [التوبة : ٥٤] .

أي : ينفقون بغير انشراح صدر وطيب نفس ورغبة في ثواب النفقة . ومن كان كذلك فإنه يعتبر النفقة مغرمًا لا مغنمًا .

ومن موانع قبول الصدقة المن بها، قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

أخبر سبحانه أن الصدقة تبطل بالمن والأذى، وهي أن يفعل مع من تصدق عليه مكروهاً من الأقوال والأفعال، فهذا يُحبط به ثواب صدقته، لأن إثم المن والأذى لا يغطيه ثواب الصدقة . وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن بالصدقة، منها ما في «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطى . . . والمُسبِلُ إزاره . . . والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» .

ومن موانع قبول الصدقة : أن يقصد بها الرياء والسمعة، قال تعالى : ﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

ورثاء الناس : مرءاتهم .

والمرائي : هو الذي يُحب أن يرى الناس عمله، ويريد مدحهم وثناءهم عليه، ولا يريد ثواب الله، لأنه ليس في قلبه إيمان، وقد شبه الله قلبه بالحجر

الأملس المغطى بالتراب، فيظن الرائي أنه إذا أصابه المطر أنبت كما تبت الأرض الطيبة. . ولكن المطر يُزيل عنه التراب ويظهره على حقيقته حجراً لا يقبل الإنبات، وهكذا قلب المرائي الذي لا إيمان فيه، فأعماله ونفقاته باطلة لا أصل لها تؤسس عليه.

عباد الله : إن الشحَّ والبخلَ آفتان نفسيتان يمنعان من التصديق والإنفاق في سبيل الله، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُنتان من حديد من تديهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا يُنفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره. وأما البخل فلا يريد أن يُنفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » متفق عليه.

والجَنَّةُ : الدرْعُ، ومعناه أن المنفق كلما أنفق توسع درعه، وطال حتى يضيء عليه كله. والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه وتوسعت في الإنفاق والبخل إذا حدثها بها شحت بها، فضاق صدره، وانقبضت يداه.

فاتَّقُوا الله عباد الله، واحذروا الصفات المذمومة، واتصفوا بالصفات الحميدة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا

أُولَٰئِكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾
[المنافقون : ٩]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الانفاق

الحمد لله رب العالمين ، أغنى وأقنى ، ووعد مَنْ أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، بأن يُيسره لليُسرى ، وتوعد مَنْ بخل واستغنى وكذب بالحسنى بأن يُيسره للعُسرى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الآخرة والأولى ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص من بين الرسل بالشفاعة العظمى ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا ، وسلّم تسليمًا كثيرًا . . وأما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله ، وقدّموا لأنفسكم من أموالكم ، قبل مما لكم وانتقالكم ، واحرصوا على وضع الصدقات في مواضعها الصحيحة من إعطائها للمحتاجين من الفقراء واليتامى والمساكين والمدينين المعسرين ، واعلموا أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها ، لما فيه من البُعد عن الرياء ، والستر على الفقير الذي يستحي من أخذ الصدقة . وإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة شرعية بأن يكون قدوة لغيره في التصدق أو تكون في مشروع خيري ظاهر فلا بأس بذلك قال تعالى : ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَاصِدَقَاتٍ فَنُعَمَّاهُٓ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهُهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٧١]

وتحرّوا - عباد الله - بصدقاتكم المحتاجين المتعففين عن السؤال ، لأن هذا

الصف أفضل ما وُضعت فيه الصدقات، قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الذِّبْتِ
أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

فهم لا يستطيعون الاكتساب، ولا يسألون الناس تعففاً وحياءً، يحسبهم من
يجهل حالهم أغنياء من تسترهم، قال ﷺ : « ليس المسكين الذي يطوف على
الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرّة والتمرّتان، ولكن المسكين الذي لا يجد
غنى يغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس » متفق عليه .

والسائل له حق على المسؤول، فإن كان صادقاً في أنه محتاج فلا إثم
عليه، وإن كان كاذباً فإنه آثم، وما أخذه حراماً وسُحِت وجمر من جهنم، قال رسول
الله ﷺ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكْثَرًا - أي : من غير حاجة، وإنما يسأل ليكثر ماله - فإنما
يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إِنْ الْمَسْأَلَةُ كَذُّ يَكْذُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ
سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ » رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح . والكذ :
الخدش ونحوه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِإِحْدِكُمَا
حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَرْعَةُ لَحْمٍ » متفق عليه .

وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« لِأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَأْتِي بِحِزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ
فِيْبِعُهَا، فَيَكْفَى اللَّهَ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » رواه
البخاري .

نسأل الله أن يغنيننا بحلاله عن حرامه وأن يكفيننا بفضله عمن سواه . . . إن خير
الحديث كتاب الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحثّ على إخراج زكاة الحبوب والثمار

الحمد لله ربّ العالمين، حثّ على طلب الرزق والإنفاق في سبيل الله، وأشهّد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبُدُ إلا إياه، وأشهّد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ والاه، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واطلبوا الرزق من حِلّه ، وأنفقوه في وجوهه التي شرّع الله الإنفاق فيها . فقد جاءتْ نصوصٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنة في الحثّ على طلبِ الرزق والإنفاق في وجوهِ الخير . وقد دَمَّ الله الذين يجمعون المال ولا يُنفقون في سبيلِ الله . قال تعالى في وصفِ النار :

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَىٰ نَزَاعَةَ لِّلشَّوَىٰ تَدْعُو ۚ مَن أَذْبَرُ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۚ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۚ ﴾ [المعارج : ١٥ - ٢٥] .

وقد نهى الله عن المكاسبِ المحرّمة . فقال : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْطِإٍ ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُم ۚ ﴾ [النساء : ٢٩]

أي : لا يأكل بعضكم مال بعض من غير الوجه الذي أباحه الله . والأكلُ بالباطل أنواعٌ كثيرة كالربا، والقمار، والغش، والحيلِ الباطلة، والخصومات الفاجرة، والسرقة، والنهب، والاغتصاب، وبيع الأشياء المحرّمة كالمسكرات والمخدرات والدخان، وآلاتِ اللهو، والصُّور، وغير ذلك مما حرّمه الله، لأنّ الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه .

ولَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ : «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» رواه أحمد والبخاري وصححه الحاكم . والبيع المبرور : هو الخالص من الغش والحيل والكذب والأيمان الفاجرة .

ومن أنواع الكسب الطيب الزراعة وغرس الأشجار التي يُتَنَفَّعُ بِثَمَرِهَا . لِمَا فِي الزَّرَاعَةِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ مِنْ عَمَلٍ يَدٍ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّفْعِ الْعَامِ لِلْخَلْقِ .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُْرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَرْزُؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وفي رواية : «فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . وفي رواية : «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ» . رواه مسلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله : «سَبْعُ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَذَكَرَ مِنْهُنَّ «مَنْ غَرَسَ نَخْلًا» .

وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ»، قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ، «كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ، تَحْمِلُونَ الْكُلَّ وَتَفْعَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمُ الْمَعْرُوفَ وَتَفْعَلُونَ إِلَى ابْنِ السَّبِيلِ حَتَّى إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِنَبِيِّهِ إِذَا أَنْتُمْ تُحَصِّنُونَ أَمْوَالَكُمْ . فِيمَا يَأْكُلُ ابْنُ آدَمَ أَجْرٌ . وَفِيمَا يَأْكُلُ السَّبْعُ وَالطَّيْرُ أَجْرٌ» . قَالَ : فَرَجَعَ الْقَوْمُ، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا هَدَمَ مِنْ حَدِيقَتِهِ ثَلَاثِينَ بَابًا . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد :

وفي هذه الأحاديث فضل الزراعة وغرس الأشجار التي يُتَنَفَّعُ مِنْهَا الْخَلْقُ، وَلَا سَيِّمًا النَّخِيلَ، وَأَنَّ مَا أَكَلَ مِنْهَا يَعْلَمُ صَاحِبُهَا أَوْ بَغِيرِ عِلْمِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَأَنَّ الْأَجْرَ يَسْتَمِرُّ بِبَقَاءِ الْأَشْجَارِ الَّتِي يُؤْكَلُ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ الْإِنْفَاقَ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ .

وهذا الإنفاق منه ما هو واجب كالزكاة التي هي ركنٌ من أركان الإسلام وقرينه الصلاة في كتاب الله عز وجل، والتي قاتل الصحابة من منعها.

ومن الإنفاق ما هو مستحب كسائر الصدقات.

والإنفاق في سبيل الله واجباً أو مستحباً يُشرع في جميع الأموال. فقد أوجب الله في الأموال على اختلاف أنواعها أن تُخرج زكاتها منها، ففي النقود زكاة، وفي عروض التجارة - وهي السلع المعدة للبيع للتجار بثمنها - زكاة، وفي بهيمة الأنعام - وهي الإبل والبقر والغنم - زكاة، وفي الخارج من الأرض من الحبوب والثمار زكاة وأحكام ذلك مفصلة في كتب الفقه. وغرضنا الآن بيان زكاة الخارج من الأرض من حبوب وثمار، لأن الزراعة قد تطورت في هذا الزمان وسهلت تكاليفها. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ لِالْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٧]

يأمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يُنفقوا من جيد ما كسبوه من التجارات من النقود وعروض التجارة المعدة للبيع والشراء، وما اقتنوه للدر والنسل من بهيمة الأنعام وما أخرج لهم من الأرض من الحبوب كالبُر والشعير وأصناف الحبوب، ومن الثمار كالتمر والعنب، وهذا يشمل الصدقات الواجبة كالزكاة، والصدقات المستحبة كأنواع التطوعات، وينهى سبحانه عن إخراج الخبيث وهو الرديء الذي لو دفعة إليهم من لهم حق عليه لم يقبلوه منه إلا على كره، فكيف ترضون الله ما لا ترضونه لأنفسكم؟ فالواجب إخراج زكاة الشيء منه : الجيد من الجيد، والرديء من الرديء، والمتوسط من المتوسط. ومن أخرج الرديء عن الجيد لم يجزئه عن الواجب ولا يحصل له الثواب.

ثم بين سبحانه أنه غني عن المخلوقين وعن صدقاتهم، وإنما أمرهم بها

وحَثَّهم عليها لنفعهم هم ونفع إخوانهم المحتاجين ، ثم بيَّن سبحانه أنهم بين داعيَيْن : داعي الرحمن الذي يدعوهم إلى الإنفاق ، ويعدهم الخير والفضل والثواب ، وداعي الشيطان الذي يدعوهم إلى البخل ، ويخوفهم من الفقر . وقال تعالى : ﴿ لَنْ نَأْكُلَ الرِّحْقَ تَنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

فالذي يُنفق مما يكره لا ينال البرَّ ، فالواجب أن يجيبوا داعي الرحمن ، ويرفضوا ويحذروا داعي الشيطان .

وقد بيَّن سبحانه في آية أخرى وقت وجوب إخراج زكاة الحبوب والثمار . فقال تعالى : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١] .

أي : أخرجوا زكاة الزرع يوم حصاده ، ومثله الثمار ، فإنها تخرج زكاتها يوم جذاذها ، لأنه الوقت الذي تتم به النعمة على المزارعين وأصحاب النخيل بالتمكّن من الحصول على ثمارهم وحبوبهم ، وهو الوقت الذي تشوّف فيه نفوس الفقراء إلى الصدقات والمواساة ، ففي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الحبوب والثمار ، وأنه لا حول لهما ، بل حولهما وقت الحصول عليهما بالحصاد للزروع ، والجذاذ للنخيل ، وأنه لو أصاب الثمار والحبوب آفة ، فتلقت قبل الحصاد والجذاذ من غير تفريط من صاحبها ، فلا زكاة فيها . وقد بيّنت سنة النبي ﷺ المقدار الواجب إخراجهُ في زكاة الحبوب والثمار وأنه العشرُ فيما سقي بلا مؤونة ، ونصف العشر فيما سقي بمؤونة .

فعن جابرٍ ، عن النبي ﷺ قال : « فيما سَقَتِ الأنهارُ والغيمُ العشورُ ، وفيما سَقَى بالسانية نصفُ العشور » ، رواه أحمدُ ، ومسلم ، والنسائي ، وأبوداود ، وقال : الأنهارُ : العيون .

وعن ابنِ عمر أن النبي ﷺ قال : « فيما سَقَتِ السماءُ والعيون أو كان عثرياً العشرُ ، وفيما سَقَى بالنضح نصفُ العشر » .

فالحديثان يدلّان على أن ما يُسقى بلا نفقة كالذي يشرب من السيول أو من

الأنهار أو العيون ففيه العُشْرُ، وأنَّ ما يُسقى بنفقة كالذي يُسقى بالسواني أو المكائن الرافعة، ففيه نصف العشر.

عباد الله : جاء الوعيد الشديد في حق ما نعي الزكاة . قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنَّهُمْ آلَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران ١٨٠]

وقال رسول الله ﷺ : « يا معشر المهاجرين ، خصال خمس إن ابتليتم بهنَّ ونزلن بكم - أعود بالله أن تدركوهنَّ - : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ، ولم يَمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدوٌّ من غيرهم ، فيأخذ بعض ما في أيديهم . وما لم تحكُم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » رواه البيهقي .

وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وما تلف مالٌ في برٍّ ولا بحرٍ إلا بحبس الزكاة » رواه الطبراني

فدل الحديثان على أنَّ منع الزكاة يُسبب احتباس الأمطار التي فيها حياة الناس وحياة البهائم والأشجار ، ويُسبب تلف الأموال التي لم تُزكَّ . وأنتم ترون ما يَحِلُّ بالناس من تأخر نزول الأمطار وما يُصيب الزروع والثمار من الآفات التي تُتلفها أو تُنقص محاصيلها ، وذلك بسبب منع الزكاة .

قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَعُونَهُ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة : ٦٣ - ٦٧]

يُذَكِّرُ سبحانه عباده فيما يُلْقونه من البذر في الأرض : هل هم الذين أخرجه نباتاً من الأرض ثم نموه حتى تكامل وأخرجوا سنبله وصار حَبًّا حصيداً ، وثمرأً نضيجاً ، أم إنَّ الله سبحانه هو الذي فعَلَ ذلك كله ، ولم تفعلوا أنتم إلا حرث

الأرض وَوَضَعَ البذر فيها.

ثم مَن الذي يدفع عن هذا الزرع الآفات التي هو معرض لها من البرد والجزاد والأمراض، أتقدرون على دفع ذلك عنه لولا دفع الله عنه حتى يحين حصاده، ولو شاء الله لَسَلَطَ عليه ما يُتْلَفُه ويجعله محطماً أو ناقصاً لا حبَّ فيه، ولا تقدرون على دفع ذلك عنه، وإنما تتلاومون وتتساءلون عن السبب الذي قضى عليه، وتتحسرون على مصيبتكم وهلاك زروعكم مع ما بذلتم فيها من الأتعاب والنفقات، وتقرُّون بالعجز فاشكروا الله الذي زرعه لكم وحماه من الآفات، وتصدقوا منه على ذوي الحاجات، وأدوا ما فيه من حق الزكاة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ . [البقرة : ٢٧١] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على إخراج زكاة الحبوب والثمار

الحمد لله رب العالمين، يُمْنٌ على عباده بالأرزاق، ويأمرهم أن يُنفقوا ممَّا أعطاهم ليجدوه يوم التلاق. وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الخلاق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأفضل خلقه على الإطلاق، بعثه ليتمم مكارم الأخلاق، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة السَّابِق، وسلَّم تسليماً كثيراً... أما بعد:

أيها الناس : اتَّقُوا الله تعالى واسمعوا ما جاء في المتصدقين من زروعهم وأشجارهم من الوعد بالخير والبركة، وما جاء في الذين لا يتصدقون منها من الوعيد.

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما رجل يمشي في فلاة من

الأرض فَسَمِعَ صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان . ففتح ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرّة ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتنبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته يُحوّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع من السحابة ، فقال : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان - لاسمك - فما تصنع فيها . فقال : أمّا إذ قلت هذا ، فإنّي أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه ، وأكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه » رواه مسلم .

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ فَنُفِثَ عَلَيْهِمُ الطَّيْفُ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم : ٢٠] .
الآيات : إنه كان رجل له حديقة يسير فيها بسيرة حسنة ، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا ، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء وكانوا قد عزموا على صرام البستان أول الصباح قبل انتباه الناس وحضور المساكين ، فأحرقه الله بالليل عقوبة لهم على نيتهم السيئة ، فلما أصبحوا جاؤوا لتنفيذ ما عزموا عليه فوجدوها سوداء محترقة ، فظنوا أنها غيرها . فلما تحقّقوا أنها هي أدركوا أن الله عاقبهم وحرّمهم إيّاها ، فأخذوا بالتأسّف والتلاوم .

وهذه عبرة لكل من منع حق الله في ماله أن يعاقبه الله بإتلافه كله حتى يُصبح فقيراً مفلساً .

فاتقوا الله - عباد الله - واشكروا نعمة الله بأداء حقّها ، وتمسّكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ظاهرة التأخر في الحضور لصلاة الجمعة والجماعة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالمسارعة إلى الخيرات، وحذر من إضاعة الأعمار والأوقات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حث على المبادرة إلى حضور الجُمُوع والجماعات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كان تنافسهم في الطاعات، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واستجيئوا لنداء ربكم حيث يقول : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

واعلموا أن الأوقات تمضي ، والأعمار تنقضي ، ومن خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، والجنة لا تُدرَك بالتمني ، ولا بشرف النسب ، ولا بعمل الآباء والأجداد ، ولا بكثرة الأموال والأولاد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] .

وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .

فالجنة لمن آمن بالله وعمل صالحاً ، ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن كفر بالله ولو كان شريفاً قرشياً .

عباد الله : إننا نرى الكثير منَّا يتكاسلون عن الأعمال الصالحة ، وينشطون في طلب الدنيا ويتوسعون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي .

ولنضربُ لذلك مثلاً في علاقة كثير من الناس بالمساجد وحضور الجمعة والجماعة، فنرى الكثير يسكنون بجوار المساجد ولا يدخلونها، ولا يُعرفون فيها، يُجاورون المساجد ببيوتهم، ويبتعدون عنها بقلوبهم، وذلك دليل على ضعف الإيمان في قلوبهم أو انعدامه، لأنَّ عمارة المساجد بالصلاة والعبادة، والتردد إليها من أجل ذلك علامة الإيمان. قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وقال النبي ﷺ : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان». وتلا هذه الآية . ترى هؤلاء يملأون الأسواق، ويأكلون الأرزاق ولا يتجهون إلى المساجد، ولا يشاركون المسلمين في إقامة شعائر الدين. ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة : ١٩]

حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَجَرَ الْمَشْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَبَقِيَتْ أَوْزَارُهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ . . .

والبعض الآخر من الناس - وهم كثير - يأتون إلى المساجد في فتور وكسل، ويمضون فيها قليلاً من الوقت على مَضَضٍ وَمَلَلٍ ، فالكثير منهم إذا سمع الإقامة جاء مسرعاً ناثراً النفس، ودخل في الصلاة وهو مشوش الفكر، لم يراعِ أدب الدخول إلى المسجد، ولم يعمل بسنة الرسول ﷺ حيث يقول : «إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». وفاته أجر التقدم إلى المسجد، وانتظار الصلاة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الذي يجلس ينتظر الصلاة في المسجد كالمرابط في سبيل الله، وأنه يُكْتَبُ له أجر المصلي ما دام ينتظر الصلاة، وأن الملائكة تستغفر له ما دام كذلك، لكن اليوم يؤذّن المؤذّنون ويمضي وقت طويل والمسجد خالٍ ليس فيه أحدٌ إلى أن تُقام الصلاة، فيأتون متكاسلين .

عباد الله : إِنَّ التَّأخُّرَ فِي الْحُضُورِ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا أَنَّهُ يَفُوتُ أَجُوراً كَثِيراً فَهُوَ
أَيْضاً يَفْتَحُ بَابَ التَّهَانُورِ بِالصَّلَاةِ ، وَيَجْزِي فِي النِّهَايَةِ إِلَى تَرْكِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ . فَقَدْ
رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي
أَصْحَابِهِ تَأخُّراً ، فَقَالَ لَهُمْ : «تَقَدَّمُوا فَأَتُمُّوا بِي ، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ
يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» .

فَدَلَّ هَذَا عَلَى خُطُورَةِ التَّأخُّرِ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَّ الْمَتَأَخِّرِينَ عَاقِبُ
بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَخِّرُهُ عَنْ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ ، وَيَكْفِي فِي التَّنْفِيرِ عَنِ التَّأخُّرِ أَنَّ فِيهِ تَشْبُهًا
بِالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾

[التوبة : ٥٤] وَقَالَ فِيهِمْ : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ [النساء : ١٤٢]

أَعْتَقَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ كَانَ يَفُوتُهُمْ بِتَأْخِيرِهِمْ طَمَعٌ مِنْ مَطَامِعِ الدُّنْيَا لَجَاؤُوا مَعَ
أَوَّلِ النَّاسِ ، وَلَجَلَسُوا فِي الْإِنْتَظَارِ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةِ دُونَ مَلَلٍ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ
الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ .

لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْمَسَاجِدُ الْيَوْمَ مَهْجُورَةً مَغْلَقَةً غَالِبَ الْوَقْتِ ، لَا تُفْتَحُ إِلَّا بَضْعَ
دَقَائِقٍ وَبِقَدْرِ آدَاءِ الصَّلَاةِ عَلَى عَجَلٍ .

لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْمَسَاجِدُ تَشْكُو مِنْ قَلَّةِ الْمُرْتَادِينَ لَهَا وَالْجَالِسِينَ فِيهَا لِذِكْرِ
اللَّهِ ، لَقَدْ فَقَدَتِ الرِّجَالَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ فِيهَا بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً
وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ . فَقَدَتِ الْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السَّجُودَ الَّذِينَ يَعْمُرُونَهَا آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ
النَّهَارِ ، فَقَدْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ فِيمَا مَضَى بَيْوتًا لِلْعِبَادَةِ وَمَدَارِسَ لِلْعِلْمِ وَمِلْتَقَى
الْمُسْلِمِينَ وَمَنْطَلَقَهُمْ ، فِيهَا يَتَعَارَفُونَ وَيَتَأَلَّفُونَ ، وَمِنْهَا يَسْتَمِدُّونَ الزَّادَ الْآخِرَوِيَّ ،
وَنُورَ الْإِيمَانِ ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ ، بِهَا تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِلَيْهَا تَهْوِي أَفئِدَتُهُمْ ، هِيَ أَحَبُّ
إِلَيْهِمْ مِنْ بَيْوتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَلَا يَمْلُونَ الْجُلُوسَ فِيهَا ، وَإِنْ طَالَتْ مَدَّتُهُ ، وَلَا
يَسْأَمُونَ التَّرَدُّدَ عَلَيْهَا وَإِنْ بَعُدَتْ مَسَافَتُهُ يَحْتَسِبُونَ خُطَاهُمْ إِلَيْهَا وَيَسْتَمِرُّونَ وَقْتَهُمْ

فيها، فيسابقون في التبكير إليها.

أيها المسلمون : هذه حالة السلف في المساجد، واليوم كما تعلمون كثُر التأخر عن المساجد وقُلَّ الجلوس فيها، ففات بذلكم الخير الكثير على الأمة، وضعفت منزلة المساجد في قلوب كثير من الناس وقُلَّ تأثيرها فيهم، فظهر الجفاء وتناكرت القلوب، وتفككت الروابط حتى صار الجار لا يعرف جاره، ولا يدري عن حاله..

فاتقوا الله - عباد الله - وأعيدوا للمساجد مكانتها في قلوبكم، وبكروا في الذهاب إليها، وأكثروا من الجلوس فيها، واسمعوا ما جاء عن النبي ﷺ من الحث على المشي إلى المساجد والجلوس فيها لعلكم تذكرون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل مع الجماعة تُضَعَّفُ على صلاته ببيته وفي سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لا يُخرجُه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صَلَّى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» رواه البخاري.

وروى مالك في «الموطأ» من قول أبي هريرة : مَنْ توضأ فأحسن الوضوء، ثم خَرَجَ عامداً إلى الصلاة، فإنه في صلاة ما كان يعمدُ إلى الصلاة، وإنه يُكْتَبُ له بإحدى خطوتيهِ حسنة، ويُمحى عنه بالأخرى سيئة، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يَسع، فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً». قالوا: لِمَ يا أبا هريرة، قال: من أجل كثرة الخطأ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أَلَا أدُلُّكم على ما يَمْحُو الله به الخطايا ويرْفَعُ به الدرجات»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغُ الوضوء على المكاره. وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة،

فذلکم الرباطُ ، فذلکم الرباطُ ، فذلکم الرباطُ» رواه مالک ومسلم .

وعن بُريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «بَشِّرِ المشائين في الظُّلُمِ إلى المساجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يومَ القيامةِ» رواه أبو داود والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «أَحَبُّ البلادِ إلى الله تعالى مساجدُها ، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها» رواه مسلم .

عبادَ الله : لقد عَظَّمَ الله شأنَ المساجد ، وأثنى على الذين يعمُرونها بالطاعة ووعدهم جزيلَ الثواب . .

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥]

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرْزِقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في التحذير من التأخر في الحضور إلى المساجد

الحمد لله ربَّ العالمين ، جَعَلَ يومَ الجمعة عيداً لأهل الإسلام ، وأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة عند النداء إليها ونَهَى عن الانشغال عنها بجمع الحطام ، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك القدوس السلام ، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله ، حثَّ على التبكير في الحضور لصلاة الجمعة ، واهتم بذلك غاية الاهتمام ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وسلَّم تسليماً كثيراً . . أما بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه ، فإنَّ خيرَ

الزادِ التقوى . يقول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩]

سمَّى الله هذا اليومَ العظيم يوم الجمعة ، لأنَّ أهلَ الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع في المساجد الكبار لأداء الصلاة التي هي أعظمُ شعائر الدين بعدَ الشهادتين كما أنَّ هذا اليومَ قد اجتمع فيه من الخصائص ما لم يجتمع في غيره من أيَّام الأسبوع . ففيه كَمَلُ خَلْقِ السموات والأرض ، وفيه خُلِقَ آدم ، وفيه أُدْخِلَ الجنة ، وفيه أُخْرِجَ منها ، وفيه تقومُ الساعةُ ، وفيه ساعةُ الإجابة ، وهي ساعة لا يوافقها عبدٌ مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه .

وقد اختارَ الله هذا اليومَ العظيم لهذه الأمة ، وأصلُّ عنه مَنْ كان قبلها من الأمم ، فاختارت اليهودُ يومَ السبت ، واختارت النصارى يومَ الأحد ، واختارَ الله لهذه الأمة يومَ الجمعة الذي أكملَ الله فيه الخليفة ، وقد أمرَ الله المؤمنين فيه بالاجتماعِ لعبادته بأداء صلاة الجمعة ، وحَثَّهم على المبادرة بالحضور إليها والتفرغ لها من جميع أعمال الدنيا ، وقد حَثَّ النبي ﷺ على التكبير في الحضور والانتظار في المساجد حتى تُقام صلاة الجمعة وحَثَّ على أن يكونَ الإنسانُ على أحسنِ هيئة ، وفي أجملِ لباس وأطيبِ رائحة ، وحَثَّ على التنظفِ والاعتزال قبل الحضور .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» أخرجه الشيخان .

فدلَّ هذا الحديث على طلب التبكير في الحضور لصلاة الجمعة وانتظارها في المسجد حتى تُقام، وأن يُشغَلَ وقته حال الانتظار بصلاة النافلة والذكر وتلاوة القرآن، ودلَّ الحديث على أن الأجر يتفاوت بتفاوت الحضور، وأنه كلما بَكَرَ زاد الأجر، وكلما تأخَّرَ نقص الأجر، والظاهر أن الساعة الأولى تبدأ بعد طلوع الشمس، فمطلوب من المسلم أن يتوجَّه إلى صلاة الجمعة من بعد طلوع الشمس ليحصل على هذه الفضيلة. وكان المسلمون إلى عهد قريب يُبكرون في الحضور لصلاة الجمعة، ويملأون المساجد بوقت مبكر، وأمَّا اليوم فقلَّ من يعمل بذلك. . فالكثير لا يحضر إلا عند الخطبة أو عند الإقامة، أو في آخر الصلاة، فيُحرِّمون أنفسهم من أجر التبكير ومن سماع الخطبة. بل ربَّما لا يتمكنون من إدراك الصلاة، وهذا حرمان عظيم ونقص كبير، يجلس أحدُهم في بيته، وهو بجوار المسجد ولا يقوم إلى الصلاة إلا عندما يدخل الإمام يخشى أن يمضي شيئاً من الوقت في المسجد قبل حضور الإمام، وهو لا يأنسُ بجلوسه في المسجد، بل يعتبر ذلك حسباً. لأنه لا يدري عمَّا فيه من الفضل، بل يظنُّ أن المطلوب هو أداء الصلاة فقط، فلذلك لا يأتي إلا عند الإقامة، ولا يدري أنه مطلوب منه التبكير والانتظار، وأنَّ صرف الوقت في ذلك من أفضل الأعمال، ولا يدري أنه مطلوب منه سماع الخطبة والتذكير، ولا يدري أن الخطبة هي الذكر، أو هي من الذكر الذي أمر الله بالسعي إليه في قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة : ٩]

وذلك لأن الله شرَّع الخطبة لتعليم الناس ما يجهلون، وتحذيرهم مما يضرُّهم وتنبيههم وإرشادهم، فالخطبة درس الأسبوع وموعظة المسلمين، وكلُّهم بحاجة إلى استماعها والانتفاع بها.

فاتقوا الله - عباد الله - واهتمُّوا بالحضور لصلاة الجمعة مبكرين .
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر : ١٩]
وقد عاتب الله سبحانه من انصرف عن سماع الخطبة إلى طلب الدنيا،

فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ [الجمعة : ١١]

وقد أخبر النبي ﷺ أن الذي لا ينصت لسماع الخطبة يكون كالحمار يحمل أسفاراً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» رواه أحمد وغيره، وذلك لأنه تكلف الحضور، ولم يستفد منه، فهو كالحمار الذي يتكلف حمل الكتب الكبيرة وهو لا يستفيد منها. فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن خير الحديث . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في خصال الفطرة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخصه بالإنعام والتكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٤]

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أثنى الله عليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤]

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا تحت رايته، وتمسكوا بسنته، وكانوا على صراطٍ مستقيم، وسلم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعملوا بسنة نبيكم، كما أمركم الله بذلك فقال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[الحشر : ٧]

ألا وإن من سنته ﷺ العمل بخصال هي من خصال الفطرة، وفي العمل

بها جمال الإنسان ونظافته وحسن مظهره، ومخالفة أهل النقائص والمعائب من الكفرة والفسقة، وعدم التشبيه بالدواب من السباع والبهائم والحيوانات.

قال ﷺ : «خمس من الفطرة: الاستحداً، والختان، وقص الشارب. ونتف الإبط. وتقليم الأظافر». متفق عليه.

ومعنى الحديث : أن من فعل هذه الخصال الخمس فقد اتصف بالفطرة التي فطر الله العباد عليها، وحثهم على فعلها، لما فيها من جمال المظهر وحسن الهيئة ونظافة الجسم.

والفطرة : هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع، وأول هذه الخصال الاستحداً : وهو حلق العانة أو إزالتها بأي مادة مزيله لما في بقائها من التشويه وتراكم الأوساخ.

والثانية من خصال الفطرة الختان : هي قطع جميع الجلد التي تغطي حشفة الذكر وإزالتها، والمقصود من الختان : تطهير الإنسان من النجاسة التي تتجمع تحت القلفة لو بقيت، ويُسْتَحَبُّ المبادرة بختان الصبي، لأنه أسرع في البرء. ولينشأ الطفل على أكمل الأحوال.

والثالثة من خصال الفطرة : قص الشارب أو إحفاؤه وهو المبالغة في أخذه. وفي الحديث : «من لم يأخذ من شاربِه فليس مِنَّا» رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال : حديث صحيح، ومنه السبالان، وهما طرفا الشارب، فلا تجوز إطالتهما كما يفعل بعض الجهال. فقد روى الإمام أحمد وغيره : «قُصُّوا سبالا تكم ولا تشبهوا باليهود».

وقد ذكر العلماء من فوائد أخذ الشارب : عدم التشبه باليهود والمجوس، وحصول النظافة عند الأكل والشرب، لأن الشارب الطويل يعلق به شيء من الطعام والشراب فيتسخ بذلك، وربما ينغمس في الشراب فيكرهه غيره، وأيضاً قد

يَتَسَرَّبُ شَيْءٌ مِنَ الْأَنْفِ، فَيَتَلَبَّدُ عَلَى الشَّارِبِ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالتَّشْوِيهِ.

وجاء في الأحاديث الصحيحة أنَّ من خصالِ الفطرة إعفاء اللحية، وهو توفيرُها. ففي الصحيحين «خالفوا المشركين وَفَرَّوْا اللَّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ».

وفي رواية: «أوفوا اللحى»، أي: اتركوها وافيةً، وبعضُ الناس اليومَ ابتلوا بمخالفةِ أحاديثِ الرسول ﷺ ومخالفةِ سنته في اللَّحَى والشَّوَارِبِ، فبعضُهم يُوفِّرُ الشَّارِبَ ويحلِّقُ اللحية، وهذا الفعلُ فيه معاكسةٌ لأمرِ الرسول ﷺ، حيث وَفَّرَ ما أمرَ الرسولُ ﷺ بأخذه وإزالته، وأزال ما أمرَ الرسولُ ﷺ بإبقائه وتوفيره، فَحَلَقَ لحيته وأبقى شاربه تقليداً للمشركين ومخالفةً لسنة سيد المرسلين، وذلك لأنَّ الشيطانَ زَيْنَ له سوءَ عمله فرآه حَسَنًا، بل لقد بلغ الأمرُ أنَّ بعضَ الأنظمة في بعضِ الدول الإسلامية تفرضُ على منسوبيها حلقَ لحاهم ومُعاقبةَ مَنْ يُوفِّرونَ لحاهم بطردِهم من الخدمةِ الوظيفية.

ومن الناس من يقص لحيته ولا يُبقي منها إلَّا شيئاً يسيراً، وهذا يُخالف ما أمرَ به الرسولُ ﷺ مِنْ توفيرِها وإعفائها، فإنَّ معنى ذلك إبقاؤها كاملةً من غيرِ تعرُّضٍ لها بقصٍّ أو نتف، ولكنَّ الشيطانَ لما لم يدركْ منه إزالتها بالكلية اكتفى منه بإزالة بعضها، لأنه يريدُ منه مخالفةَ السنة على أي وجه.

ومن الناس مَنْ ابتليَ بصبغ لحيته بالسواد، وهذا محرَّمٌ، وعليه وعيدٌ شديد، لأنَّ النبي ﷺ نَهَى عن الصبغ بالسواد في أحاديثٍ صحيحة، وقد رَوَى أبو داود، والنسائي، وصحَّحَهُ ابنُ جَبَّان، والحاكم، عن ابنِ عباس: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ لِحَاهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

وهذا وعيدٌ شديدٌ يدلُّ على شدةِ تحريمِ هذا العمل، أمَّا تَغْيِيرُ لونِ الشيبِ بغيرِ السَّوَادِ فَإِنَّهُ مَشْرُوعٌ كَصَبْغِهِ بِالْحَنَاءِ أَوِ الْكُتْمِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِمَّا لَيْسَ لَوْنُهُ مِنَ الْأَسْوَدِ الْخَالِصِ.

ومما يُنْهَى عنه نتفُ الشيب، فقد قال النبي ﷺ : « لا تنتفوا الشيب فإنه نورُ المسلم » رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسنه .

وبعضُ الناس قد يفعلُ السيئتين بحيثُ يَقْصُرُ لحيته ويُبقي منها شيئاً قليلاً يصبغه بالسواد، وكلا الفعلين محرم ومَعْصِيَةٌ .

إنَّ اللحيةَ جمالُ الرجل وهيبته، وهي الفارقةُ بينَ وجه الرجل ووجه المرأة . فما بالُ بعضِ الناس يعادونها ويعبثون بها، لكنَّه التقليدُ الأعمى واتباعُ الهوى والشيطان، فالواجبُ على مَنْ ابتليَ بفعلِ شيءٍ من ذلك أن يتوبَ إلى الله وَيُطِيعَ رسولَ الله . فإنه ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠]

واهتدى بهدى الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤]

الخصلةُ الرابعة من خصالِ الفطرة : نتفُ الابط، أي : نزعُ ما نبتَ فيه من شعرٍ أو إزالته بأي وسيلة . كالحلق وأنواعِ المزيلاتِ لما في إزالته من قطعِ الرائحة الكريهة وإزاله الوسخ المجتمع عليه وغير ذلك من الفوائد . ولما في بقاءه من التشويه .

الخصلةُ الخامسة من خصالِ الفطرة : تقليمُ أظافرِ اليدين والرجلين، أي : قصُّها لما في تركها طويلاً من تشويه الخلقة والتشبه بالسباع، ولما يتراكم تحتها من الأوساخ المنافية للنظافة المطلوبة شرعاً، ولأنَّها تمنعُ وصولَ الماءِ إلى ما تحتها في الطهارة للصلاة . .

وبعضُ النساء وبعضُ الشباب قد ابتلوا بتطويلِ الأظافر وعدمِ قصِّها تشبهاً بالكفار ومخالفةً للسنَّة الثابتة عن النبي ﷺ وبعضُ النساء قد تَصْعُ على الأظافر صبغاً سميكاً يسمى بالمناكير يتجمدُ على الظفر، ويمنعُ وصولَ ماء الطهارة إليه، وهذه لا تَصِحُّ طهارتها لأنه قد بقيَ جزءٌ من جسمها لم يصله الماء وهذا خطرٌ عظيم يجبُ التنبيهُ له والتنبيه عليه .

ومن خصالِ الفطرة الثابتة بالأحاديثِ الكثيرة الصحيحة : السواكُ، فقد وَرَدَ في فضله والحثُّ عليه أكثرُ من مئة حديث، واتفقَ العلماءُ على أنه سنةٌ مؤكدة، وهو استعمالُ عود ونحوه في الأسنان، ليُذهبَ الصفرة ونحوها والرائحة الكريهة...

عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبي ﷺ قال : «السواكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ». رواه أحمدُ والنسائي والبخاري تعليقاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لَوْلا أَن أَشُقَّ عَلَى أَمْتِي لَأَمَرْتُهُمُ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» رواه الجماعة، وفي رواية لأحمد : «لَأَمَرْتُهُمُ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضوءٍ».

ويستحبُّ السواكُ كُلَّ وَقْتٍ، ويتأكَّدُ عِنْدَ الوُضوءِ قَبْلَ المضمضة، وعِنْدَ الصَّلَاةِ وقراءة القرآن والانتباه من النوم، وعِنْدَ تَغْيِيرِ رائحة الفم - لأنَّ المسلمَ ينبغي له أن يكونَ نظيفَ الفمِ طيبَ الرائحة دائماً، ولا سيَّما عند عِبادَةِ رَبِّهِ ومخاطبته، والدخول في بيتٍ من بيوته، فهو نوعٌ من التطهير المشروع من أجلِ الرَّبِّ سبحانه، لأنَّ مخاطبةَ العِظَمَاءِ مع طهارةِ الأفواه تعظيمٌ لهم، ولذلك قالَ النبي ﷺ : «السواكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ».

ويستحبُّ أن يستاكَ بعودِ الأراك فهو أحسنُ أنواعِ المسواكِ أو بمشراخِ عِذْقِ النخيلِ، أو بأيِّ شيءٍ يُزيلُ رائحةَ الفمِ، ويُنظفُ الأسنانَ. وفي السواكِ فوائدٌ كثيرة. فلا ينبغي للمسلم تركه. والله الموفق. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ..

من الخطبة الثانية في خصال الفطرة

الحمد لله الذي خَلَقَ الإنسان . وسَخَّرَ له كل شيء في هذه الأكوان . وأشْهَدُ
أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وحده لا شريك له ذو الْعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ ، وأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
ورَسُولُهُ إِلَى كَافَةِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كُلِّ
وَقْتٍ وَأَوَانٍ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . . . أما بعدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى بِفَعْلٍ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ ، وَاقْتَدُوا
بِرَسُولِهِ وَاعْمَلُوا بِسُنَّتِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ .

عِبَادَ اللهِ : يَنْبَغِي تَعَاهُدُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشْرَعُ اخْتُدَّهَا كَالشَّارِبِ وَالْأَظْفَارِ وَشَعْرِ
الْإِبْطِ وَالْعَانَةِ ، بِحَيْثُ لَا تُتْرَكُ تَطَوُّلٌ طَوْلًا مَشْوَهَا ، وَيَحْصُلُ مِنْهَا أَضْرَارٌ ، وَلَمَّا فِي
طَوْلِ بَقَائِهَا مِنْ مَخَالَفَةِ السَّنَةِ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : «وُقَّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ
الْإِبْطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةٍ .

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَرْكُهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَتَعَاهَدَهَا كُلَّ
أَسْبُوعٍ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ نَظِيفًا جَمِيلَ الْهَيْئَةِ عَامِلًا بِالسَّنَةِ ، وَلَا
يَتَجَارَى مَعَ الْعَوَائِدِ الْمَخَالَفَةِ لِلْسَّنَةِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ
مُحَمَّدٍ ﷺ . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الطهارة للصلاة

الحمد لله رب العالمين يُحِبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الطهارة مفتاح الصلاة ، ومن أعظم شروط صحتها ، قال الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦]

ففي هذه الآية الكريمة الأمر بالطهارة للصلاة من الحدث الأصغر بالوضوء ، ومن الحدث الأكبر بالاعتسال بجميع البدن .

وفيها أن الطهارة من الحدثين تكون بالماء الطهور عند وجوده والقدرة على استعماله ، فإن لم يجد الماء أو وجده ولم يقدر على استعماله لمرضٍ أو لكون الماء قليلاً لا يكفي لطهارته وحاجته إليه للشرب والطبخ ، فإنه يتيمم بالتراب بدلاً من الماء .

وفي الآية بيان تيسير الله لعباده ورفع الحرج عنهم فيما شرعه لهم من

الطهارة بالماء، أو بالتراب عند عدم الماء، أو العجز عن استعماله، وأنه سبحانه يريد أن يطهرهم من الحدث والنجاسة، ومن الذنوب والأخلاق الذميمة.

﴿وَلَيْتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة : ٦]

بالترخيص لكم بالتيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند تعذرها

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : ٦] الله على نعمته وتيسيره، ورفعته للخرج عنكم، وذلك بالثناء عليه سبحانه والاعتراف بفضله والقيام بطاعته.

وفي الآية الكريمة بيان أعضاء الوضوء، وهي الوجه واليدان، والرأس، والرجلان، وأن الفرض في الوجه واليدين والرجلين الغسل، والفرض في الرأس المسح بكامله، وأنه في الحدث الأكبر، وهو الجنابة ونحوها يجب غسل جميع البدن. وأما صفة التيمم بالتراب فقد بينتها السنة النبوية، وذلك بأن يضرب بيديه على تراب طهور له غباراً يعلق باليد، ويمسح بهما وجهه وكفيه، ومثل التراب ما كان عليه غباراً طاهر من فراش أو جدار ونحوهما، فإن لم يكن على الفراش أو الجدار ونحوهما غباراً، فإنه لا يجزئ التيمم بالضرب عليه.

عباد الله : وصفة الوضوء أن ينوي بقلبه، رفع الحدث، ثم يقول : بسم الله، ثم يغسل كفيه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ثلاث مرات، ويستنشق ثلاث مرات، ويبالغ في المضمضة بأن يدير الماء إلى أقصى فمه، ويبالغ في الاستنشاق بأن يجتذب بالماء إلى أقصى أنفه، إلا أن يكون صائماً، فإنه لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق خشية أن يذهب الماء إلى حلقه، ثم يغسل وجهه من منابت الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طويلاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، واللحية من الوجه يجب غسل ظاهرها ولو طالت، ويستحب تخليل باطنها بالماء، ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاث مرات، ثم يمسح جميع رأسه بأن يضع يديه مبلولتين بالماء على مقدم رأسه، ويمرهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان

الذي بدأ منه ، والأذنان من الرأس يمسح ظاهرهما وباطنهما ، وذلك بأن يدخل أصبعيه السبابتين في خرقى أذنيه ، ويدير إبهاميه على ظاهرهما ، ثم يغسل رجله ثلاثاً مع الكعبين . ويجب تعميم أعضاء الوضوء بجريان الماء عليهما ، فإن بقي منها شيء لم يصل إليه الماء لم يصح وضوؤه ، لما روى عمر رضي الله عنه أن رجلاً ترك موضع ظفر من قدمه اليمنى فأبصره النبي ﷺ فقال : «ارجع فأحسن وضوءك» رواه مسلم .

وإذا كان في بعض أعضاء الوضوء جرح يتضرر بالماء ، فإنه يجنب الماء الجرح ، ويغسل باقي العضو ، ويتم عن موضع الجرح ، وإن كان على الجرح غطاء من ضماد أو لصوق أو جبيرة على كسر ، فإنه يمسح عليه بالماء ويكفيه عن غسله .

وإذا كان على رجله خفان أو كنادر ساترة للكعبين وما تحتها فإنه يمسح عليهما ويكفيه ذلك عن غسل الرجلين . والشراب إذا كانت ضافية على الكعبين وما تحتها ، وكانت متينة تستر الجلد ، فإنه يمسح عليهما ويقومان مقام الخفين على الصحيح من قولي العلماء .

ومدة المسح على الخفين وما يقوم مقامهما من الشراب يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر الذي يباح له قصر الصلاة . وأما ما على الجرح من ضماد ونحوه فإنه يمسح عليه إلى نزعه أو برء ما تحته . وصفة الغسل من الجنابة ونحوها : أن ينوي الاغتسال للجنابة ونحوها ، ثم يسمي ، ثم يغسل كفيه ثلاثاً ، ثم يستنجي ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يحثي الماء على رأسه ثلاث مرات يعممه بها ويروي أصول شعره ، ثم يفيض الماء على سائر بدنه ويعممه به ولا يترك منه شيئاً لا يصل إليه الماء لأنه لو بقي منه شيء ولو قليل لم يغسله لم تصح طهارته حتى يغسله .

عباد الله : والحكمة - والله أعلم - في غسل هذه الأعضاء في الوضوء أنها

هي التي يباشرُ بها العبد ما يريدُ فعله ، وبها يعصي الله ويطيعه ، وهي أسرع ما يتحركُ من الإنسان للطاعة والمعصية . وقد أخبر النبي ﷺ أنه كلما غسلَ عضواً منها حطَّ الله عنه كلَّ خطيئةٍ أصابها بذلك العضو .

ولمَّا أمرَ سبحانه بغسلِ هذه الأعضاء في الوضوء وغسلِ جميعِ البدن في الاغتسال من الجنابة ونحوها قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦]

فبيّن سبحانه أن الحكمةَ في ذلك إرادته تطهيرَ المسلم من الحدثِ وتطهيره من الخطايا . وجاء في الحديث : أن هذه الأمة يُبعثون يوم القيامة غُراً مُحَجَّلِينَ من آثارِ الوضوء ويعرفون بذلك بين الأمم ، ممَّا يدلُّ على فضل الوضوء وفائدته للمسلم في الدنيا والآخرة .

وإذا فرغَ من الطهارة استحبَّ له أن يقولَ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله ، لما رَوَى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قالَ : « ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فيُسبِّغُ الوضوءَ ، ثم يقولُ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له . وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » رواه أحمد ومسلم . وفي رواية يقولُ زيادةً على ذلك : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » . والحكمةُ في قول هذا الذكر بعد الوضوء ليجمعَ بين طهارة الباطن بشهادة التوحيد وطهارة الظاهر بالوضوء .

عبادَ الله : إياكم والإسرافُ في الماء في الوضوء والاغتسال ، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك ، وكان ﷺ يتوضأ بالمُدِّ ، ويغتسلُ بالصاع ، وهو القدوة ﷺ ، فلاكثرُ من صبَّ الماء في الوضوء والاغتسال إسرافٌ لا داعيَ له ، وربما أن الإنسان يُسرفُ في صبِّ الماء ولا يتطهَّرُ الطهارة المطلوبة بحيث يبقى شيء لم يصلِ إليه الماء ، لأنه لم يتنبه لذلك .

فاتقوا الله - عبادَ الله - وحافظوا على الطهارة للصلاة وتطهروا كما أمركم الله، وابتعدوا برسولِ الله ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الطهارة

الحمد لله ربّ العالمين على فضله وإحسانه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً. . .
أما بعد :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الطهورَ شرط الإيمان، وأن التطهرَ للصلاة بالوضوء والاعتسال أمانةٌ بينَ العبد وبين ربه، يُسألُ عنه يوم القيامة. قال تعالى في وصف المؤمنين . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]

وبعض الناس يتساهل في شأنِ الطهارة فلا يُتمّها كما أمر الله، وقد يُصلي طولَ عمره أو غالبه من غيرِ طهارةٍ صحيحة فلا تصحُّ صلواته. ويُذكرُ عن بعض البادية أنهم يَتِمُّمون بالتراب دائماً مع وجودِ الماء، ويظنون أن التيممَ يكفي عن الماء، والله تعالى إنما جعلَ التيممَ بدلَ الماء عند فقده أو العجز عن استعماله، فمن تيمّم وهو واجدٌ للماء وقادر على استعماله لم تصحَّ صلاته، لأنّه صَلَّى بغير طهارة، فترك شرطاً من شروط صحة الصلاة.

واعلموا أنّه كما تجبُ الطهارةُ من الحدث بالوضوء أو الاعتسال تجبُ الطهارة من النجاسة في الثياب والبقة، فيجبُ أن يصلي ببدن طاهر وبثياب طاهرة، وفي بقعةٍ طاهرة. وإذا أصابت البدن أو الثوب أو البقعة نجاسة وجبَ

غسلُها بالماءِ حتى تزولَ .

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

شروط الصلاة

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، جعل إقامة الصلاة من أعظم صفات أهل الإيمان، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي مَنْ قالها وعَمِلَ بها من النيران، وتوجب له دخول الجنان، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله السَّيِّدَ بالمعجزات والبرهان، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيُّها النَّاسُ : اتقوا الله تعالى وَاَعْلَمُوا أنَّ الله سبحانه وتعالى أمرَ بإقامة الصلاة وأثنى على الذين يُقيمونها، ووعدهم بجزيلِ الثواب والسلامة من العقاب .

ومعنى إقامة الصلاة : الإتيانُ بها كما أمر الله في مواقيتها، ومع جماعة المسلمين في المساجد، وأن تكونَ مستوفيةً لشروطها وأركانها وواجباتها، وما تيسَّرَ من سُنَنِها، وذلك مما يستدعي منا ويؤكد علينا تعلُّمَ أحكامها ومعرفةَ ما يُشرعُ فيها، وما يُخلُّ بها أو يُنقصها، فإنَّ بعضَ الناسِ يحسبُ أنَّه يُصلي وهو لا يصلي لجهله بأحكام الصلاة وإخلاله بأحكامها، قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٥]

وذلك لأنهم يؤخِّرون الصلاةَ عن مواقيتها فهم يصلون صورةً ولا يصلون حقيقةً، فيستحقون العقاب على هذه الصلاة بدلاً من الثواب .

عباد الله : وإنَّ من أهمِّ ما يجبُ علينا أن نعرفَ شروطَ صحة الصلاة، التي

إذا اختل شرط منها لغير عذر شرعي بطلت الصلاة، لأنَّ المشروطَ تتوقف صحته على تحقق وجود الشرط .

ولذلك قال العلماء : الشرط : هو ما يلزم من عدمه العدم . . وقد ذكر العلماء أنَّ للصلاة تسعة شروط، أخذوها من أدلة الكتاب والسنة، وهذه الشروط هي :- الإسلام، والعقل، والتمييز، ورفع الحدث، وإزالة النجاسة، وستر العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية .

فالإسلام شرط لصحة كل عبادة، لأن الكافر لا يصحُّ منه عمل ولا تقبل منه عبادة، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥]

ومن زال عقله بجنون أو إغماء أو نوم أو سكر، فإنه لا تصحُّ منه صلاة في هذه الحالة . . . والسكران يجب عليه التوبة ، ويقام عليه الحد، ولا تصحُّ صلاته حال سكره لفقدان العقل، قال ﷺ : «رفع القلم عن ثلاثة الصغير حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ» .

والطفل غير المميز وهو من دون السابعة لا يؤمرُ بصلاة، ولا تصحُّ منه لو صَلَّى، وأما المميزُ فإنه يؤمرُ بالصلاة وتصحُّ منه نافلة، قال ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» .

وهذا أمرٌ يغفل عنه أو يتساهل فيه كثيرٌ من الناس اليوم فلا يأمرُون أولادهم بالصلاة، ولا يضربون مَنْ يستحقُّ الضرب على تركها، ويسألهم الله عن ترك هذا الواجب العظيم، وعن هذه الأمانة التي حملهم الله إياها فأضاعوها .

ومن شروط صحة الصلاة : الطهارة ، وذلك بالوضوء من الحدث الأصغر والاعتسال من الحدث الأكبر، وذلك بالماء الطهور، فمن لم يجد الماء أو وجدته وعجزَ عن استعماله لمرضٍ ونحوه، فإنه يتيَّمُ بالتراب، بأن يضرب بيديه على

الأرض أو على شيء له غبارٌ طاهر ويمسح بهما وجهه وكفيه ، قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة : ٦] .

ومن شروط صحة الصلاة : إزالة النجاسة من البدن والثوب والبقعة التي يُصَلِّي فيها ، لأنَّ النبي ﷺ خَلَعَ النعلين وهو في الصلاة لما علم أنَّ فيهما نجاسةً ، وأمر المرأة بغسل الدم الذي يصيب ثوبها من أجل الصلاة فيه ، وأمر بصب الماء على بول الأعرابي الذي بَالَ في طائفة المسجد .

ومن شروط الصلاة : ستر العورة ، والعورة : ما يُسْتَحَى منه ويقبح ظهوره ، وقد سَمَّى الله كشف العورة فاحشة ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَآلَهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ ﴾ . [الأعراف : ٢٨] .

وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيتِ عُراءَ ، ويزعمون أنَّ هذا من الدين ، فردَّ الله عليهم بذلك وأمر بستر العورة فقال : ﴿ يَبْنَئُ ءَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

فأمر الله بستر العورة عند كُلِّ صلاة وسمَّاهُ زينةً ، وقد أجمع العلماء على فساد صلاة مَنْ صَلَّى عُريَاناً وهو يقدرُ على سترِ عورته .

إنه يجبُ سترُ العورة دائماً في الصلاة وغيرها ، لأنَّ كشف العورة والنظر إليها يجر إلى الفاحشة ، ويُدُلُّ على عدم الحياء وفساد الخلق .

وإنَّ كَانَ شياطين الجن والإنس والدول المنحطة اليوم يعتبرون العري تقدماً وفضيلةً ؛ وحد عورة الرجل من السرة إلى الركبة ، هذا الذي لا بد من ستره ، ويُستحبُّ له أن يتجملَّ باللباس الزائد عن ذلك ، لأنَّ الله سبحانه أمر بقدر زائد على ستر العورة فقال : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

فأمر بالترزين باللباس للصلاة، وذلك زائد على ستر العورة، فينبغي للمسلم أن يلبس أحسن ثيابه وأجملها للصلاة، لأنه سيقف فيها بين يدي الله تعالى، كما تُسنُّ له النظافة في ثوبه وبدنه في الصلاة وغيرها. وأما المرأة الحرة فكلُّها عورة في الصلاة إلا وجهها، فإنه يباح لها كشفه في الصلاة، إلا إذا كان عندها رجال غير محارم لها، فإنها تُغطيه عنهم في الصلاة وغيرها. ولا بد أن يكون ما تستر به العورة ضافياً عليها يستر جميع بدنهما، وأن يكون ساتراً لما تحته، لا يرى من ورائه لون الجلد ولا يكون ضيقاً يبين تقاطيع بدنهما. فإن الصلاة لا تصح إلا مع الستر الكامل للعورة حسب الاستطاعة، هذا ويجب على كل مسلم ومسلمة ستر عورته في الصلاة حتى عن نفسه، وفي خلوة، وفي ظلمة، وخارج الصلاة.

وهذا أمر قد تساهل فيه كثير من الناس اليوم خصوصاً من يزاولون الألعاب الرياضية، وكثير من النساء عند الخروج من البيوت أو بحضرة الرجال تأثراً بما عليه المجتمعات الكفرية أو المجتمعات المتسمية بالإسلام حيث يعدون العري تقدماً وتحضراً وفضيلة، ويعدون الستر تأخراً ورجعية، وهذا من كيد الشيطان لبني آدم من قديم الزمان، وقد حذرنا الله منه، فقال سبحانه ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبِيْعًا﴾ [الأعراف : ٢٧]

فيجب على المسلمين الحذر من كيد شياطين الإنس والجن في هذا وغيره.

ومن شروط صحة الصلاة دخول وقتها، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣]

أي : مفروضة في أوقات معينة لا يصح فعلها في غيرها، فمن صلى قبل دخول الوقت، لم تصح صلاته. وكذا لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها من غير عذر شرعي.

ولهذا شرع الله الأذان إعلماً بدخول الوقت : ووقت الظهر يبدأ بزوال الشمس، ووقت العصر يبدأ بمصير ظل الشيء مساوياً له، ووقت المغرب يبدأ

بغروب الشمس، ووقتُ العشاء يبدأ بمغيب الشفق الأحمر، ووقتُ الفجر يبدأ بطلوع الفجر الثاني. وهذه علامات واضحة يعرفها العامي والمتعلم، ويجبُ على المسلمين التقيدُ بها، والمحافظةُ على أداء الصلاة فيها، وصلاة المسلمين جميعاً في المساجد فيها ضمانٌ للمحافظة على أدائها في أوقاتها، فهذا من أعظم فوائد صلاة الجماعة التي تساهل فيها اليوم كثيرٌ من الناس.

ومن شروط الصلاة: استقبال القبلة، وهي الكعبة المشرفة، قال الله تعالى: ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]

فَمَنْ كَانَ يَرَى الْكُعْبَةَ وَجَبَ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ نَفْسِ الْكُعْبَةِ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ، وَمَنْ كَانَ قَرِيباً مِنْهَا لَكِنَّهُ لَا يَرَاهَا لِحَائِلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا وَإِصَابَتِهِ لَهَا مَهْمَا أَمَكْنَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ كَانَ بَعِيداً عَنْهَا فِي أَيِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الْجِهَةَ الَّتِي فِيهَا الْكُعْبَةُ، قَالَ ﷺ: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ».

وهذا بالنسبة لأهل المدينة وَمَنْ كَانَ شِمَالِي الْكُعْبَةِ، وَمِثْلُهُمْ مَنْ كَانَ فِي الْجِهَاتِ الْأُخْرَى، فَأَهْلُ الْجَنُوبِ يَتَجَهَّوْنَ شِمَالاً، وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَتَجَهَّوْنَ غَرْباً، وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَتَجَهَّوْنَ شَرْقاً. وهذا من تيسير الله لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

أي: أين وجدتم في بر أو بحر أو جو، فاتجهوا في الصلاة إلى الجهة التي فيها الكعبة، ولا يضر الميل اليسير.

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْقِبْلَةِ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا السُّؤَالُ: بَأَن يَسْأَلَ مَنْ يَعْرِفُ اتِّجَاهَ الْقِبْلَةِ وَيَعْمَلُ بِخَبْرِهِ إِذَا كَانَ ثَقَّةً، وَمِنْهَا الْاسْتِدْلَالُ بِالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْجِبَالِ وَالرِّيَّاحِ وَالْأَنْهَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]

ومن شروط صحة الصلاة : النية ، وهي القصد والعزم على فعل العبادة ،
تقرباً إلى الله تعالى ، وهي شرط لصحة كل العبادات ، قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا
الأعمال بالنيات وإِنَّمَا لكل امرئ ما نَوَى » ؛ ومحلها القلب ، ولا يجوز التلفظ بها ،
لأنه بدعة . فلا يقول : نويت أن أصلي الظهر ، نويت أن أصلي العصر أو غير ذلك
من الألفاظ ، وإِنَّمَا يقصد ذلك بقلبه فينوي الصلاة التي يريد بها من فريضة أو نافلة
وأنها ظهر أو عصر أو غيرهما ، يَتَوَيَّها عند تكبيرة الإحرام لتكون النية مقارنة
للعبادة ، وإن تقدمت النية على تكبيرة الإحرام بزمان يسير بعد دخول الوقت
فلا بأس .

ويجب الحذر من الوسواس في ذلك ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كثيراً ما يتسلط على
الإنسان في شأن النية ، وفي تكبيرة الإحرام ، فيقول له : لم تنو ، لم تُكَبِّرْ ، لَمْ
لَمْ . . . حتى يُشْغِلَهُ عن صلاته ، أو يحمله على العمل بالبدعة وهو التلفظ بالنية ،
وهذا كله من وسوسة الشيطان ، فَإِنَّ المسلم إذا توضأ ، وخرَجَ إلى المسجد ووقف
في الصف فإنه قد نوى ولو لم يتلفظ ، ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه ولا الأئمة
المعروفون من السلف يجهرون بالنية ، لأن النية عمل قلبي ، والله تعالى يعلم ما
في القلوب ، ولو لم يتلفظ بذلك اللسان . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ
نُفُوسَ بَدِيعٍ فَنَسُوهُ ﴿١٦﴾ [ق : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٦] .

فاتقوا الله - عباد الله - وأدوا الصلاة كما شرعها الله ، وكما بينها رسول الله ،
وأخلصوا لله في جميع أعمالكم وأقوالكم ونياتكم ومقاصدكم ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا
ما كان خالصاً لوجهه وصواباً على سنة رسوله ﷺ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ
الرَّكَعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في بيان شروط الصلاة

الحمد لله رب العالمين ، أمر بالمحافظة على الصلاة إلى الممات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألهيته وماله من الأسماء والصفات ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرات . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب العظيمة والكرامات ، وسلم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن هناك أمكنة لا تصح الصلاة فيها : منها المقبرة ، فلا تصح الصلاة فيها إلا صلاة الجنازة ، لقوله ﷺ : « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة » ، وقال ﷺ : « لا تصلوا إلى القبور ، ولا تجلسوا عليها » . وكذا لا تصح الصلاة في المساجد المبنية على القبور ، وهي المعروفة الآن بالأضرحة لقوله ﷺ : « لا تتخذوا القبور مساجد » .

وكذا لا تصح الصلاة في الحمامات والحشوش ، ولا تصح في أعطان الإبل ، ولا تصح الصلاة في قارة الطريق ، ولا تصح الصلاة في أرض مغصوبة ، ولا في مجزرة ومزبلة . كل هذه المواضع منهي عن الصلاة فيها ، والنهي يقتضي الفساد وعدم الصحة ، فاتقوا الله - عباد الله - وتعلموا أحكام صلاتكم وجميع عبادتكم ، وأدوها على وفق كتاب الله وسنة رسول الله . . . فإن خير الحديث كتاب الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان أركان الصلاة وواجباتها وسننها

الحمد لله رب العالمين ، أمر بإقام الصلاة ، فقال : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أخبر أن الصلاة عمود الدين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :
أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وتعلموا أحكام صلاتكم حتى تؤدوها على الوجه المشروع ، وتجنبوا المبتدع فيها والممنوع ، لتكون صحيحة مقبولة . . .
فالصلاة عبادة عظيمة تشتمل على أقوال وأفعال تكون منها صفتها الكاملة ، وهذه الأفعال والأقوال تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، أركان وواجبات وسنن . . .
فالأركان إذا ترك المصلي منها شيئاً سهواً أو عمداً بطلت الصلاة بتركه .
والواجبات إذا ترك منها شيئاً عمداً بطلت الصلاة بتركه ، وإن تركه سهواً لم تبطل الصلاة ، ويجبره بسجود السهو .

والسنن لا تبطل الصلاة بتركها عمداً ولا سهواً ، لكنها تنقص هيئتها الكاملة .
والنبي ﷺ صلى صلاة كاملة بجميع أركانها وواجباتها وسننها ، وقال : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي » .

وروى لنا أصحابه الذين صلّوا خلفه صفة صلاته في الأحاديث الواردة عنهم حتى كأننا نشاهدُها ، فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً .
وأركان الصلاة أربعة عشر :

الركن الأول : القيام في صلاة الفريضة، فلا تصح صلاة الفريضة من جالس وهو يقدر على القيام بالإجماع، لقوله تعالى : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

وقال النبي ﷺ : « صَلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً » .

فدلَّت الآية والحديث على وجوب القيام في الصلاة المفروضة مع القدرة عليه، وهو الانتصاب قائماً، فلو خَفَضَ رأسه حتى صار كهيئة الراكع لم تصح صلاته . أما إذا خَفَضَ رأسه على هيئة الإطراق لم تبطل، لكنه لا ينبغي، وقد رأى عمر رضي الله عنه رجلاً قد طأطأ رأسه في الصلاة، فقال : يا هذا ارفع رأسك، فإنَّ الخشوعَ في القلوب، وليس الخشوعُ في الرقاب . .

الركن الثاني : تكبيرة الإحرام، بأن يقول وهو قائمٌ منتصب مستقبل القبلة : الله أكبر . ومعناه : الله أكبر وأعظمُ من كلِّ كبيرٍ وعظيم، ومنزَّةٌ عن كلِّ نقصٍ وعيب؛ وحكمةُ افتتاح الصلاة بالتكبير ليستحضرَ عظمة الله وهو قائمٌ بين يديه، فيخشع له ويستحي منه، فلا يشتغل قلبه بغيره . وسُمِّيت تكبيرة الإحرام، لأنها تحرَّم ما كان مباحاً قبلها من الكلام والأكل وغير ذلك، فالمصلِّي إذا كَبَّرَ ودَخَلَ في الصلاة كان ممنوعاً من الأقوال والأفعال المخالفة للصلاة، ويرفعُ يديه عند تكبيرة الإحرام، لقول ابن عمر : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفعَ يديه حتى يكونا حَذَوَ منكبيه، ثم يكبر . متفق عليه .

الركن الثالث : قراءة الفاتحة في كل ركعة، لحديث : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »، فيجب على الإمام والمنفرد قراءتها، والأحوط أن المأموم يقرؤها في الصلاة السرية وفي سكتات الإمام من الصلاة الجهرية . .

الركن الرابع : الركوع في كل ركعة، لقوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ [الحج : ٧٧]

ولفعل الرسول ﷺ وقوله : «صَلُّوا كما رأيتموني أصلي» .

والركوع في اللغة : الانحناء . والركوعُ المشروع أن ينحني حتى تَبْلُعَ كَفَّاه ركبتيه ، ويمد ظهره مستوياً ، ويجعل رأسه محاذياً ظهره لا يرفعه ولا يخفضه ، لأنَّ النبي ﷺ إذا رَكَعَ سَوَّى ظهره ، حتى لو صُبَّ عليه الماء لاستقرَّ ، رواه ابن ماجه .

وفي «الصحيحين» : «إذا رَكَعَ لم يرفع رأسه ولم يصوّبه ولكن بين ذلك» وبعض الناس يُخِلُّ بهذا ، فتراه رافعاً رأسه في الركوع أو مدلياً له إلى أسفل .

الركن الخامس من أركان الصلاة : الرفع من الركوع والاعتدال واقفاً كحاله قبل الركوع ، لقوله ﷺ : «ثم ارفع حتى تعتدل قائماً» ، ولأنه ﷺ فَعَلَ ذلك وداوم عليه وقال : «صَلُّوا كما رأيتموني أصلي» .

الركن السادس : السجود ، وهو وضعُ الأعضاء السبعة على الأرض : الجبهة مع الأنف ، واليدين ، والركبتين ، وأطراف القدمين ، فلا بُدَّ أن يباشر كل واحد من هذه الأعضاء موضعَ السجود سواء كان على الأرض مباشرة أو على فراش أو مصلى ، ولا يمد جسمه حتى يكونَ كهيئة المنبطح على الأرض كما يفعل بعض المتكلفين اليوم ، فإنَّ بعضهم يُقَدِّمُ رأسه جداً ، ويؤخِّرُ رجله جداً حتى ربَّما يضايقُ الصفَّ الذي أمامه والصفَّ الذي خلفه ، وهذا من الغُلُوِّ المذموم الذي نهى عنه النبي ﷺ .

عباد الله : إنَّ السجود أعظمُ أركان الصلاة ، لأنَّ العبدَ يخضعُ لربه ويضعُ أشرف أعضائه وهو الجبهةُ والأنف في مواطئ الأقدام ، ولذلك كان الساجد أقرب إلى ربه حيثُ خضعَ له غايةَ الخضوع ، وهو أحرى لقبول الدعاء فاهتمُّوا بشأنه . .

الركن السابع والثامن : الرفع من السجود والجلوس بين السجدين ، لقول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ إذا رَفَعَ رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي قاعداً . رواه مسلم .

والركن التاسع : الطمأنينة في جميع أفعال الصلاة، وهي السكون بقدر ما يأتي بالذكر الواجب ويستقر كل عضو مكانه، فَمَنْ تَرَكَ الطمأنينة فقد أخبر رسول الله ﷺ أنه لم يُصَلِّ، ويسمى بالمسيء في صلاته، وقد أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة، وقال له «صَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ».

ورأى حذيفة رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فقال: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمداً ﷺ، وقد أخبر النبي ﷺ أن نقر الصلاة من صفات المنافقين، فليتنبه المسلم لذلك وليحذر أن يصلي صورة وهو لا يصلي حقيقة.

الركن العاشر والحادي عشر : التشهد الأخير وجلسته، لقوله ﷺ: «إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ (أي : جلس للتشهد)، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». متفق عليه.

الركن الثاني عشر : الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير - بأن يقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، لأمره ﷺ بذلك لما سئل كيف نصلي عليك، فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد»..

الركن الثالث عشر : الترتيب بين هذه الأركان على الصفة التي كان يصليها النبي ﷺ، لقوله ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي» وقد علمها النبي ﷺ للمسيء في صلاته مرتبة بـ (ثم) المقتضية للترتيب.

الركن الرابع عشر : التسليمتان - بأن يقول عن يمينه : السلام عليكم ورحمة الله ؛ وعن يساره كذلك، وهو ختام الصلاة وعلامة الخروج منها، لقوله

ﷺ : «وتحليلها التسليم». وفي رواية «وختامها التسليم»، وهو دعاء بالسلامة يدعو به الإمام والمأموم والمنفرد لأنفسهم وللحاضرين من الملائكة. يَنُوءُ به الخروج من الصلاة واستباحة ما حُرِّمَ عليهم في أثناء الصلاة من الكلام وغيره..

عباد الله : مَنْ تَرَكَ ركنًا من هذه الأركان، فَإِنْ كَانَ تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته، وَإِنْ كَانَ غير تكبيرة الإحرام وقد تركه عمدًا بطلت صلاته، وَإِنْ تركه سهوًا فَإِنْ ذَكَرَهُ قَبْلَ شُرُوعِهِ فِي قِرَاءَةِ الرُّكْعَةِ الأُخْرَى فَإِنَّهُ يَرْجِعُ وَيَأْتِي بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ إِلَّا بَعْدَ الشُّرُوعِ فِي قِرَاءَةِ الرُّكْعَةِ الأُخْرَى لَغَتِ الرُّكْعَةُ المَتْرُوكُ مِنْهَا ذَلِكَ الرُّكْنَ، وَقَامَتِ الرُّكْعَةُ الَّتِي تَلِيهَا مَقَامَهَا، وَيُكْمَلُ صَلَاتُهُ، ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ قَبْلَ السَّلَامِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ الرُّكْنَ المَتْرُوكَ إِلَّا بَعْدَ السَّلَامِ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَتَرِكِ رُكْعَةٍ كَامِلَةٍ، فَإِنْ لَمْ يُطِلِّ الْفَصْلَ بَعْدَ السَّلَامِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِرُكْعَةٍ وَيَسْجُدُ لِلسَّهْوِ، وَإِنْ طَالَ الْفَصْلُ أَوْ انْتَقَضَ وَضُوؤُهُ فَإِنَّهُ يُعِيدُ الصَّلَاةَ كَامِلَةً.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : هَذِهِ أَرْكَانُ الصَّلَاةِ، وَهِيَ الْجَوَانِبُ الْقَوِيَّةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بِنْيَانُهَا، وَلَا تَصِحُّ إِلَّا بِهَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِنْهَا كَامِلًا فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْهُ بِمَا يَسْتَطِيعُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَأَنقُضْ اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦]

ولِقَوْلِهِ ﷺ : «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ». وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَإِنَّهُ يَوْمِيءَ بِرَأْسِهِ يُخَفِّضُهُ فِي سَجُودِهِ أَكْثَرَ مِنْ رُكُوعِهِ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فَإِنَّهُ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُكَبِّرُهُ وَيَهْلِلُهُ ثُمَّ يَرْكَعُ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «إِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ فَاقْرَأْ وَإِلَّا فَاحْمَدِ اللَّهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ ثُمَّ ارْكَعْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني لا أستطيع أن آخذ شيئاً من القرآن فعلمني ما يُجْزئني، قال «قل : سبحان الله . والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر . ولا حول ولا قوة إلا بالله رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ . . وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَوْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَعْلَمُهُ، أَمَّا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْفَاتِحَةَ

فإنه يجبُ عليه أن يتعلّمها مع ما تيسّر من القرآن، وعُلِمَ من ذلك أن الصلاة لا تسقط بحالٍ، وإنما يُصلي المسلم على حسب استطاعته . .

فاتقوا الله - عبادَ الله - واهتمُّوا بأداءِ صلاتكم على الوجه المشروع حتى تُقيموا عمودَ الإسلام وثاني أركانه بعد الشهادتين، فإنه لا دينَ لمن لا صلاةَ له، ولا صلاةَ لمن لم يُتِمَّ شروطُها وأركانها وواجباتها حسب استطاعته .

وَفَقَّ الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، ورزقنا وإياكم الإخلاص والقبول .

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَوْرُكِبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في بيان واجبات الصلاة وسننها

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل الصلاة كتاباً موقوتاً على المؤمنين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُخلصين له الدين، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الصادق الناصح الأمين، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين . وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، فإن تقواه سببٌ لنيل العلم النافع، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

وقد سبق أن تحدّثنا عن أركان الصلاة وأحكامها، والآن نواصل الحديث

عن واجبات الصلاة وسننها، . .

فواجبات الصلاة ثمانية : وهي :

جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام . . وأما تكبيرة الإحرام فهي ركنٌ كما سبق . وقول سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ لِلإمام والمنفرد، وأما المأمومُ فلا يقولها . وقولُ : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ بعدَ الاعتدال من الركوع في حقِّ الجميع ، وقولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فِي الرُّكُوعِ ، وقولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فِي السُّجُودِ ، وقولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي بَيْنَ السُّجُودَيْنِ . والتَّشَهُدُ الْأَوَّلُ مَعَ الْجُلُوسِ لَهُ . وهو قولُ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ . . . إِلَى : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

فمن تركَ واجباً من هذه الواجبات متعمداً لم تَصِحَّ صَلَاتُهُ ، وَإِنْ تَرَكَهُ سَهْواً فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ عَوْضاً عَنْهُ ، وما عدا الأركان والواجبات المذكورة فإنه سننٌ أقوال وأفعال لا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِتَرْكِه عَمداً ولا سهواً ، ولكن الإتيان به أكملٌ للصلاة وأفضل .

وسننُ الأقوال كثيرةٌ : كالاستفتاح ، والتعوذ ، والبسملة ، والتأمين ، وقراءة ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة في صلاة الفجر وفي الركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وما زاد على المرة الواحدة من تسبيح الركوع والسجود ، وما زاد على المرة من قول : رَبِّ اغْفِرْ لِي بَيْنَ السُّجُودَيْنِ ، وَأَنْ يَقُولَ فِي التَّشَهُدِ الْأَخِيرِ قَبْلَ التَّسْلِيمِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، وما تيسر مع ذلك من الدعاء . .

وأما سننُ الأفعال فهي كثيرةٌ ، منها : رفعُ اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع ، ووضعُ اليد اليمنى على اليد اليسرى . على صدره أو تحت سُرَّتِهِ حَالَ الْقِيَامِ ، والنظرُ إِلَى مَوْضِعِ سَجُودِهِ ، ووضعُ اليدين على الركبتين في الركوع ، ومدُّ ظهره مستوياً ، وجعلُ رأسه حياله في الركوع ، ومجافاةُ

بطنه عن فخذه، وفخذه عن ساقه، وعُضديه عن جنبه في السجود... إلى غير ذلك من سنن الأقوال والأفعال التي تبلغ خمساً وأربعين سنة أو أكثر، لكن لا ينبغي التشدد في فعل السنن حتى تُصْبِحَ كأنها فرائض، أو التزيد في صورة تطبيقها حتى تخرج عن كیفيتها الشرعية، كما نشاهد من بعض الناس حيث يجمع أحدهم يديه في حال القيام على ثغرة نحره بدلاً من وضعهما على صدره أو تحت سُرته، ويحني رأسه إلى قرب الركوع، وإذا سجد مدّ رجله إلى خلف، ورأسه إلى أمام حتى يُصْبِحَ كهيئة المنبطح على الأرض. وإذا وَقَفَ في الصلاة باعد بين رجله يميناً وشمالاً، حتى إنه لَيَشْغُلَ موضعَ رَجُلَيْنِ وَيُضَاقُ مَنْ بجانبه، وبعضهم يتشدد في شأن السترة حتى يترك القيام في الصف لأداء الراتبة، ويذهب إلى مكان آخر يبحث فيه عن سترة فيفوته المكان الذي ربما يكون أفضل من تحصيل السترة وهو القرب من الإمام في الصف الأول. . إلى غير ذلك من أنواع التشدد في فعل بعض السنن الذي ربّما يُخرجها عن كیفيتها المشروعة أو يُفوّت سنناً أفضل منها. والمطلوب الاعتدال والاستقامة من غير إفراط ولا تفريط. وعلى مقتضى الكتاب والسنة فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها. . الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، جَعَلَ الخشوعَ في الصلاة من صفات المؤمنين المفلحين، وأخبر أنهم يَرْتُونَ الفردوسَ، هم فيها خالدون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولو كَرِهَ المشركون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وقائدُ الغرِّ المُحَجَّلِينَ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الخشوعَ في الصلاة هو روحها، وهو الذي تحصلُ به إقامتها حقيقةً، فصلاةٌ بلا خشوع كجسدٍ بلا روح، وقد علّق الله سبحانه الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١]

فَمَنْ فاته الخشوعُ في الصلاة لم يكن من أهلِ الفلاح، ومن علامات الخشوع في الصلاة سكُونُ الجوارح، وعدمُ الحركة، وحضورُ القلب، والتلذُّدُ بكلامِ الله ودعائه .

ومن علاماته إتمامُ أركانِ الصلاة وواجباتها وسُنَنِها وعدمُ السرعة فيها، ومن علاماتِ الخشوع متابعةُ الإمام وعدمُ مسابقته أو التخلف عنه .

ومن علامات الخشوع في الصَّلَاة تجنبُ ما نُهي عنه فيها، فهناك أشياء نهى النبي ﷺ عنها في الصلاة، وهي نوعان : -

النوع الأول : ما يُبطلُ الصلاةَ، وهو ثمانيةُ أشياء - «الكلامُ العمدُ، والضحكُ، والأكل والشرب، وكشف العورة، والانحراف عن القبلة، والعبثُ الكثير، وحدوث النجاسة ..

والنوع الثاني : ما يُنهى عنه في الصلاة ولا يُبطلُها، لكن يُنقصُها، وهو أنواع كثيرة :

فَيُنهى في الصلاة عن رفعِ البصرِ إلى السماء، لأنَّ النبي ﷺ أنكرَ على مَنْ يفعلُ ذلك فقال : «ما بالُ أقوامٍ يرفعُونَ أبصارَهُم إلى السماء في صلاتِهِم»، واشتدَّ قوله في ذلك حتى قال : «لِيَنْتَهَنَّ أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُم» رواه البخاري . هذا وعيدٌ شديدٌ يوجبُ على المسلمِ الحَذَرَ من ذلك والامتناعَ مِنْ رفعِ البصرِ في الصلاة . .
وكذلك لا يجوزُ تسريحُ البصرِ فيما أمامه من الأشياء، لأنَّ ذلك يشغله عن صلاته، وبعضُ الناس يتساهل في هذا الأمر، فتراه ينظر هنا وهناك وهو قائمٌ يصلي . .

والمطلوب من المصلي أن يقصُرَ نظره على موضع سجوده ولا يسرحه فيما أمامه من الجدران والنقوش والكتابات والقناديل المعلقة وغيرها .

ونَهَى ﷺ عن التشبُّه بالحيوانات في الصلاة، فنَهَى عن بُرُوكِ البعير، والتفاتِ كالتفاتِ الثعلب، وافتراشِ كافتراشِ السَّعِ . وإقعاءِ كإقعاءِ الكلب، ونقرِ كنقرِ الغراب، ورفعِ الأيدي وقتَ السلام كأذنانِ الخيلِ الشَّمْسِ، فهذه ست حيوانات نُهيَ المصلي عن التشبُّه بها في الصلاة . .

فُنهيَ المصلي أن يبرُكَ بركَ البعير يعني حالَ انحطاطِهِ للسجود، فالمشروعُ للمصلي إذا انحطَّ للسجود أن يكون أولُ ما يضع على الأرض ركبتيه ثم يديه، ثم جبهته وأنفه ولا يضع يديه قبل ركبتيه، فإنَّ هذا بركُ البعير الذي نُهيَنا عنه في الصلاة إلا إذا كان كبير السن أو مريضاً واحتاجَ إلى وضعِ يديه قبل ركبتيه فلا بأسَ بذلك .

ونُهيَ المصلي عن الالتفاتِ في الصلاة كما يلتفتُ الثعلب، وأخبرَ ﷺ «أنَّ الالتفات في الصلاة اختلاسٌ يختلسه الشيطانُ من صلاة العبد» رواه البخاري . .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

الالتفات المنهني عنه في الصلاة قسمان :

أحدهما : التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى . .

والثاني : التفات البصر، وكلاهما منهني عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال : « . . . اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »، وفي أثر : « يقول الله تعالى إلى خير مني ، إلى خير مني » ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل استدعاه السلطان ، فأوقفه بين يديه وأقبل يُناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً ، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلم يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه ، فما ظنُّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان أفليس أقلُّ المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مُبعداً قد سَقَطَ من عينيه ، فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته ، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه ، فامتلاً قلبه من هيئته ، وذلك عنقه له ، واستحى من ربه تعالى أن يُقبل على غيره أو يلتفت عنه . .

ونُهِيَ المصلي عن افتراش كافتراش السبع ، وذلك بأن يفتش ذراعيه في حال السجود بأن يمدَّهما على الأرض مع إصاقيهما بها ، والمشروع أن يضع كفيه مبسوطتين بباطنهما على الأرض حَذْو منكبيه وأذنيه ، ويرفع مِرْفَقيه ، ويجافي عَضْدَه عن جنبه ، لقوله ﷺ « إِذَا سَجَدْتَ فَضَعْ كَفَّيْكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ » رواه مسلم . .

ومما نُهي عنه المصلي : إقعاد إقعاد الكلب ، وقد فسر ذلك أهل العلم بأن معناه أن يفرش قدميه بأن يجعل ظهورهما مما يلي الأرض ، ويجلس على عقبيه وذلك بين السجدين ، والمشروع في تلك الجلسة أن يجلس مفترشاً يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها ، وينصب رجله اليمنى ويخرجها من تحته ويشني أصابعها نحو القبلة .

ومما نُهي عنه المصلي : نقرُ كنقر الغراب ، ومعناه : أن يسرع في الصلاة فلا يُتمَّ ركوعها ولا سجودها ولا الطمأنينة فيها ، عن أبي عبد الله الأشعري قال : صلى رسولُ الله ﷺ بأصحابه ثم جَلَسَ في طائفة منهم ، فدَخَلَ رجلٌ ، فقام يُصَلِّي ، فجَعَلَ يركعُ وينقرُ في سجوده ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إليه ، فقال : «تَرَوْنَ هَذَا لَوَمَاتٍ مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ، ينقرُ صلاته كما ينقرُ الغرابُ الدم ، إنما مثلُ هذا الذي يصلي ولا يركع في سجوده كالجائع لا يأكل إلا تمرَةً أو تمرتين فما يُغنيان عنه» وقد جعلَ رسولُ الله ﷺ لَصَّ الصلاةِ وسارقها شرًّا من لَصِّ الأموالِ وسارقها ، حيث قال ﷺ : «اسوأُ الناسِ سرقَةً الذي يسرقُ من صلاته» ، قالوا يا رسولَ الله : كيف يسرقُ صلاته قال : «لا يُتمُّ ركوعها ولا سجودها» ، أو قال : «لا يقيمُ صلبه في الركوع والسجود» .

ومما نُهي عنه في الصلاة فرقةُ أصابعه وتشبيكها ، روى الإمامُ أحمدُ عن أبي سعيد أنَّ النبي ﷺ قال : «إذا كان أحدُكم في المسجد فلا يشبكن ، فإن التشبيك من الشيطان ، وإن أحدُكم لا يزالُ في صلاةٍ مادامَ في المسجدِ حتى يخرجَ منه» .

وعن كعب عجرة مرفوعاً : «إذا تَوَضَّأَ أحدُكم ثم خَرَجَ عامداً إلى الصلاة فلا يُشَبِّكَنَّ بين يديه فإنه في صلاةٍ» رواه أحمدُ وأبو داود والترمذي . .
وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تُعَقِّقْ أصابعَكَ وأنت في الصلاة» رواه ابن ماجه . .

وتشبيكُ الأصابع : إدخالُ بعضها في بعض ، وقعقتها : غمزُ مفاصلها حتى يُسمَعَ لها صوتٌ ، وقد نُهي عن هذين الفعلين ، لأنهما من العبثِ في الصلاة ، ولأنهما يدلَّان على الكسل ، وبعضُ الناس إذا قام في الصلاة تسمَعُ صوتَ أصابعه يعبثُ بها ويفرقعُها ويؤذي من حوله . .

والمشروع للمصلي أن يقبضَ يده اليسرى بيده اليمنى ، ويجعلهما فوقَ

صدره طول قيامه في الصلاة.

ويُكره التمطي في الصلاة، وهو التمعُّط. لأنه يدلُّ على الكسل وعدم الخشوع، ويُكره التأوُّب في الصلاة، فإن غلبه كظم ما استطاع، فإن لم يقدر وَضَعَ يده على فمه. وبعضُ الناس يفتحُ فمه في التأوُّب ويصوِّتُ به تصويئاً مزعجاً.

وتكره كثرة الحركة في الصلاة من غير حاجة، كمسح جبهته. ومسِّ لحيته. وعقص شعره. والعَبَثُ بملابسه، وإدخال أصابعه في أنفه لتنظيفه، وما أشبه ذلك من الحركات التي تُشغِلُ عن حضور القلب والخشوع في الصلاة. وإذا كثرت هذه الأفعال من غير ضرورة فإنها تبطل الصلاة كما سبق.

ويُكره أن يدخل في الصلاة وهو مشوَّش الفكر منشغل البال بسبب حضرة طعام يشتهيهِ أو بسبب إحساسه ببولٍ أو غائطٍ أو بسبب كون المكان الذي يصلي فيه حاراً شديداً أو بارداً شديداً. قال ﷺ: «لا صلاة بحضرة طعام وهو يدافعه الأخبثان» رواه مسلم.

ويُكره أن يصليَ وأمامه ما يُلْهِيه من زخارف ونقوش. فعن أنس قال: كان قِرَامٌ لعائشة (أي: سترٌ ذو ألوان سترت به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ «أميطي عنا قِرَامَكَ هذا، فإنه لا تزال تصاويره تُعرِّضُ لي في صلاتي». رواه البخاري.

قال العلماء: فيه دليلٌ على كراهة الصلاة على المفارش والسجاجيد المنقوشة، وكراهة تزويق المساجد ونقشها، وكراهة استقبال كل ما يشغِلُ المصلي.

وتُكره الصلاة بمكانٍ فيه تصاوير لما فيه من التشبُّه بعبادة الأصنام، سواءً أكانت الصورة منصوبةً أو غير منصوبة على الصحيح، لكن إن كانت منصوبةً فالكرهية أشدُّ.

وَيُكْرَهُ لِلْمُصَلِّي مَسْحُ مَوْضِعِ سَجُودِهِ، أَوْ مَسْحُ مَا عَلَى جَبْهَتِهِ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ وَهُوَ يُصَلِّي لِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعاً: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحُ الْحَصَا فَإِنَّ الرِّحْمَةَ تَوَاجَهُهُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ.

لَكِنْ إِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ سَجُودِهِ مَا يُؤْذِيهِ فَلَهُ مَسْحُهُ وَإِزَالَتُهُ، وَالْأُولَى أَنْ يَسُوِيَ مَوْضِعَ سَجُودِهِ قَبْلَ الدَّخُولِ فِي الصَّلَاةِ..

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ حَكْمُ النُّحْنَحَةِ فِي الصَّلَاةِ، فَالنُّحْنَحَةُ إِنْ كَانَتْ لِحَاجَةٍ كَمَا لَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَتَنْحَنحُ لِيُنَبِّهَهُ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِمَا رَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِي مَدْخَلَانِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي تَنْحَنحُ لِي، وَإِنْ كَانَتْ النُّحْنَحَةُ لغير حاجة فَالْأُولَى تَرْكُهَا فِي الصَّلَاةِ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَرَى أَنَّهَا تُبْطِلُ الصَّلَاةَ إِذَا كَانَتْ لغير حاجة، وَالْوَاقِعُ أَنَّ فِيهَا تَشْوِيشاً عَلَى الْمُصَلِّينَ وَعَلَى قِرَاءَةِ الْإِمَامِ، فَلَا يَنْبَغِي فَعْلُهَا إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ مَعَ خَفَضِ الصَّوْتِ.

وَكَذَا الْكُحَّةُ لَا بَأْسَ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ مَعَ التَّقْلِيلِ مِنْهَا وَكَظْمِهَا مَا امْكَنَ.

وَالصَّلَاةُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ تَجِبُ الْعَنَاءُ بِهَا وَالتَّقِيدُ بِفَعْلِ مَا شُرِعَ فِيهَا وَتَرْكُ مَا يُخِلُّ بِهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْحَرَكَاتِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ. فَهُوَ يَحْرِصُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الْجَهْدِ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، فَإِذَا لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ مَنَعِهِ مِنَ الصَّلَاةِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهُ يَحَاوِلُ أَنْ يَشْغَلَهُ عَنْهَا فَيَذْكُرُهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ قَبْلَ دَخُولِهِ فِيهَا. حَتَّى رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ، وَأَيْسَ مِنْهُ فَيَذْكُرُهُ إِيَّاهُ فِي الصَّلَاةِ لِيَشْغَلَهُ بِهِ..

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْذَرُوا صَلَاةَ الْمَنَافِقِ، قَالَ ﷺ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمَنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقْرَأُهَا أَرْبَعاً

لا يذكُرُ اللهَ فيها إلا قليلاً»، قال الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه الله، فهذه ستُّ صفاتٍ في الصلاةٍ من علاماتِ النفاق: الكسلُ عند القيام إليها، ومراءاةُ الناسِ في فعلها، وتأخيرُها، ونَقْرُها، وقلةُ ذِكْرِ الله فيها، والتخلُّفُ عن جماعتِها..

فاحذروا - عباد الله - من تلك الصفات في الصلاة..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَرِيحُهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٥ - ٤٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في بيان ما يجوزُ فعله في الصلاة

الحمدُ لله رب العالمين، شرَعَ فَيَسَّرَ وما جعل علينا في الدين من حَرَجٍ،
وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً... أما بعدُ:

أيتها الناس : اتقوا الله تعالى، وتعلَّموا أحكامَ صلاتكم حتى تؤدُّوها على
الوجه المشروع. وقد سَبَقَ أن بيَّنا لكم بعض ما يُنهي عن فعله في الصلاة، والآن
نُبيِّنُ لكم ما يجوزُ أو يُشرَعُ فعله فيها.

فاعلمُوا أنه يُسْتَحَبُّ للمصلي ردُّ المارِّ بين يديه، لقوله ﷺ : «إذا كان
أحدكم يصلي فلا يدعَنَّ أحداً يمرُّ بين يديه، فإن أبى فليقاتله (أي : يدفعه بشدة)،
فإن معه القرين» (أي : الشيطان). رواه مسلم.

وهذا إذا لم يكن المارُّ محتاجاً إلى المرور فإن كان محتاجاً إليه لعدم وجود
طريق آخر فإنه يمرُّ بين يدي المصلي للضرورة. وفي المسجد الحرام لا يُمنَعُ

الناس من المرور بين يديه، لأن النبي ﷺ صلى بمكة والناس يمرون بين يديه وليس دونهم ستره. رواه أحمد وأصحاب السنن.

وللمصلي قتل الحية والعقرب، لأنه ﷺ أمر بقتل الأسودين: الحية والعقرب في الصلاة. رواه أبو داود والترمذي، وصححه.

ولا بأس بالعمل اليسير في الصلاة كالقُدُم أو التأخير قليلاً للحاجة.

وله التَعَوُّدُ عند آية الوعيد، والسؤال عند آية الرحمة في صلاة النافلة، لفعله ﷺ وإذا عَرَضَ للمصلي أمرٌ وهو في الصلاة كاستئذانٍ عليه أو سهو إمامه، أو خاف على إنسانٍ من الوقوع في هلكة، فله التنبيه على ذلك بأن يُسَبِّحَ الرجل وتُصَفَّقَ المرأة، لقوله ﷺ: «إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجل ولتصفق النساء» متفق عليه.

وإذا احتاج المصلي إلى إصلاح لباسه فلا بأس بذلك، وكذا إذا تَذَكَّرَ أنَّ في بعض لباسه نجاسةً فخلعه في أثناء الصلاة فلا بأس بذلك، لأنه ﷺ التحف بإزاره وهو في الصلاة، ولَمَّا عَلِمَ ﷺ وهو في الصلاة أنَّ في نعليه نجاسةً خلعهما، ومضى في صلاته.

فهذه أفعال يسيرةٌ تُفَعَّلُ لحاجةٍ أو لدفع مضرة، وهي لا تخل بالصلاة. .
فالحمد لله على التيسير، واعلموا عباد الله أنَّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . . الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان أحكام صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالاجتماع على دينه والاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرق والاختلاف، لما في الاجتماع من القوة والألفة، وما في الافتراق من الضعف والنفرة، أحمده على نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تفتح لمن قالها صادقاً دار السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى جميع الأنام. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. وَسَلَّم تسليمًا كثيراً على الدوام... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله واعلموا أن صلاة الجماعة من أعظم شعائر الإسلام، وفيها مصالح عظيمة وخيرات كثيرة، بها يحصلُ التعارف والتآلف والتعاون بين المسلمين، وتظهرُ بها قوة الدين، وإغاظة الكفار والمنافقين، يحصلُ بها النشاط على العمل. والسلامة من الكسل، والاحتراز من وساوس الشيطان، فإن الشيطان يتسلط على المنفرد في صلاته ويتعد عن المصلي في الجماعة، وفي صلاة الجماعة مضاعفة الأجر، ورفع الدرجات. وتكفير السيئات، والبراءة من النفاق، والتخلُّق بصفات المؤمنين الذين يعمرُونَ بيوتَ الله بالطاعة. كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [التوبة : ١٨]

عباد الله : إن لصلاة الجماعة أحكاماً تجبُ على المسلم معرفتها، حتى يؤديها على الوجه المطلوب الذي تبرا به ذمته، ويحصلُ على ثوابها. منها : أنه يُشرعُ التكبير لحضورها والجلوس، لانتظار إقامتها في المسجد، وقد أخلَّ كثيرٌ من الناس بهذه الفضيلة، فصاروا يتأخرون في الحضور تأخراً كثيراً حتى يفوت عليهم خيرات كثيرة .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أن مَنْ دخل المسجد بعد الإقامة فإنه يمشي بسكينة ووقارٍ، فلا يُسرِعُ ولا يركضُ، لقوله ﷺ : «إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا». وقد أخلَّ كثيرٌ من الناس بهذا الحكم، فتراهم إذا دخلوا المسجد بعد الإقامة أسرعوا وركضوا وخصوصاً إذا رأوا الإمام راکعاً، فخالفوا السنة وشوشوا على المصلين وعلى الإمام، ولم يراعوا حرمة المسجد، ثم دخلوا في الصلاة وهم ثائرو النفس مشوشو الفكر. وقد يذهلون عن تكبيرة الإحرام، أو يأتون بها بعد ما يركعون. ومعلوم أن تكبيرة الإحرام ركنٌ من أركان الصلاة ولا تنعقد الصلاة ولا تصح إلا بالإتيان بها. وهو قائم معتدل قبل أن يركع، ثم يُكَبِّرُ تكبيرةً ثانية للركوع في حال انخفاضه له، ولو أن هؤلاء بكرؤا في الإتيان إلى المسجد لَسَلِمُوا من هذا الخلل وحصلوا على عظيم الأجر.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنها لا تصح صلاة الرجل وحده خلف الصف، لقوله ﷺ «لا صلاة لفردٍ خلف الصف» رواه أحمد وابن ماجه، وقد رأى ﷺ رجلاً يُصَلِّي خلف الصف وحده فأمره أن يُعيد الصلاة، رواه الخمسة إلا النسائي. فلا بُدَّ من المصافاة في صلاة الجماعة فلا تصح صلاة الفرد خلف الصف، بل يجب عليه أن يدخل في الصف أو عن يمين الإمام أو ينتظر مَنْ يأتي ويصف معه.

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنه ينبغي أن يكون الكبارُ وأهل العلم أقرب إلى الإمام، ويكون الصغار بعدهم، لقوله ﷺ : «لِيلْنِي منكم أولو الأحلام والنهي» رواه أحمد ومسلم. وتكونُ النساء خلف الرجال ولو كانت امرأة واحدة، فإنها تقف خلف الصف ولا تقف في صف الرجال. ولو صلت امرأة مع رجلٍ فإنها تكون خلفه ولا تقف إلى جنبه.

ومن أحكام صلاة الجماعة : أن لا يؤمَّ أحدٌ في المسجد غير إمامه الراتب

إلا بإذنه أو عذره، فيجبُ على الجماعة مراعاةُ حقِّ الإمام ما دام ملتزماً بالقيام بحق الإمامة. كما أنه يجبُ على الإمام أن يحترمَ حقَّ المأمومين، ولا يُخرجهم، ولا يشقَّ عليهم بانتظار حضوره أكثر من المعتاد. ولا يجوزُ له أن يخلفَ مَنْ لا يصلح للإمامة عند غيابه، وإنما يُخلفُ من يصلح ومن تَبَرَّأ به الذمَّة.

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنها إذا أُقيمت الصلاة بأن شرَعَ المؤذن في الإقامة، فإنه لا يجوزُ الشروع في صلاة نافلة، لا راتبة ولا تحية مسجد ولا غيرهما، لقوله ﷺ : «إذا أُقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» رواه مسلم. وفي رواية «فلا صلاة إلا التي أُقيمت». أمَّا إذا أُقيمت الصلاة وهو في صلاة نافلة فإنه يَتِمُّها خفيفة ولا يقطعُها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد : ٣٣] هذا هو الأحوط في هذه المسألة.

ومن أحكام صلاة الجماعة : أن مَنْ جاء والناسُ يصلون فإنه يدخل معهم على أي حال وجدَّهم قائمين أو راكعين أو ساجدين أو جالسين، فإن وجدَّهم راكعين دَخَلَ معهم في الركوع، وكان بذلك مدرَكًا للركعة على الصحيح، وإن فاتَهُ الركوعُ دخل معهم فيما بقي ولا يعتد بتلك الركعة؛ وبعض الناس إذا جاء بعد الركوع بقي واقفاً إلى أن يقوم الإمام للركعة التي بعدها، وهذا خطأ وخلافُ المشروع. وبعضهم إذا جاء والإمامُ في التشهيد الأخير لم يدخل معه، وهذا خطأ أيضاً لأنه خلافُ السنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن ساجدٌ فاسجدوا ولا تَعُدُّوها شيئاً، ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة» رواه أبو داود.

وعن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما قالَا قال رسول الله ﷺ : «إذا أتى أحدكم الصلاة والإمامُ على حالٍ فليصنع كما يصنع الإمام» رواه الترمذي.

ومن أحكام صلاة الجماعة : وجوب اقتداء المأموم بالإمام بالمتابعة التامة له بأن تكون أفعاله وأقواله بعد أفعال وأقوال الإمام ، فلا يسابقه ولا يوافقه فيها ، لأن المأموم متبوع لإمامه ومقتد به ، والتابع المقتدي لا يتقدم على متبوعه وقدوته . قال النبي ﷺ : «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار» متفق عليه . . فمن تقدم على إمامه كان كالحمار الذي لا يفقه ما يراؤ بعمله ، ومن فعل ذلك استحق العقوبة .

وفي الحديث الصحيح : «إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تركعوا حتى يركع ، ولا تسجدوا حتى يسجد» وروى الإمام أحمد وأبو داود : «إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا ، ولا تركعوا حتى يركع ، وإذا سجد فاسجدوا ، ولا تسجدوا حتى يسجد» .

وكان الصحابة خلف النبي ﷺ لا يحني أحد ظهره حتى يقع رسول الله ﷺ ساجداً ، ثم يقعون سجوداً بعده ، ولما رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسابق الإمام ضربه وقال : لا وحدك صليت ، ولا بإمامك اقتديت . وهذا أمر يتساهل فيه بعض الناس أو يجهلونه فيسابقون الإمام ويتعرضون للإثم والوعيد أو لبطلان صلاتهم . . .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : مسابقة الإمام حرام باتفاق الأئمة ، لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه ، ولا يرفع قبله ، ولا يسجد قبله ، وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك ، ومسابقة الإمام تلاعب من الشيطان ببعض المصلين ليخل بصلاته ، وإلا فماذا يستفيد الذي يسابق الإمام ، فإنه لن يخرج من الصلاة إلا بعد سلام الإمام .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أن المسبوق يقوم بعد فراغ إمامه من التسليمة الثانية ليتم ما فاتته من الصلاة ، ولا يقوم قبل ذلك ، فإن بعض الناس قد يستعجل فيقوم إذا سمع التسليمة الأولى . وهذا يخل بصلاته ، وربما يبطلها عند بعض العلماء .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنَّ المأموم يستمعُ لقراءة إمامه إذا كانت الصلاة جهرية، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]

أما إذا كانت الصلاة سريةً أو كان المأموم لا يسمعُ قراءة الإمام لبعده عنه فإنَّ المأموم يقرأ، لكن بحيث لا يُشوشُ على مَنْ بجانبه .

ومن أحكام صلاة الجماعة : إكمال الصفِّ الأول فالأول ومراصة الصفوف وتعديلها، عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال : «أَلَا تَصِفُّونَ كَمَا تَصِفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَصِفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ : «يُتَمُونَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» رواه مسلم وغيره .

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : «سَوُّوا صفوفَكم، فإنَّ تسوية الصفِّ من تمام الصلاة» .

وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ فيقول : «تَرَاوُوا وَاعْتَدِلُوا» .

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صفوفَنَا كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّنا عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَمَقَامٌ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ : «عِبَادَ اللَّهِ، لَتَسُونَنَّ صفوفَكم أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهَ بَيْنَ وَجْهِهِمْ» قَالَ : فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ وَمَنْكِبُهُ بِمَنْكِبِهِ .

وعن أَبِي أُسَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَوُّوا صفوفَكم وَحَادُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَسُدُّوا الْخَلَلَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَدْفِ» . يعني أولاد الضَّانِّ الصَّغَارَ رواه أحمد . . وهذه الأحاديث تدلُّ على وجوب الاهتمام بالصفوف من حيث إتمامها وتعديلها وسدُّ الفُرَجِ ، وذلك

بتقارب المصلين بعضهم من بعض . وليس معنى إلزاق الكعب بالكعب أنَّ الإنسان يفحج كما يفعل بعض الناس اليوم بحيث يباعد بين رجله حتى يأخذ مكان رجلين ويؤدي من بجانبه ويترك بين رجله فتحة واسعة فإن هذا خلاف السنة .

فإنَّ السنة مراصة الصفوف بأن يقرب بعض المصلين من بعض حتى لا يدعوا بينهم قرجة .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنَّ المأموم يفتح على الإمام إذا غلظ في القراءة أو انغلقت عليه ، فيسمعه القراءة الصحيحة ويذكره بها ، عن مسور بن يزيد المالكي قال : صلى النبي ﷺ فترك آية ، فقال له رجل : يا رسول الله آية كذا وكذا ، قال : «فهلأ ذكرتها» رواه أبو داود .

وعن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها ، فلبس عليه ، فلما انصرف قال لأبي : «أصليت معنا» قال : نعم ، قال : «فما منعك» ، رواه أبو داود . . .
وعن أنس قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يلقن بعضهم بعضاً في الصلاة . رواه الحاكم وغيره .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنَّ الإمام إذا سها في الصلاة فإنَّ المأموم ينهه على ذلك بأن يسبح الرجال وتصفق النساء إذا كان خلفه نساء .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجال وتصفق النساء» رواه أبو داود . وأصله في الصحيحين . وهو يدل على مشروعية تنبيه الإمام بذلك إذا سها في الصلاة .

ومن أحكام صلاة الجماعة : أنَّ الإمام يُراعي حال المأمومين ، فلا يطيل الصلاة إطالة تشق عليهم ، ولا يخففها تخفيفاً يخل بها . قال النبي ﷺ : «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف ، فإن فيهم السقيم والضعيف وذا الحاجة» متفق عليه . . والمراد : الاعتدال ، فلا يطيل عليهم إطالة تشق عليهم ولا يخفف الصلاة

تخفيفاً مخلاً لا يتمكن معه المأموم من متابعته والإتيان بما يجب عليه من أركان الصلاة وواجباتها.

فاتقوا الله - عباد الله - في أموركم عامة ، وفي صلاتكم خاصة ، فإنها عمود الإسلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . .

من الخطبة الثانية في أحكام صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين ، شرع لنبه سنن الهدى . وأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم السر وأخفى ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتدى . وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن من أهم أحكام صلاة الجماعة أداؤها في المساجد التي أمر الله ببنائها لإقامة الصلاة فيها ، وشهد بالإيمان لمن يتردد عليها . فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَى اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٨]

وأخبر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم ظلّ إلا ظلّه : رجلاً قلبه معلق بالمساجد .

وقد همّ النبي ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في المساجد ووصفهم بالنفاق .

وفي السنن : «مَنْ سَمِعَ النداءَ ثم لم يُجِبْ من غير عذر فلا صلاةَ له» . قال الإمام ابن القيم : ومن تَأَمَّلَ الأحاديثَ حقَّ التأملِ تبيَّنَ له أن فعلَها في المساجد فرضٌ على الأعيان إلا لعارضٍ يجوزُ معه تركُ الجماعة .

فتركُ حضورِ المسجدِ لغير عذرٍ كتركِ أصل الجماعة لغير عذرٍ ، وبهذا تتفقُ جميعُ الأحاديث والآثار .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والصلاةُ في المساجد من أكبر شعائر الدين وعلاماته ، وفي تركها بالكلية أو في المساجد محو آثار الصلاة ، بحيث إنه يفضي إلى تركها ولو كان الواجبُ فعل الجماعة (يعني : ولو في غير المسجد) لما جازَ الجمعُ للمطر ونحوه ، وتركُ الشرط وهو الوقت لأجلِ السُّنة . وَمَنْ تَأَمَّلَ الشرعَ المطهرَ عَلِمَ أَنَّ إتيانَ المسجدِ لها فرضٌ عينٍ إلا لعذرٍ ، وفي الأثر «لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلا في المسجد» . وفي إقامة صلاة الجماعة في غير المساجد تعطيلُ للمساجد التي أمر الله ببنائها ودعوة الناس للصلاة فيها ، بقول : (حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح) أي : تعالوا لإقامة الصلاة في المسجد .

وفي الحديث : «مَنْ سَمِعَ النداءَ فلم يُجِبْ فلا صلاةَ له إلا من عذرٍ» .

فاتقوا الله - عبادَ الله - وأقبلوا على المساجدِ واعمروها بذكرِ الله وطاعته
لعلَّكم تُرَحَّمُونَ واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان صلاة أهل الأعذار

الحمد لله رب العالمين، سَهَّلَ لعباده طريق العبادة ويسر، وأشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريكَ له شهادة تُؤْمِنُ مَنْ قَالَهَا وَعَمِلَ بِهَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا... أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ فِي سَائِرِ أَحْوَالِكُمْ، فَإِنَّهُ نَجَاتُكُمْ وَرَأْسُ مَالِكُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ هَذَا الدِّينَ سَهْلًا سَمَحًا لَا آصَارَ فِيهِ وَلَا أَغْلَالَ . يَتِمُّشَى مَعَ حَالَةِ الْإِنْسَانِ وَاسْتَطَاعَتِهِ، فَقَدْ جَاءَ بِالْيَسْرِ وَالْفَرَجِ وَالسَّمَاحَةِ وَرَفَعَ الْحَرَجَ، وَمِنْ ذَلِكَ تَشْرِيعُهُ فِي الصَّلَاةِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ عِنْدَهُ عَذْرٌ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ خَوْفٍ .

فَمَنْ حَصَلَ لَهُ عَذْرٌ مِنْ تِلْكَ الْأَعْذَارِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي حَسَبَ اسْتَطَاعَتِهِ . وَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ الصَّلَاةُ فِي حَالِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ مَا دَامَ عَقْلُهُ بَاقِيًا، فَالْمَرِيضُ يَلْزِمُهُ أَنْ يُؤَدِيَ الصَّلَاةَ قَائِمًا وَإِنْ احتَاجَ إِلَى الْعِزْمَادِ عَلَى عَصَا وَنَحْوِهِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّلَاةَ قَائِمًا بَأَنْ عَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ أَوْ شَقَّ عَلَيْهِ، أَوْ خِيفَ مِنْ قِيَامِهِ زِيَادَةً مَرَضِهِ أَوْ تَأَخَّرُ بُرْئِهِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي قَاعِدًا، وَتَكُونُ هَيْئَةُ قَعُودِهِ حَسَبَ الْأَسْهَلِ عَلَيْهِ، وَيُؤْمِيءُ بِرَأْسِهِ فِي الرُّكُوعِ بَأَنْ يَحْنِي رَأْسَهُ وَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ . وَأَمَّا السُّجُودُ فَإِنْ اسْتَطَاعَ مَنْ صَلَّى قَاعِدًا أَنْ يَسْجُدَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِنْ

لم يستطع ، فإنه يؤمُّ برأسه في السجود ويجعله أخفض من الإيماء بالركوع ، ويقول : سبحان ربي الأعلى ، فإن لم يستطع الصلاة جالساً فإنه يصلي على جنبه ، والأفضل أن يكون على جنبه الأيمن فإن لم يستطع التوجه إلى القبلة أو لم يكن عنده من يوجهه إليها ، وخشي خروج الوقت ، فإنه يصلي حسب حاله إلى أي جهة تسهل عليه ، ويؤمُّ برأسه في الركوع ويقول : سبحان ربي العظيم ، ثم يرفع رأسه من الركوع ، ويقول : ربنا ولك الحمد ، ثم يؤمُّ برأسه في السجود ويجعله أخفض من الركوع ، ويقول : سبحان ربي الأعلى ، ثم يرفع رأسه من السجود ، ويقول : رب اغفر لي ، ثم يؤمُّ برأسه للسجدة الثانية مثل الأولى ، فإن لم يستطع المريض الصلاة على جنبه فإنه يصلي مستلقياً على ظهره وتكون رجلاه إلى القبلة إن أمكن ، ويؤمُّ برأسه للركوع والسجود كما سبق .

والدليل على صلاة المريض على هذه الكيفيات السابقة ما أخرجه الإمام البخاري وأهل السنن من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت بي بواسير ، فسألت النبي ﷺ ، فقال : «صَلِّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك» . زاد النسائي : «فإن لم تستطع فمستلقياً» .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

فإن لم يستطع المريض الإيماء برأسه أو مأ بطرفه ، أي : عينيه عند جماعة من العلماء ، وهو الأحوط ، أمّا ما يقوله بعض العوام : إنه يؤمُّ بأصبعه أو يده ، فهو قول لا أصل له في الشرع ولا تصحُّ به الصلاة ؛ لأن اليدين ليسا من موضع الإيماء ، وإنما موضع الإيماء هو الرأس والوجه أو الطرف عند بعض العلماء . ومما سبق يتبين لنا أن الصلاة لا تسقط عن المريض مهما بلغ به المرض ما دام عقله باقياً ، بل يصلي على حسب حاله ، ولا يجوز له تأخير الصلاة عن وقتها ، فما يفعله بعض المرضى ومن تجرى لهم عمليات جراحية ويرقدون على سرر المستشفيات ويتركون الصلاة مدة بقائهم في تلك المستشفيات ومدة رقادهم على تلك السرر بحجة أنهم لا يقدرّون على أداء الصلاة بصفة كاملة ، أو لا يقدرّون على الوضوء ،

أو أن عليهم ملابس نجسة ولا يقدرّون على استبدالها، أو غير ذلك من الأعدار التي يظنونها تسقط عنهم الصلاة، فإنهم قد أخطؤوا في ذلك، فالصلاة تؤدي حسب الاستطاعة، ومن عجز عن بعض شروطها أو أركانها أو واجباتها فإنه يسقط عنه ما عجز عنه من ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

فإن استطاع المريض الوضوء تَوْضُّاً، وإن لم يستطع فإنه يَتِمُّ بالتراب، بأن يضرب بيديه على تراب طهور أو على شيء عليه غبار طهور من فراش أو جدار أو بلاط، ثم يمسح وجهه وكفيه بما علق على يديه من الغبار. وإذا جيء له بتراب يسير يجعله عند سريره في منديل أو إناء صغير يضرب عليه للتيمم فحسن، وإن لم يجد ماء ولا تراباً وخشي خروج الوقت فإنه يصلي بلا وضوء ولا تيمم، وصلاته صحيحة ومجزئة؛ لأنه فعل ما يستطيع، والله تعالى يقول: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

والثياب التي عليها نجاسة إن استطاع أن يغسل النجاسة عنها ويصلي فيها فعل، أو استطاع أن يستبدلها بثياب طاهرة أو خلَعَ ما لا يحتاج إليه في الصلاة منها، فإنه يجب عليه ذلك، وإن لم يستطع غسلها ولا استبدالها ولا خلَعَ شيء منها، وخشي خروج وقت الصلاة، فإنه يصلي فيها وصلاته صحيحة.

وإذا كان في أحد أعضاء الوضوء جرح أو موضع عملية وعليه ضماد فإنه يمسح عند كل وضوء على ذلك الضماد الذي فوق الجرح، ويكفيه المسح على الضماد عن غسل ما تحته إلى أن يزال أو يبرأ ما تحته.

ويجب علينا جميعاً أن نَعْلَمَ ونُعْلَمَ مرضانا أن الصلاة يجب أداؤها في مواقيتها حسب الإمكان، فإن بعض المرضى قد يترك الصلاة مدة بقائه في المستشفى، ويقول: أفضيها بعد ذلك إذا خرجت من المستشفى، وهذا خطأ عظيم، نشأ عن الجهل بشأن الصلاة، والجهل بأحكام وكيفية صلاة المريض، فيجب التنبه لذلك، ويجب على المسؤولين عن المستشفيات أن يعتنوا بتفقد

أحوال المرضى ويعلموهم كيف يصلُّون، وذلك بواسطة توزيع نشرات أو تسجيلات تُذاع في المستشفى عن أحكام الصلاة وأحكام الطهارة وغيرها من أحكام المريض، ويجوز للمريض إذا احتاج إلى الجمع بين الصلاتين أن يجمع بين المغرب والعشاء في وقتٍ إحداهما تقديماً أو تأخيراً، وبين الظهر والعصر في وقتٍ إحداهما تقديماً أو تأخيراً حسب الأرفق به إذا كان يلحقه بترك الجمع مشقة.

ومن أهل الأعدار : المسافر الذي يقصد مسافة تبلغ ثمانين كيلو متراً فأكثر، فإنه يُستحب له قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين رخصة من الله تعالى، وصدقة تصدق بها عليه للتخفيف عنه، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

يعني : سافرتُم ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ [النساء : ١٠١]

يعني : الرباعية، فتصلوها ركعتين وهي الظهرُ والعصرُ والعشاءُ دون المغرب والفجر فإنهما لا تُقصران بالإجماع، لأنَّ المغرب وتُرُّ النهار، والفجر شرعت ركعتين في الحضر والسفر .

ولا يقصرُ المسافرُ إلا إذا خرجَ من بلده، وفارقَ عامرَ قريته . ويجوزُ القصرُ للمسافر ولو تكرر سفره كصاحب البريد وصاحب سيارة الأجرة .

ويلزمُ المسافرُ إتمام الصلاة إذا صَلَّى خلفَ مقيمٍ ، وإذا نوى في أثناء سفره إقامةً تزيد على أربعة أيام فإنه يُتِمُّ الصلاة لانقطاع أحكام السفر في حقه . أمَّا إن نوى إقامةً لا تزيد على أربعة أيام، أو نوى إقامةً غير محددة، فإنه يقصرُ الصلاة لعدم انقطاع أحكام السفر في حقه .

وأما النوافلُ فإنَّ المسافر يحافظُ منها على الوتر، وعلى قيام الليل، وعلى راتبة الفجر، وهما الركعتان اللتان قبلها . وأمَّا بقية الرواتب التي مع الفرائض فإنه لا يصلِّيها، لأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ أنه صلى سنة راتبة في السفر غير سنة الفجر والوتر .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : وكان من هديه ﷺ في سفره الاقتصارُ

على الفرض، ولم يُحَفَظْ عنه ﷺ أنه صَلَّى سَنَةَ الصَّلَاةِ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْوُتْرِ وَسَنَةِ الْفَجْرِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ يَصَلِّي التَّهَجُّدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَيُبَاحُ لِلْمَسَافِرِ فِي أَثْنَاءِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي وَقْتِ إِحْدَاهُمَا جَمْعَ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ، وَبَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ فِي وَقْتِ إِحْدَاهُمَا جَمْعَ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ حَسَبَ الْأَرْقِ بِه، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَقْتُ الْأَوَّلَى قَبْلَ رُكُوبِهِ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ جَمْعَ تَقْدِيمٍ، ثُمَّ يَرْكَبُ، وَإِنْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَقْتُ الْأَوَّلَى وَهُوَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ يُؤَخِّرُهَا وَيَصَلِّيُهَا مَعَ الثَّانِيَةِ إِذَا نَزَلَ جَمْعَ تَأْخِيرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي طَائِرَةٍ لَا تَنْزِلُ إِلَّا بَعْدَ خُرُوجِ - وَقْتِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يَصَلِّي فِي الطَّائِرَةِ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ إِلَى النُّزُولِ، وَإِذَا كَانَ الْمَسَافِرُ نَازِلًا فَإِنَّهُ يَصَلِّي كُلَّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا قَصْرًا بِلَا جَمْعٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَجْمَعُ إِلَّا إِذَا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّهُ جَمَعَ وَهُوَ نَازِلٌ إِلَّا فِي عَرَفَةَ وَمَزْدَلِفَةَ لِأَجْلِ اتِّصَالِ الْوُقُوفِ، وَيُبَاحُ الْجَمْعُ فِي الْحَضَرِ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ خَاصَّةً فِي حَالَةِ الْمَطَرِ وَالْوَحْلِ وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ، لِأَنَّهُ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ، وَفَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَرَكُوا الْجَمْعَ فِي الْمَسْجِدِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، وَالصَّلَاةُ فِي الْبُيُوتِ بَدْعٌ مُخَالِفَةٌ لِلْسُّنَةِ .

ومن أهل الأعذار : الخائفون الذين يمنعونهم الخوف من أداء الصلاة كاملة على الوجه الذي يؤدونها به الآمن، فإن هؤلاء يصلون على حسب حالهم . وللخائف حالتان : -

الحالة الأولى : حالة الخوف الشديد كالهارب من عدو أو سيل أو سبع ومن في حالة التحام القتال مع العدو، فإن هؤلاء في هذه الحالة يصلون رجالاً أو ركباناً مستقبلين القبلة وغير مستقبلينها، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾

[البقرة : ٢٣٩]

قال الإمام البغوي - رحمه الله - معناه : إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين مؤففين للصلاة حقها لخوف، فصلوا مشاةً على أرجلكم أو ركباناً على ظهور

دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسابقة، يصلي حيث كان وجهه راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة وغير مستقبلها، ويؤمى بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع.

وكذلك إذا قصده سبُع أو غشيهُ سيل يخاف منه على نفسه، فعداً أمامه، وصلى بالإيماء، فإنه يجوز.

والحالة الثانية: إذا كان الخوف غير شديد، وكان العدو مقابلاً لهم قريباً منهم يخشون أن يهجم عليهم في الصلاة، ففي هذه الحالة يقسم الإمام الجند إلى طائفتين طائفة تصلي معه، وطائفة تحرس وتراقب تحركات العدو، فإذا صلى بالذين معه ركعة ثبت قائماً. وأتموا لأنفسهم وسلموا، ثم ذهبوا إلى مكان الحراسة، وجاءت الطائفة التي كانت تحرس في الركعة الأولى وصلوا مع الإمام الركعة الثانية، ثم أتموا لأنفسهم وانتظرهم جالساً ثم سلم بهم.

ولصلاة الخوف صور أخرى جاءت بها الأحاديث بحسب الأحوال. قال الإمام أحمد رحمه الله: صحّت صلاة الخوف عن النبي ﷺ من خمسة أوجه أو ستة أوجه، كلّها جائزة، ومن ذهب إليها كلّها فحسن.

فالحمد لله على التيسير ونسأله سبحانه أن يثبتنا على دينه ويرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم نَالَهُ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في صلاة أهل الأعذار

الحمد لله رب العالمين، على نعمة الظاهرة والباطنة.

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٨].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه القويم، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واعرفوا مكانة الصلاة في الإسلام، فقد تبين لكم من خلال عرضنا لكيفية صلاة أهل الأعذار أن الصلاة لا تسقط بحالٍ من الأحوال، لا في حالة السفر ولا في حالة المرض ولا في حالة الخوف، ولم يَجْز تأخيرها عن وقتها في تلك الأحوال الشديدة، فما بال أقوام يتخلفون الآن عن صلاة الجماعة وهي تُقام بجوار بيوتهم وعلى مسمعٍ ومرأى منهم وهم آمنون أصحاء.

وما بال أقوام يؤخّرون الصلاة عن مواقيتها ولا يصلونها إلا بعد قيامهم من النوم أو فراغهم من الشغل ؛ وهم يقرؤون قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣].

أي : فرضاً فرضه الله في أوقاتٍ محددة، أليسوا مؤمنين؟ ألم يعلموا أن من أخر الصلاة عن وقتها فقد أضاعها وسها عنها؟

وقد قال الله تعالى : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾ [مريم : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٤ - ٥].

أما أن لهؤلاء أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أهليهم، فينقذوا أنفسهم وأهليهم من نارٍ ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحریم : ٦] ؟

هل يريدون أن يستقيم لهم دينٌ بدون صلاة، هل يريدون أن تصحَّ لهم صلاة بدون التزام بشروطها وأحكامها.

فاتقوا الله عبادَ الله في أنفسكم، وخذوا على أيدي مَنْ أَلَزَمَكُمُ اللهُ الأخذَ على أيديهم. أنقذوهم من المعاصي أشدَّ مما تُنقذونهم من الغرقِ والحريق، فإنَّ العذابَ والعقوبة إذا نزلا لا يقتصران على المذنب، بل يُعمَّان معه مَنْ لم ينكر عليه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٢٥]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في أحكام صلاة الجمعة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، شرَّع لعباده الجمع والجماعات، ليظهرهم بها من السيئات. ويرفعَ لهم بها الدرجات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته والأسماء والصفات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أنزلَ عليه الآياتِ البينات. صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، في جميع الأوقات... أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واشكروه على ما خَصَّكُمْ به من نعمة العظيمة التي من أعظمها هذا اليوم الذي خَصَّ اللهُ به هذه الأمة وهو يوم الجمعة، وقد شرَّع فيه أداءَ شعيرةٍ عظيمة من شعائر الإسلام، وهي صلاةُ الجمعة، وهذه الصلاة لها أحكام منها:

أَنَّ الله سبحانه شَرَعَ الاجتماع لها بأكبر عددٍ ممكن، فلا يجوزُ تعدُّدُ أمكنة إقامتها في البلد إلا عند عدم التمكن من إقامتها في مكان واحد، فقد قال العلماء -رحمهم الله- : يَحْرُمُ إقامة الجمعة في أكثرَ من موضعٍ من البلد إلا إذا دعت الحاجة إلى تعدد الجوامع بحسب الحاجة، وقد تساهلَ الناسُ اليوم في هذا الحكم، فصاروا يعدُّدون الجوامع في أمكنة متقاربة من غير حاجة إلى ذلك، وهي فرضُ عين، فتلزَمُ كُلُّ مسلم ذَكَرٍ بالغ عاقل مقيم في البلد أو خارجه إذا كان يسمَعُ النداء لها.

وقد وَرَدَ الوعيد الشديد على من يتخلفُ عن صلاة الجمعة عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سَمِعَا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» رواه مسلم . ولا تَجِبُ الجمعة على مسافرٍ سفرَ قصر، لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون في الحج وغيره فلم يُصَلِّ أَحَدٌ منهم الجمعة في السفر مع اجتماع الخلق الكثير، وإذا حَضَرَ المسافرُ الجمعة وصلَّاهَا مع المُقيمين أجزأته، وإذا نَوَى المسافرُ الإقامة في بلد إقامةً تزيدُ على أربعة أيام وَجَبَتْ عليه صلاة الجمعة مع أهل ذلك البلد .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنها يُسْتَحَبُّ التهيؤُ لها قبل حضورها بالاغتسال والتنظف والتطيُّب، ولُبْسُ أحسن الثياب، وتجميل الهيئة بقصِّ الشارب وتقليم الأظافر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجلُ وغَسَلَ رأسَهُ، ثم تطيَّبَ من أطيب طيبه، ولَبَسَ من صالح ثيابه، ثم خَرَجَ إلى الصلاة ولم يُفَرِّقْ بين اثنين، ثم استمعَ الإمامَ غُفِرَ له من الجُمُعَةِ إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام»، رواه ابنُ خزيمة في «صحيحه» .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنها يُسْتَحَبُّ التبكير بالحضور لها في المسجد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ» رواه مالك والبخاري ومسلم .

ففي هذا الحديث الترغيب في التبكير لحضور صلاة الجمعة لما يترتب على التبكير من تحصيل مكان في الصف الأول، والحصول على فضيلة انتظار الصلاة، وحصول الاشتغال بذكر الله بصلاة النافلة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتلهيل، والتكبير، والدعاء، وهذه الفضائل تفوت كلها على المتأخر، ومع الأسف في هذا الزمان قل الاهتمام بالتبكير لحضور صلاة الجمعة، فالكثير لا يأتون إليها إلا عند دخول الإمام أو عند الإقامة، يَحْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَجُورِ الْعَظِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمُتَعَدَّةِ، لَا لشيء إلا لأن الشيطان خَذَلَهُمْ عَنِ التَّبَكُّيرِ وَزَهَّذَهُمْ فِي الثَّوَابِ. فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ يَرِثُونَ النَّاسَ إِلَى أَسْوَاقِهِمْ»، يعني: يؤخرونهم عن الحضور .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يُشترط لها تقدُّمُ خطبتين يشتملان على حمد الله والثناء عليه، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام عليه، والوصية بتقوى الله وموعظة المسلمين، وتوجيههم وتنبيههم إلى ما يحتاجون إلى التنبيه إليه كل وقت بحسبه، ووصيتهم بما يقرَّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ، ونهيهم عما يُبعدُهُمْ عَنِ اللَّهِ، ويوجبُ لَهُمْ سَخَطَهُ وَنَارَهُ، مع جزالة الألفاظ وجودة الإلقاء، ولا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مُخِلَّةً، . . ولا تكون حشواً من الكلام لا فائدة فيه، بل يختار لها الموضوع المناسب المفيد، ويتجنب الموضوع الذي لا مناسبة له أو لا فائدة فيه .

فقد كَانَ النبي ﷺ يَهْتَمُّ بِشَأْنِ الْخُطْبَةِ مَوْضُوعاً وَإِلْقَاءً، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبِّحْكُمْ وَمَسَاءَكُمْ، وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبِهِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَشُرَائِعَهُ وَيُكَثِّرُ فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَقْصُرُ الْخُطْبَةَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُكَثِّرُ الذِّكْرَ، وَيَقْصِدُ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعَ، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مَثْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ». فَيَجِبُ عَلَى الْخُطْبَاءِ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ فِي خُطْبِهِمْ، فَإِنَّ بَعْضَ الْخُطْبَاءِ الْيَوْمَ يُطِيلُ الْخُطْبَةَ تَطْوِيلًا مَمْلًا وَيَتَنَاوَلُ فِيهَا مَوْضُوعَاتٍ لَا مَنَاسِبَةَ لَهَا فِيهَا، وَلَا فَائِدَةَ لِلْحَاضِرِينَ مِنْهَا، أَوْ هِيَ غَرِيبَةٌ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَمَعَ هَذَا يَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ وَيُقَلِّلُونَ الْقِرَاءَةَ فِيهَا، وَهَذَا خِلَافُ السُّنَّةِ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْحَاضِرِينَ الْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ لِلْخُطْبَةِ، وَيَحْرُمُ الْكَلَامُ وَقْتَ إِلْقَائِهَا، وَيَحْرُمُ الْعَبَثُ حَالَ الْخُطْبَةِ بِكَثْرَةِ الْحَرَكَةِ بِيَدِ أَوْ رِجْلِ أَوْ تَحْرِيكِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ أَوْ مَسِّ لَحْيَةٍ أَوْ ثَوْبٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْغَلُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ». رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَإِنَّمَا شَبَّهِ الْمُتَكَلِّمَ وَقْتَ الْخُطْبَةِ بِالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، لِأَنَّهُ فَاتَهُ الْإِنْتِفَاعُ مَعَ تَكْلِفِهِ الْحُضُورَ، فَهُوَ كَالْحِمَارِ الَّذِي يَتَكَلَّفُ حَمْلَ الْكُتُبِ وَهُوَ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الَّذِي يَنْهَاهُ عَنِ الْكَلَامِ وَقْتَ الْخُطْبَةِ وَيَقُولُ لَهُ اسْكُتْ، لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَصْلِ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ عَنِ مَنَكْرٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مَمْنُوعٌ مِنْ بَابِ أَوَّلَى حَالِ الْخُطْبَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَمَعْنَى: مَسَّ الْحَصَا، أَي: سَوَّى الْأَرْضَ بِيَدِهِ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْعَبَثِ

الذي يَشْغَلُ عن استماع الخطبة، ويُذهِبُ الخشوع .

وَمَنْ دَخَلَ المسجدَ والإمامُ يَخْطُبُ لم يجلسَ حتَّى يصليَ ركعتين خفيفتين، لقوله ﷺ : «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ خَرَجَ الْإِمَامُ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ» متفق عليه . زاد مسلم : «وليتجوَّزَ فيهما» .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يستحبُّ أن يقرأَ جهراً في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الركعة الثانية بسورة (إذا جاءك المنافقون)، أو يقرأَ في الركعة الأولى بـ (سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، وفي الثانية بالغاشية، لفعله ﷺ .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنَّ مَنْ أدركَ منها ركعة مع الإمام أتمَّها جمعةً، وإن أدركَ منها أقلَّ من ذلك بأن جاء ودخلَ مع الإمام بعدَ رفعه رأسه من الركعة الثانية، فإنه يُتِمُّها ظُهوراً إذا كان نوى الظهر عند تكبير الإحرام، لقوله ﷺ : «وَمَنْ أدركَ ركعة من الجمعة فقد أدركَ الصلاة»، فإن لم ينوِها ظُهوراً عند تكبيرة الإحرام، فإنه يُتِمُّها نافلةً، ويصليَ الظهر بعدها .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنَّها لا راتبة لها قبلها، لكن مَنْ دَخَلَ المسجدَ لصلاة الجمعة وكان مبكراً، فإنه يصليَ من النوافل ما تيسَّرَ له إلى أن يدخلَ الإمام للخطبة، وفي الحديث : «ثم يصليَ ما كتب له» .

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أتوا المسجدَ يومَ الجمعة يصلُّون من حين يدخلون ما تيسَّرَ، وراتبة الجمعة بعدها . لما في «صحيح مسلم» : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ سَنَّتْهَا، فَمَنْ صَلَّى رَاتِبَةَ الْجُمُعَةِ فِي الْمَسْجِدِ صَلَّاهَا أَرْبَعاً وَمَنْ صَلَّاهَا فِي بَيْتِهِ صَلَّاهَا رَكَعَتَيْنِ، جَمْعاً بَيْنَ الْأَحَادِيثِ .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يحرمُ البيعُ والشراء، ويجب السعيُ إليها على من تَلَزَّمَهُ بعدَ النداء الثاني، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
[الجمعة : ٩]

ويُحْرَمُ السفرُ بعد الزوال من يومها على من تلزمه حتى يُصَلِّيَهَا، وقبل الزوال يُكْرَهُ السفر حتى يصليها .

فاتقوا الله - عباد الله - وحافظوا على الجُمُعِ والجماعات، لتكونوا من المفليحين .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في صلاة الجمعة

الحمدُ لله على فضله وإحسانه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً
كثيراً . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، وأطيعوه، وحافظوا على الصلوات، وعلى
الجُمُعِ والجماعات، تناولوا من الله الأجرَ والكرامات . عن أبي هريرة رضي الله
عنه، عن رسول الله ﷺ قال : «الصلوات الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعة ورمضانُ
إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم وغيره .

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «إنَّ
يومَ الجمعة سيّدُ الأيام، وأعظمُها عند الله، وهو أعظمُ عند الله من يومِ الأضحى
ويومِ الفطر، وفيه خمسُ خلal : «خَلَقَ الله في آدم، وأهبطَ الله فيه آدمَ إلى
الأرض، وفيه تَوَفَّى الله آدم، وفيه ساعةٌ لا يَسْأَلُ الله فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه إياه ما
لم يسأل حراماً، وفيه تقوُّمُ الساعة، ما مِنْ ملكٍ مقربٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا
رياحٍ ولا جبالٍ ولا بحرٍ إلا وَهَنَ يَشْفِقُنَّ من يومِ الجمعة» رواه أحمد وابن ماجه .

فاحمدوا الله على ما خصَّكم به من هذا اليوم، وما جعل فيه من الخير لمن
وفقه الله واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الذكر بعد الصلاة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، أمر بذكره في كل الأوقات، وخاصةً في أدبارِ
الصلوات، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاة،
وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله وخيرته من جميع البريات، صَلَّى الله عليه وعلى
آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً ما تعاقبت الأوقات . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنَّ الله أمركم بالإكثار من ذكره، فقال
سبحانه وتعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾
[الأحزاب : ٤١]

وخصَّص سبحانه الأمر بذكره بعد أداء العبادات، فأمر بذكره بعد الفراغ من
الصلوات، فقال سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾
[النساء : ١٠٣] وقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠]

وأمر بذكره بعد إكمال صيام رمضان، فقال سبحانه : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

وأمر بذكره بعد قضاء مناسك الحج ، فقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتُمْ
مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ وَأَاشِدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠]

وذلك والله أعلم جبرٌ لما يحصلُ في العبادة من النقص والوساوس،
ولإشعار الإنسان أنه مطلوبٌ منه مواصلة الذكر والعبادة لئلا يظن أنه إذا فرغ من
العبادة فقد أدى ما عليه .

والذكرُ المشروع بعد صلاة الفريضة يجب أن يكون على الصفة الواردة عن
النبي ﷺ، لا على الصفة المحدثّة المبتدعة التي يفعلها الصوفية المبتدعة .

ففي «صحيح مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا
انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال : «اللهم أنت السلام، ومنك السلام،
تباركت يا ذا الجلال والإكرام» .

وفي «الصحيحين» عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ
كان إذا فرغ من الصلاة قال : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت،
ولا ينفع ذا الجد منك الجد» .

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ
كان يهمل دُبْرَ كل صلاة حين يُسلم بهؤلاء الكلمات : «لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله .
لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله
إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» .

وفي «السنن» من حديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : «من قال في دُبْرِ
صلاة الفجر وهو ثابٍ رجليه قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له
الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كتبت له
عشر حسنات، ومُجِي عنه عشر سيئات، وُرفِعَ له عشر درجات، وكان يومه ذلك
كله في حرزٍ من كل مكروهٍ وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في
ذلك اليوم إلا الشرك بالله» قال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح .

وَوَرَدَ أَنَّ هَذِهِ التَّهْلِيلَاتِ الْعَشْرُ تُقَالُ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَيْضاً فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ»، وَيَقُولُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَالْفَجْرِ أَيْضاً: «رَبِّ أَجْرُنِي مِنَ النَّارِ» سَبْعَ مَرَّاتٍ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُمْ.

ثُمَّ يَسْبِّحُ اللَّهُ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدُهُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَيَكْبِرُهُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَيَقُولُ تَمَامَ الْمِئَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ. وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، ثُمَّ قَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

ثُمَّ يَقْرَأُ آيَةَ الْكَرْسِيِّ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. لِمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكَرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»، يَعْنِي: لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «كَانَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ الْآخِرَةِ».

وَفِي «السَّنَنِ» عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ الْمَعُودَتَيْنِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: دَلَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ هَذِهِ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ، وَعَلَى مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مَنْ قَالَهَا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، فَيَنْبَغِي لَنَا الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهَا وَالِاتِّيَانُ بِهَا عَلَى الصِّفَةِ الْوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنْ نَأْتِيَ بِهَا بَعْدَ السَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ مَبَاشَرَةً قَبْلَ أَنْ نَقُومَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي صَلَّيْنَا فِيهِ، وَنَرْتَّبَهَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ.

فإذا سلّمنا من الصلاة، نستغفر الله ثلاثاً، ثم نقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. أي: لا ينفع الغني منك غناه، وإنما ينفعه العمل الصالح.

ثم نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

ثم نسبح الله ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، ونكبره ثلاثاً وثلاثين، ونقول تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وبعد صلاة المغرب وصلاة الفجر تأتي بالتهليلات العشر، ونقول: ربّ أجزني من النار سبع مرات، ثم بعد أن نفرغ من هذه الأذكار على هذا الترتيب نقرأ آية الكرسي، وسور: قل هو الله أحد، والمعوذتين، ويستحب تكرار قراءة هذه السور بعد صلاة المغرب، وصلاة الفجر ثلاث مرات، ويستحب الجهر بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة، لكن لا يكون بصوت جماعي، وإنما يرفع به كل واحد صوته منفرداً، ويستعين على ضبط عدد التهليلات وعدد التسبيح والتحميد والتكبير بعقد الأصابع، لأن الأصابع مسؤولات مستنطقات يوم القيامة.

ويباح استعمال السبحة ليعدّ بها الأذكار والتسبيحات من غير اعتقاد أن فيها فضيلة خاصة، وكرهها بعض العلماء، وإن اعتقد أن لها فضيلة فاتخاذها بدعة، وذلك مثل السبح التي يتخذها الصوفية ويلقونها في أعناقهم أو يجعلونها كالأسورة في أيديهم، وهذا مع كونه بدعة فإن فيه رياء وتكلفاً.

ثم بعد الفراغ من هذه الأذكار يدعو سراً بما شاء، فإن الدعاء عقب هذه

العبادة وهذه الأذكار العظيمة أحرى بالإجابة، ولا يرفع يديه بالدعاء بعد الفريضة كما يفعل بعض الناس، فإن ذلك بدعة. وإنما يفعل هذا بعد النافلة أحياناً. ولا يجهر بالدعاء، بل يخفيه، لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص والخشوع، وأبعد عن الرياء. وما يفعله بعض الناس في بعض البلاد من الدعاء الجماعي بعد الصلوات بأصوات مرتفعة مع رفع الأيدي، أو يدعو الإمام والحاضرون يؤمنون رافعي أيديهم، فهذا العمل بدعة منكرة، لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الفراغ من الصلاة على هذه الصفة لا في الفجر ولا في العصر ولا غيرهما من الصلوات. ولا استحَبَّ ذلك أحد من الأئمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، مَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فَقَدْ غَلِطَ عَلَيْهِ، فَيَجِبُ التَّقِيدُ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [الحشر : ٧] ويقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية سنن الرواتب مع الفرائض

الحمد لله رب العالمين، أمر بالتزود من الخيرات، وذلك بفعل الطاعات والإكثار من الحسنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تسبح بحمده الأرض والسموات وجميع المخلوقات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حث على أداء السنن والرواتب بعد الصلوات المفروضة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كان تنافسهم في المسابقة إلى الخيرات، وسلم تسليمًا كثيرًا. . .
أما بعد :

عباد الله : اتقوا الله تعالى ، وأكثروا من الحسنات ، وتوبوا من السيئات ، وحافظوا على الصلوات ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤]

ثم اعلّموا - رحمكم الله - أن النبي ﷺ شرع لكم سنناً رواتب مع الفرائض ، وهي سنن متأكدة يُكره تركها ، ومن دوام على تركها سقطت عدالته ، فتردّ شهادته ، لأن ذلك يدل على قلة دينه ، فحافظوا عليها . وهي عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة ، ركعتان قبل الظهر ، وقيل : أربع ركعات ، وهو الصحيح ، وركعتان بعد الظهر ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ، وركعتان قبل صلاة الفجر بعد طلوع الفجر - لقول ابن عمر رضي الله عنهما : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ رَكَعَاتٍ : رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي بَيْتِهِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ ، كَانَتْ سَاعَةً لَا يَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا أَحَدٌ ، حَدَّثَنِي حَفْصَةُ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا أَدَّانَ الْمُؤَذِّنُ وَطَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ . متفق عليه .

وقالت عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ

تعاهداً منه على ركعتي الفجر. متفق عليه.

وفي «صحيح البخاري»: عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر.

ومن فاتته راتبة الفجر قبلها فالأفضل أن يصلّيها بعدما تطلّع الشمس، وإن صلاها بعد صلاة الفجر فلا بأس.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ..

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضل صلاة التطوع

الحمد لله رب العالمين، أمر عباده بالتزود للدار الآخرة بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل، ونهاهم عن الغفلة والإعراض والانشغال بالدنيا عن الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، السعيد من أطاعه وأتقاه، والشقي من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يقوم من الليل حتى تفتطرت قدماه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به في فعل الطاعات، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وحافظوا على أداء فرائض الله، فإنها أحب الطاعات إلى الله، ثم تزودوا مع الفرائض من النوافل والتطوعات، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

ومعنى: (تَطَوَّعَ خَيْرًا) فَعَلَ غير المفترض عليه من صلاة وصدقة وصوم وحج وغير ذلك من أنواع التطوعات، فالتطوع هنا الإتيان بالطاعة غير الواجبة.

وقال تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) معناه : أنه سبحانه يشكر لعباده فعل الطاعة فيشبههم على القليل بالكثير، ويعلم أعمالهم صغيرها وكبيرها ومقدار ما يستحقونه من الجزاء عليها، فلا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى :

«وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».

فالتقرب إلى الله بالنوافل سبب لنيل محبة الله للعبد، كما أن التقرب إلى الله بالنوافل يجبر به ما يحصل في الفرائض من نقص يوم القيامة. فقد جاء في الحديث : «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمها، وإلا قال الله تعالى :

«انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع أكملت منه الفريضة، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك»..

فالفرائض أكمل من النوافل في ذاتها وفضلها وكثرة ثوابها، والسنن نوعان : نوع مستقل بنفسه كنوافل الصلاة ونوافل الصيام والصدقة والحج وغيرها. ونوع تابع للفرائض غير مستقل بنفسه فهذا النوع الأخير ينبغي للعبد أن يعتني به اعتناء عظيماً بعد اعتنائه بأصل الواجبات، لأنه مكمل لها، ويثاب عليه معها..

وإذا كانت الصلوات الخمس أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله، فإنه يجب على المسلم أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس. ويتأكد عليه كذلك أن يحافظ على نوافل الصلوات، ولا سيما الرواتب التي مع الفرائض : وهي عشر الركعات التي قال فيها ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت عن رسول الله ﷺ عشر ركعات، ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها. وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الفجر، وكانت

محافظة ﷺ على سنة الفجر أشد من جميع النوافل، فلم يدعها، هي والوتر لا حضراً ولا سفيراً ..

أما غير سنة الفجر من الرواتب فلم يكن ﷺ يفعلها مع الفرائض في السفر ..

عباد الله : ومن الصلوات النوافل صلاة الليل، وهي سنة مؤكدة. قال تعالى في مدح قوام الليل: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦]

أي إنهم يتركون النوم على الفراش اللينة واللحف الدفيئة في الشتاء ويقومون لصلاة التهجد (يدعون ربهم) فيها خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ... ثم ذكر سبحانه جزاءهم، فقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

فإن الجزاء من جنس العمل. فهم لما أخفوا قيامهم بالليل أخفى الله جزاءهم، فأعطاهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح .

وقد أخبر النبي ﷺ أن صلاة الرجل في جوف الليل تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وتلا هذه الآية: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ١٦] حتى بلغ: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : فيشمل ذلك من ترك النوم بالليل لذكر الله ودعائه، فيدخل فيه : «مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ» «ومن انتظر صلاة العشاء فلم ينم حتى يصلّيها، لا سيما مع حاجته إلى النوم ومجاهدته نفسه على تركه لأداء الفريضة، وقد قال النبي ﷺ لِمَنْ انتظر صلاة العشاء «إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتُم الصلاة». ويدخل فيه : «مَنْ نَامَ ثُمَّ قَامَ مِنْ نَوْمِهِ بِاللَّيْلِ لِلتَّهَجُّدِ وَهُوَ أَفْضَلُ

أنواع التطوع بالصلاة مُطلقاً، وربما دَخَلَ فيه مَنْ تَرَكَ النومَ عند طُلُوعِ الفجر، وقَامَ إلى أداء صلاة الصُّبح، لا سِيَّما مع غلبة النوم عليه .

عبادَ الله : إن قيام الليل سببٌ لدخول الجنة بسلام، كما في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة انجفلَ الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه واستبنته عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجه كذابٍ . . قال : فكان أول ما سمعتُ من كلامه أن قال : «أيُّها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح . وقيامُ الليل سببٌ للانطلاقِ مِنْ أَسْرِ الشيطان وطيب النفس واستقبال صلاة الفجر بنشاطٍ، وسبب انشراح الصدرِ في النهار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : «يعقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأس أحدكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يضربُ على كل عُقْدَةٍ : عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظَ وَذَكَرَ الله تعالى انحلت عُقْدَةٌ، فإن توضأً انحلت عُقْدَةٌ، فإن صَلَّى انحلت عُقْدُهُ كُلُّهَا، فأصبحَ نشيطاً طيبَ النفسِ، وإلا أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانٌ»، رواه مالك والبخاري ومسلم وغيرهم .

ولقيام الليل فوائدٌ كثيرة وعظيمة، فاجعلوا لكم حظاً منه ولو كان قليلاً . ولا تحرموا أنفسكم من ثوابه، واجعلوا آخرَ صلاتكم في الليل وتراً، فإن الوترَ سنةٌ مؤكدةٌ، ولم يكن النبي ﷺ يتركُه حضراً ولا سَفْراً، حتى قال بعضُ أهل العلم بوجوبه وتظاهرتِ الأحاديثُ في فضله والحثُّ عليه، وقال الإمامُ أحمد : مَنْ تَرَكَ الوترَ، يعني داوم على تركه - فهو رجلٌ سوءٌ لا ينبغي أن تُقبَلَ شهادته .

فحافظوا - رحمكم الله - على أداء الوترِ، واجعلوه آخرَ صلاتكم من الليل كما أمرَ بذلك النبي ﷺ في قوله : «اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليل وتراً» . ومَنْ كان لا يثقُ من قيامه في آخرِ الليل فليوترَ قبل أن ينامَ، لما رَوَى الإمامُ مسلم عن جابر، عن

النبي ﷺ : قال : «أَيْكُمْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ ثُمَّ لِيَرْقُدْ، وَمَنْ وَثَّقَ بِقِيَامٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ مِنْ آخِرِهِ، فَإِنَّ قِرَاءَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مُحْضُورَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» .

وَإِذَا أُوتِرَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَسَرَّعَ لِقِيَامٍ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي مَا تَسَرَّعَ لَهُ وَلَا يَعِيدُ الْوُتْرَ . وَيَكْفِيهِ الْوُتْرُ الَّذِي فَعَلَهُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «لَا وَتِرَانِ فِي لَيْلَةٍ» .

وَأَقْلُ الْوُتْرِ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ . وَأَكْثَرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» : «صَلَاةُ اللَّيْلِ مِثْنِي مِثْنِي، فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأُوتِرْ بِوَاحِدَةٍ» .

وَأَدْنَى الْكَمَالِ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِ الْوُتْرِ ثَلَاثٌ، يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مِنْهَا، وَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يُصَلِّي الثَّلَاثَةَ وَيَقْنُتُ فِيهَا بَعْدَ الرُّكُوعِ فَيَدْعُو بِالْدُعَاءِ الْوَاردِ، وَإِذَا أُوتِرَ بِثَلَاثٍ، فَإِنَّهُ يَسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَةِ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، وَفِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَةِ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وَفِي الرُّكْعَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورِ فِي وَتْرِهِ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

عِبَادَ اللَّهِ : وَيُسْتَحَبُّ التَّطَوُّعُ بِالصَّلَاةِ فِي النَّهَارِ فِيمَا عَدَا الْأَوْقَاتَ الْمَنْهِيَةَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ صَلَاةُ الضُّحَى وَوَقْتُهَا مِنْ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ إِلَى قُرْبِ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ وَقْتِ الظُّهَيْرَةِ، وَأَقْلُهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ صَلَاةِ الضُّحَى وَفَضْلِهَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثٍ : صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ . فَيَسْتَحَبُّ فَعْلُهَا وَالْمَدَامَةُ عَلَيْهَا خُصُوصًا لِمَنْ لَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ .

أيها المسلمون : وهناك نوافل لها أسباب تُفعل إذا وُجدت هذه الأسباب ، مثل تحية المسجد لِمَنْ دَخَلَهُ وأراد الجلوس فيه ، وسنة الوضوء ، وصلاة الكسوف وركعتي الطواف ، فهذه النوافل تُفعل عند وجود أسبابها ، وهذه هي النوافل الليلية والنهارية ، وهي زيادة في عمل المسلم وإتاحة للفرصة أمامه ، ليتزود لآخرته ، وليتصل بربه ، ويرفع إليه شكواه وحوائجه ويتقرب إليه ، وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار ، لقوله ﷺ : «أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل» رواه مسلم .

فالتطوع المطلق أفضلُه صلاة الليل ، لأنَّ الليل تنقطع فيه الشواغل ويتفرغ فيه القلب لذكر الله وتدبر القرآن ، ولأنَّ آخر الليل وقت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا ، ووقت إجابة الدعاء . فاجعلوا لكم نصيباً من قيام الليل ، ولا تكونوا من الغافلين . فإنَّ كثيراً من الناس اليوم يسهرون الليل إما على اللهو واللعب والمعاصي - يسهرون على لعب الورق أو على استماع الأغاني والمزامير وأنواع الملاهي ، أو على مشاهدة الأفلام الخليعة المدمرة للأخلاق ، أو مشاهدة المسلسلات التي تحمِل أفكاراً مسمومة ، أو على مزاح ، وقيل وقال ، وضحك وغفلة . وربما ينامون عن صلاة الفجر ويخرجونها عن وقتها ، أو يتأخرون عن صلاة الجماعة في المسجد ، فتكون المصيبة بذلك أعظم ، لأنهم سهروا على فعلٍ محرَّم ، وناموا عن أداء واجبٍ .

وهكذا المعاصي يجُرُّ بعضها إلى بعض ، فاتقوا الله - عباد الله - واحفظوا أوقاتكم فيما يفيدكم في دينكم ودنياكم ، ولا تضيعوها فتخسروها وتندموا على فواتها حين لا ينفع الندم . .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ؕ آخِذِينَ مَا أَنَّهُمْ رِيسَمٌ ؕ لَّهُمْ فِيهَا نَضُوبٌ فَالَّذِينَ أَرَادُوا أَنَّ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ فَخَرُّوا عَلَيْهَا هَاكُنَا بِمَقْعَدِ الشَّقَاةِ فَهُمْ فِيهَا مَخْرُومُونَ ﴾ [الذاريات : ١٥]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في بيان الأوقات التي ينهى عن الصلاة فيها

الحمد لله على فضله وإحسانه لا نُحصى ثناءً عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ملجأً منه إلا إليه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واشكروه على ما يسّر لكم من فعل الخيرات واعلموا - يا عباد الله - أن هناك أوقاتاً يُنهى عن صلاة التطوع فيها، وهي خمسة أوقات، بينها النبي ﷺ :

الأول : من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، فإذا طلع الفجر الثاني امتنع فعل صلاة النافلة ما عدا سنة الفجر، لقوله ﷺ : «إذا طلع الفجر فلا صلاة إلا ركعتي الفجر» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

الثاني : من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رُمح .

الثالث : عند قيام الشمس حتى تزول، لقول عقبة بن عامر : ثلاث ساعات نهانا رسول الله ﷺ أن نصليّ فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول، وحين تتضيف الشمس للغروب حتى تغرب. رواه مسلم.

الرابع : من صلاة العصر إلى قرب غروب الشمس.

الخامس : حين تشرع في الغروب حتى تغرب، لقوله ﷺ «لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس» متفق عليه، وهناك صلوات يجوز فعلها في أوقات النهي :

فيجوز قضاء الفرائض الفائتة في هذه الأوقات، لقوله ﷺ «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها». متفق عليه.

ويَجُوزُ فيها فعلُ ركعتي الطواف، لقوله ﷺ: «لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيتَ وصَلَّى أيةَ ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ». رواه الترمذي وصحَّحه.

وتَجُوزُ الصلاةُ على الجنائزَةِ بعدَ الفجرِ وبعدَ العصرِ، لأنَّ في تأخيرِ الجنائزَةِ ضرراً عليها، ويجوزُ فيها فعلُ سنةِ الفجرِ بعدها إذا لم يتمكَّنْ من أدائها قبلها فتنبَّهوا لذلك - رحمكمُ الله - وتقيّدوا به .

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في أحكام الجنائز

الحمد لله ربَّ العالمين، حكمَ بالموت على بني الإنسان : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ - ٢٧]

وبعدَ الموتِ يودَّعون في القبورِ إلى يومِ البعثِ والنشورِ، وأحمدُهُ على كلِّ حالٍ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له الكبيرُ المتعال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهُدى ودينِ الحقِ وبقمعِ الكفرِ والضلالِ. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه خيرَ صَحْبٍ وآلٍ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً . . . أما بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى وتذكَّروا الموتَ وقربَ نزوله . فاستعدُّوا له بالأعمالِ الصالحةِ والتوبةِ مِنَ الذنوبِ والسيئاتِ، فإنَّ نسيانَ الموتِ يُقسي القلبَ، ويرغبُ في الدنيا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : «أكثرُوا من ذكرِ هاذمِ اللذاتِ» يعني الموتِ. رواه ابنُ ماجه والترمذي وحسَّنه، وابنُ حبان في «صحيحه». وزاد : «فإنه ما ذكَّره أحدٌ في ضيقٍ إلا وسَّعه، ولا ذكَّره في سعةٍ إلا ضيَّقها عليه».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بمنكبي ، فقال : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أُمِيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رواه البخاري .

وعن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » . رواه البخاري وغيره . .

عباد الله : إِنْ تَذَكَّرَ الْمَوْتَ يُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُحَفِّزُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَعَلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادَةِ وَإِعْطَاءِ النَّاسِ حَقُّوْقَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ الْمَوْتُ نَهَايَةَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْأَمْوَاتِ أَحْكَامًا تَجِبُ مَعْرِفَتُهَا وَتَنْفِيزُهَا فِي أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، تُعَرَّفُ بِأَحْكَامِ الْجَنَائِزِ ، كَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهَا .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَائِزِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ ، مُخَالَفًا لِهَدْيِ سَائِرِ الْأُمَمِ ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْمَيِّتِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ ، وَعَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ ، وَعَلَى إِقَامَةِ عِبُودِيَةِ الْحَيِّ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِيمَا يِعَامَلُ بِهِ الْمَيِّتُ ، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ فِي الْجَنَائِزِ : إِقَامَةُ الْعِبُودِيَةِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمَيِّتِ وَتَجْهِيزُهُ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَفْضَلِهَا . وَوَقُوفُهُ ﷺ وَوَقُوفُ أَصْحَابِهِ صَفُوفًا يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمَيِّتِ وَيَسْأَلُونَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّجَاوُزَ عَنْهُ ، ثُمَّ الْمَشْيُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ يُودِعُوهُ فِي حُفْرَتِهِ ، ثُمَّ يَقُومُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ سَائِلِينَ لَهُ التَّثَبُّتَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَتَعَاهَدُهُ بِالزِّيَارَةِ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءَ لَهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الْحَيُّ صَاحِبَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا .

فأول ذلك تعاهدُهُ فِي مَرَضِهِ وَتَذَكِيرُهُ الْآخِرَةَ ، وَأَمْرُهُ بِالْوَصِيَّةِ وَالتَّوْبَةِ ، وَأَمْرُ مَنْ حَضَرَ بِتَلْقِينِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لِتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ . فَقَدْ أَجْمَلَ الْإِمَامُ ابْنُ

القيم رحمه الله في هذه الكلمة الطيبة أحكام الجنائز ونحن نفصلها حسب
الإمكان ..

فأول هذه الأحكام : أنه يُسْتَحَبُّ تلقينُ المحتضر : لا إلهَ إلا الله ، لقوله
ﷺ : «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» رواه مسلم . وذلك لتكونَ هذه الكلمة الطيبة آخرَ
كلامه ، ويُخْتَمَ له بها . فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره مرفوعاً :
«مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» . ولأنَّ الشيطانَ يعرضُ للإنسانِ في
حالة احتضاره ليُفْسِدَ عقيدته ، فإذا لُقِّنَ هذه الكلمة العظيمة ، ونَطَقَ بها فإنَّ ذلك
يطردُّ عنه الشيطان ، ويذكرُه بعقيدة التوحيد .

ومن هذه الأحكام أنه إذا مات يُسرَّعُ في تجهيزه : من تغسيله وتكفينه ،
والصلاة عليه ونقله إلى قبره ، لقول النبي ﷺ : «لا ينبغي لجيفة مسلم أن تُحْبَسَ
بينَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ» رواه أبو داود .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وكان من هديه ﷺ الإسراعُ بتجهيز الميت
إلى الله وتطهيره وتنظيفه وتكفينه في الثياب البيض . قال : وكان يأمرُ بغسلِ
الميت ثلاثاً أو خمساً أو أكثرَ بحسب ما يراه الغاسلُ ويأمرُ بالكافورِ في الغسلةِ
الأخيرة ، وكان يأمرُ مَنْ وَلِيَ الميتَ أن يُحْسِنَ كَفَنَهُ ، ويكفنه بالبياض ، وينهى عن
المغالاة في الكفن .

والرجلُ يتولَّى تغسيلَه الرجالُ ، والمرأةُ يتولَّى تغسيلَها النساءُ ، ويجوزُ للرجلِ
أن يغسلَ زوجته . وللمرأة أن تغسلَ زوجها . ومن تعذَّرَ غسلُه لعدمِ الماءِ أو لكونِ
جسمه محترقاً أو متقطعاً لا يتحملُ الماءَ ، فإنه يُيَمَّمُ بالترابِ ، وإن تعذَّرَ غَسْلُ
بعضه غُسِلَ ما أمكنَ غسلُه منه ، ويُمَّمُ عن الباقي .

والسَّقَطُ إذا كان له أربعة أشهرٍ غُسِلَ وصُلِّيَ عليه ، لقوله ﷺ : «والسَّقَطُ يُصَلَّى
عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما .
فإذا غُسِلَ الميتُ وكُفِّنَ ، فإنه يصَلَّى عليه ، والصلاةُ عليه جماعةً أفضلُ

لفعله ﷺ وفعل أصحابه . قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصْلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [التوبة : ٨٤] .

لَمَّا نَهَى اللهُ نبيه عن الصلاة على المنافقين كان دليلاً على أن المؤمن يُصَلَّى عليه قبل الدفن ، ويقام على قبره بعده . ودلت الآية أيضاً على أن الصلاة على المسلمين من أكبر القربات وأفضل الطاعات ، ورَتَّبَ الشارعُ عليها الجزاء الجزيل كما في الصحاح وغيرها ، ودلت الآية على أن الصلاة عليه كانت عادة النبي ﷺ في المسلمين وأمرًا متقررًا عند المسلمين ، وكُلَّمَا كَثُرَ المصلُّون كان أفضل ، لِمَا رَوَى مسلم في «صحيحه» : «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِثْلَهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ» . وله من حديث ابن عباس : «وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ عَلَى قَبْرِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ» .

وَمِنْ فَاتَتِهِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ قَبْلَ دَفْنِهِ صَلَّى عَلَى قَبْرِه ، لِمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى قَبْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ امْرَأَةً سُودَاءَ كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ ، فَقَفَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقَالُوا مَاتَتْ ، فَقَالَ : أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا ، فَقَالَ : «دُلُونِي عَلَى قَبْرِهَا» فَدَلُّوه ، فَصَلَّى عَلَيْهَا .

ثُمَّ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ يَبَادُرُ بِحَمْلِهِ إِلَى قَبْرِه ، وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ حُضُورُ الصَّلَاةِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَتَشْيِيعُ جَنَازَتِهِ إِلَى قَبْرِه ، بِسَكِينَةٍ وَأَدَبٍ وَعَدَمِ رَفْعِ صَوْتٍ لَا بِقِرَاءَةٍ وَلَا ذِكْرٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» ، قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ : «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُسَنُّ تَوْسِيعُ الْقَبْرِ وَتَعْمِيقُهُ ، وَيُوضَعُ الْمَيِّتُ فِيهِ مُوجَّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ، وَيُسَدُّ اللَّحْدُ عَلَيْهِ سَدًّا مُحْكَمًا ، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ . وَيُرْفَعُ الْقَبْرُ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ ، وَيَكُونُ مَسْنَمًا ، أَيْ : مُحَدَّبًا ، وَذَلِكَ لِئُرَى فَيُعْرَفَ أَنَّهُ قَبْرُ فُلَانٍ يُوْطَأُ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُجْعَلَ عَلَامَةً عَلَيْهِ ، بَأَن يَوْضَعُ عَلَيْهِ حَجَرٌ وَنَحْوُهُ لِيُعْرَفَ مَنْ يَرِيدُ زِيَارَتَهُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءِ لَهُ .

وَلَا تَجُوزُ الْكِتَابَةُ عَلَى الْقَبْرِ ، لَا كِتَابَةُ اسْمِ الْمَيِّتِ وَلَا غَيْرِهَا . وَلَا يَجُوزُ تَجْصِصُهُ وَلَا الْبِنَاءُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَجُوزُ إِضَاءَةُ الْمَقَابِرِ بِالْأَنْوَارِ الْكَهْرِبَائِيَّةِ وَلَا غَيْرِهَا ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْصَّصَ الْقَبْرُ ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَلَفْظُهُ : نَهَى أَنْ تُجْصَّصَ الْقُبُورُ ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا ، وَأَنْ تُوْطَأَ .

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ تَعْلِيَةُ الْقُبُورِ وَلَا بِنَاؤُهَا بِأَجَرٍّ وَلَا بِحَجَرٍ وَلَبِنٍ وَلَا تَشْيِيدُهَا ، وَلَا تَطْيِينُهَا ، وَلَا الْقِبَابِ عَلَيْهَا ، فَكُلُّ هَذَا بَدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ مُخَالِفَةٌ لِهَدْيِهِ ﷺ ، وَقَدْ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ أَنْ لَا يَدْعَ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّاهُ .

فَسَنَّتْهُ تَسْوِيَةُ هَذِهِ الْقُبُورِ الْمَشْرِفَةِ كُلِّهَا ، وَنَهَى أَنْ يُجْصَّصَ الْقَبْرُ ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ قُبُورُ أَصْحَابِهِ لَا مَشْرِفَةً وَلَا لَاطِئَةً . وَهَكَذَا كَانَ قَبْرُهُ الْكَرِيمِ وَقَبْرَا صَاحِبَيْهِ . فَقَبْرُهُ ﷺ مَسْنَمٌ مَبْطُوحٌ بِيْطَحَاءِ الْعَرْضَةِ الْحُمْرَاءِ لَا مَبْنِيٍّ وَلَا مُطَيَّنٍّ . وَهَكَذَا كَانَ قَبْرَا صَاحِبَيْهِ ، وَكَانَ يُعَلَّمُ قَبْرَ مَنْ يَرِيدُ تَعْرِفَ قَبْرَهُ بِصَخْرَةٍ .

وَنَهَى ﷺ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ وَإِيقَادِ السُّرُجِ عَلَيْهَا وَاشْتِدَّ نَهْيُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى لَعَنَ فَاعِلَهُ ، وَنَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ ، وَنَهَى أُمَّتَهُ أَنْ يَتَّخِذُوا قَبْرَهُ عِيدًا ، وَلَعَنَ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ ، وَكَانَ هَدْيُهُ أَنْ لَا تُهَانَ الْقُبُورُ وَتُوْطَأَ ، وَأَلَّا يُجْلَسَ عَلَيْهَا وَيَتَكَاَّ عَلَيْهَا ، وَلَا تُعْظَمَ بِحَيْثُ تُتَّخَذُ مَسَاجِدَ فَيُصَلَّى عِنْدَهَا وَإِلَيْهَا ، أَوْ تُتَّخَذُ أَعْيَادًا وَأَوْثَانًا .

وكان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنّها لأمته وشرّع لهم وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، وكان هديّه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار. فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤال الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه، بعكس هديّه ﷺ فإنه هديّ توحيد وإحسان إلى الميت، وهديّ هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام:

إما أن يدعو الميت، أو يدعو به أو عنده. ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد.

أيها المسلمون: ومن البدع المحدثّة القراءة عند الجنائز، أو عند القبور، قراءة الفاتحة أو قراءة شيء من القرآن. يزعمون أن ذلك ينفع الميت، وهذا بدعة، لأنّه لم يكن من سنة الرسول ﷺ، ومن عوائد الكفار ومن يقلّدهم من جهلة المسلمين إلقاء أكاليل الزهور على القبور، ومن عوائد الكفار ومن يقلّدهم من جهلة المسلمين اليوم إعلان الإحداذ على الأموات، ولبس السواد، وتنكيس الأعلام، وتعطيل الأعمال الرسمية من أجل ذلك، والوقوف والصمت بضع دقائق لروح الميت، وما أشبه ذلك من عوائد الجاهلية الباطلة، فيجب على المسلمين الحذر من تقليدهم والتشبه بهم.

أيها المسلمون: إن الذي ينفع الميت بعد موته هو ما شرّعه الرسول ﷺ من المبادرة بقضاء ديونه، فإن المسلم مرتهنٌ بدينه حتى يقضى عنه وتنفيذ وصاياه الشرعية، والدعاء له والتصدق عنه والحج والعمرة عنه، قال ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم يتنفع به، وولد صالح يدعو له». ومما يجب أن يُعلّم أنه يحرم على النساء اتباع الجنائز وزيارة القبور،

لحديث أم عطية رضي الله عنها قالت: نهينا عن اتباع الجنائز. والنهي يقتضي التحريم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور. رواه الخمسة وصححه الترمذي .

فالمرأة لا تزور القبور لا قبر النبي ﷺ ولا قبر غيره، وإنما زيارة القبور خاصة بالرجال .

فاتقوا الله - عباد الله - ولا تنسوا الموت فتغفلوا عن العمل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنِّي آتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أُولَدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون : ٩]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحكام الجنائز

الحمد لله رب العالمين ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٧]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خَلَقَ الخلقَ ورزقهم ولم يتركهم هملاً ، بل أنزل عليهم الكتب ، وأرسل إليهم رسلاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته ولم يرتضوا بها بدلاً . وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الله شرع الصبر عند المصائب ، ووعد الصابرين بجزيل الثواب ، ونهى عن التسخط والجزع ، وتوعد على ذلك باليم العقاب ، فنهى سبحانه عن عادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث والنشور : من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، وحلق الرؤوس ، ورفع الصوت بالندب والنياحة ، وتوابع ذلك .

أما البكاء الذي لا صوت معه وحزن القلب فلا بأس بهما ، وقد قال النبي ﷺ : «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب» رواه البخاري .
وتستحب تغزية المصاب بالميت ، وحثه على الصبر والاحتساب ، ولفظ التغزية أن يقول أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك ، ولا ينبغي الجلوس للعزاء والإعلان عن مكان الجلوس للعزاء .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وكان من هديه ﷺ تغزية أهل الميت ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره ، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة ، وكان من هديه السكون والرضا بقضاء الله ، والحمد لله والاسترجاع . ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه ، أو رفع صوته بالندب والنياحة ، أو حلق لها شعره .

وكان من هديه أن أهل الميت لا يكلّفون الطعام للناس، بل أمر أن يصنع الناس لهم طعاماً يرسلونه إليهم، وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم والحمل عن أهل الميت، فإنهم في شغل بمصائبهم عن إطعام الناس.

وكان من هديه ﷺ ترك نعي الميت، بل كان ينهى عنه، ويقول هو عمل الجاهلية. وقد كره حذيفة أن يعلم به أهله الناس إذا مات، وقال: أخاف أن يكون من النعي، فهذا الذي حذر منه ابن القيم يفعلُه كثير من الناس اليوم يجتمعون للعزاء، ويعلنون عن مكانه في الصحف. وبعضهم يهيئون مكاناً لاجتماع الناس، ويصنعون الطعام، ويستأجرون المقرئين. وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله قال: كنّا نعدّ الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة. ورجال إسناده ثقات.

فلا ينبغي جلوس المصاب في مكان لأجل العزاء، بل يخرج لعمله كعادته قبل المصيبة، ومن لقيه في طريقه فإنه يعزّيه التعزية المشروعة، أو في أي مكان.

ويذكر أنه في بعض الجهات يأتي الناس من بعيد وقريب لأجل التعزية، ويأتون معهم بأغنام وأكياس من الطعام تجتمع عند المصاب فيذبّح من الأغنام، ويطبخ منها ومن الطعام ويقدم للناس مدة معينة من الأيام. وهذا العمل بدعة ومنكر لا يجوز فعله، وصرف للأموال والأوقات بغير فائدة، والواجب العمل بسنة الرسول ﷺ في هذا وفي غيره، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها. الخ.

خطبة الاستسقاء

الحمد لله الغني الحميد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته وهو الولي الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه رحمة للعالمين، وحجة على

الخلائق أجمعين، فَبَلَغَ الرسالة، وأَدَّى الأمانة، وَنَصَحَ الأمة، وَجَاهَدَ في الله حق جهاده، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحابه وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تسليمًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾
[فاطر : ١٥ - ١٧]

وهو مع غناه عنكم يأمركم بدعائه ليستجيبَ لكم، وسؤاله ليعطيكم، واستغفاره ليغفرَ لكم وأنتم مع فقركم وحاجتكم إليه تُعرضون عنه وتَعْصُونَهُ، وأنتم تعلمون أَنَّ معصيته تُسَبِّبُ غَضَبَهُ عليكم وعقوبته لكم، ففي «سنن ابن ماجه» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسُ خصالٍ أَعُوذُ بالله أن تدركوهن، ما ظَهَرَتِ الفاحشةُ في قومٍ حتى أعلنوا بها إلا ابْتُلُوا بالطَّوَاعِينَ والأَوْجَاعِ التي لم تَكُنْ في أسلافهم الذين مضوا. ولا نَقَصَ قومٌ المكيالَ إلا ابْتُلُوا بالسَّنينِ وشدةِ المؤونة وجورِ السلطان. وما مَنَعَ قومٌ زكاةَ أموالهم إلا مُنِعُوا المطرَ من السماء، ولولا البهائمُ لَمْ يُمْطَرُوا. ولا خَفَرَ قومٌ العهدَ إلا سَلَطَ الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم. وما لم تعملْ أئمتهم بما أنزلَ الله في كتابه إلا جَعَلَ الله بأسهم بينهم».

فذكر ﷺ في هذا الحديث خمسة أنواع من المعاصي، كلُّ نوعٍ منها يُسبب عقوبة من العقوبات، ومن ذلك: منعُ الزكاة، ونقصُ المكيالِ يُسببُ منعَ المطر، وحصولُ القحط، وشدةِ المؤونة، وجورِ السلطان. وأنتم في هذه الأيام تَرَوْنَ تأخَّرَ المطر عن وقته، وإجدابَ المراعي، مما يترتَّبُ عليه تضرُّرُ العباد والبلاد والبهائم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الحُبَارَى لَتَمُوتُ في وكرها من ظلم الظالم. وقال مجاهدٌ: إِنَّ البهائمَ تَلْعَنُ عصاةَ بني آدم إذا اشتَدَّتِ السَّنةُ، وأمسَكَ المطرُ، تقولُ هذا بشؤمِ معصيةِ ابنِ آدم.

أما منع الزكاة فقد ابتلي كثير من الناس اليوم بتضخم الأموال في أيديهم، وصاروا يتساهلون في إخراج الزكاة إما بخلاً بها إذا نظروا إلى كثرتها، وإما تكاسلاً عن إحصائها وصرفها في مصارفها.

وأما نقص المكايل فالبعض من الناس حملهم الطمع والجشع على الغش في المعاملات ونقص المكايل والموازين وبخس الناس أشياءهم، فيأتي على الأكياس والصناديق ويفرغ منها ويبيعها على الناس على أنها تامة، وهي منقوصة مبخوسة، وبائعو الخضار والفواكة والتمور يغشون الناس في الصناديق فيضعون الرديء في الأسفل، والجيد في الأعلى، ويقولون كله من النوع الجيد، وقد أنكر النبي ﷺ على من فعل مثل هذا وزجره حينما مر على بائع طعام، فأدخل يده ﷺ فيه، فأدرك في أسفله بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء، يا رسول الله، يعني: المطر، فقال ﷺ: «أفلا جعلته ظاهراً حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا».

فقد اعتبر ﷺ إخفاء المعيب وإظهار السليم غشاً للمسلمين وتبرأ من فاعله. وبعض الباعة يغررون بالمشتريين الذين لا يعرفون أقيام السلع، ويشقون بهم، فيرفعون عليهم القيمة، ويغبنونهم غبناً فاحشاً، وكل هذه الجرائم وغيرها مما يجري في أسواق المسلمين تسبب العقوبات الخاصة والعامة، ومن ذلك ما شاهدون من تأخر المطر الذي به حياتكم وحياة بهائمكم وحياة زروعكم وأشجاركم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٥٠]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾

أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب يُمِرُّ على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى، فيُمطرها ويكفيها ويجعلها غدقاً، والتي

وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء . وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة .
قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ليس عامٌ بأكثر مطراً من عام ولكن الله
يُصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَائِي أَكْثَرِ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٠]

أي : ليدذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادرٌ على إحياء الأموات والعظام
الرُّفَات ، أو ليدذكروا مَنْ مُنِعَ المطرَ إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيُقْلَعُ عمّا هو فيه ،
فالمطرُ نعمةٌ من الله على عباده قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ؕ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ
السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ؕ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ - ٧٠]

فهو الذي أنزل هذا المطر بمنه وفضله ، ولو شاء لحبسه فتضرّر العبادُ وهو
الذي جعله عذباً فُرَاتاً سائغاً شرباً ، ولو شاء جعله ملحاً أُجَاجاً لا يصلحُ للشرب .
عباد الله : إنَّ الله أرشدنا عند احتباس المطر إلى أن نستغفره من ذنوبنا التي
بسببها حبسَ عنا المطر . قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام :
﴿ وَيَقُولُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتْلُوا تَجْرِيمًا ﴾ [هود : ٥٢]

فالإكثار من الاستغفار والتوبة سببٌ لنزول المطر ، وقال تعالى :
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢]

أي : إذا تبتُّم إلى الله واستغفرتُموه وأطعتموه كَثُرَ الرزقُ عليكم وأسقاكم من
بركاتِ السماء ، وأنبَتَ لكم من بركات الأرض ، وأنبَتَ لكم الزرع وأدرَّ لكم
الضَّرْعَ ، وأمدَّكم بأموالٍ وبَنِينَ وَجَعَلَ لكم جناتٍ فيها أنواعُ الثمار وتخلَّلُها الأنهار
الجارية .

وقد شرع النبي ﷺ لأُمِّتِهِ الاستسقاء عند احتباس المطر ، وذلك بالصلاة

والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه استسقى على وجوه : منها أنه استسقى يوم الجمعة على المنبر في أثناء خطبته ، ومنها أنه وعد الناس يوماً يخرجون فيه إلى المصلى ، فصلّى بالناس ركعتين وخطب ودعا ، مما يدل على أنه مطلوب من المسلمين جميعاً عند امتناع المطر أن يحاسبوا أنفسهم ويتوبوا إلى ربهم ، لأن ذلك بسبب ذنوبهم ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفِعَ بلاء إلا بتوبة ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠] وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ وَأَلْغَيْنَاهُمْ لَعُنَاهُمْ فَنَضْرَعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢ - ٤٣]

فاتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إلى ربكم ، وخذوا على أيدي سفهائكم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠]

اللهم أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اجعل ما أنزلته علينا قوة لنا على طاعتك ومتاعاً إلى حين ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً غداً ، سحاً طبقاً ، عاماً نافعاً غير ضار ، خفيفاً مريئاً عاجلاً غير آجل ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ، اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك ، وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء والشدة والجهد والضيق والظنك مالا نشكوه إلا إليك يا سميع الدعاء . اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء . واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك ، فإنهما بيدك ولا يملكهما أحد سواك ، يا حي يا قيوم .

(ثم يقلب رداءه ويدعو سراً مستقبلاً القبلة فيقول : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا الإجابة وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا)

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ثم ينصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى لعيد الفطر المبارك

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .
الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر كبراً . . والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

الحمد لله الذي سهّل لعباده طريقَ العبادة ويسّر ، وجعلَ لهم عيداً يعود
عليهم بعد إكمالِ صيامهم ويتكرر ، وواصلَ لهم مواسمَ الخيرات ليوفّيهم أجورهم
ويزيدهم من فضله الذي لا يُحصَرُ ، فما انقضى شهرُ الصيام إلا وأعقبه بأشهرِ
الحج إلى بيته المُطَهَّرِ .

أحمده وهو أحقُّ أن يُحمَدَ ويُشكَّرَ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، شهادة يأمن من قالها وعمل بمقتضاها يومَ الفزع الأكبر ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والكوثر ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يومِ البعث والمحشر . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واشكروه على ما منَّ به عليكم من إكمالِ شهرِ
الصيام ، واسألوه أن يتقبَّلَ منكم ما قدَّمتموه فيه من الصيام والقيام ، وأن يغفرَ لكم
ما حصلَ منكم فيه من تقصيرٍ أو إجرام ، واعلموا أن هذا اليوم يومُ عيد يفرحُ فيه
المؤمنون بما منَّ الله به عليهم من إكمالِ شهرِ صيامهم وقيامهم . وتمكينهم من
اغتنامِ فضائله وشغلِ أوقاته بالطاعات والقربات ، فإنَّ الفرحَ بذلك هو الفرحُ
المشروع .

وأما الفرحُ بنيلِ الشهوات الفانية والحصولِ على المطامع العاجلة فهو فرح
مذمومٌ غير مشروع . . قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨]

فهذا اليوم يوم شكر وذكر، وأكلٍ وشربٍ وفِطْرٍ، يحُرَّمُ صَوْمُهُ لما في صومه من الإعراض عن ضيافة الله عز وجل، ومخالفة أمره حيثُ شَرَعَ الإفطار فيه، فإنه لما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة كان لَهُمْ يومان يلعبون فيهما، فقال إِنَّ الله قد أَبْدَلَكم يومين خَيْراً منهما: يومَ الفطر ويومَ الأضحى.

فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد كُلُّ عيد منها يأتي بعد استكمال عبادة من العبادات العظيمة في الإسلام.

فعيدٌ يتكرر كلُّ أسبوعٍ، وهو يوم الجمعة: فهو عيد الأسبوع، جعله الله سبحانه يأتي بعد استكمال الصلوات المكتوبات في الأسبوع، فإنَّ الله عز وجل فَرَضَ على المسلمين في كل يوم وليلة خمس صلوات، فإذا استكمل المسلمون صلوات الأسبوع، جاء يوم الجمعة الذي جعله الله عيداً للأسبوع، وشرع فيه صلاة عظيمة يجتمع لها المسلمون، ويسبقها خطبتان تشتملان على حمد الله والثناء عليه والشهادة له بالوحدانية ولنبه ﷺ بالرسالة، ويشتملان على الوعظ والتذكير. كما أنَّ يوم الجمعة هو اليوم الذي أكمل فيه الخلق وفيه خُلِقَ آدم، وأدخل الجنة، وأخرج منها، وفيه تقوم الساعة وتنتهي الدنيا.

فهو يومٌ يجتمع فيه خصائص، ويشتمل على فضائل، وقد خصَّ الله به هذه الأمة وأصلَّ عنه الأمم قبلها، وهو عيد لإكمال الصلوات المكتوبة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، بل هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

وعيدُ الفطر المبارك يأتي بعد استكمال صوم شهر رمضان الذي جعله الله الركن الرابع من أركان الإسلام بعدما استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم، واستوجبوا من الله المغفرة والعِتق من النار، فإنَّ صيامه يُكَفِّرُ الله به ما مَضَى من الذنوب، وآخره عِتق من النار. ولَمَّا استكملوه شَرَعَ الله تعالى عَقِبَهُ عيداً

يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له، وهو يوم الجوائز، يستوفي فيه الصائمون أجر صيامهم ويرجعون إلى بيوتهم بالمغفرة والرضوان.

عباد الله : ومن أعظم ما شرع الله في هذا اليوم صلاة العيد، والدليل على مشروعيتها: الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥]

قال بعض العلماء (تزكَّى): أي: أخرج صدقة الفطر، و (صَلَّى): أدى صلاة العيد. وأمر النبي ﷺ بالخروج إليها، حتى النساء يخرجن إليها من بيوتهن يشهدن الخير ودعوة المسلمين.

قالت أم عطية رضي الله عنها : كُنَّا نُوَمِّرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ الْعِيدِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْبُكْرُ مِنْ خِدْرِهَا، وَحَتَّى تَخْرُجَ الْحَيْضُ فَيَكُنَّ خَلْفَ النِّسَاءِ فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدَعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطَهْرَتِهِ.

فالخروج لأداء صلاة العيد على هذا النمط المشهود من الجميع فيه إظهار لشعار الإسلام. فصلاة العيد من أعلام الدين الظاهرة، لو تركها أهل بلدٍ مع استكمال شروط إقامة فيها وجب على إمام المسلمين قتالهم.

وينبغي أن تؤدي صلاة العيد في صحراء قريبة من البلد، كما كان النبي ﷺ يُصَلِّيها خارج البلد، ولم يُنْقَلْ عنه أنه صَلَّىها في المسجد لغير عذر... لأن في أدائها خارج البلد إظهاراً لهيبة المسلمين، وإعلاناً لشعار الإسلام، ولحصول الأجر للمصلين، ولتمكين العدد الكبير من حضورها إلى غير ذلك من المصالح والحكم. فهي مظهر عظيم من مظاهر الإسلام، لا ينبغي للمسلم أن يتكاسل عن حضورها، وينعزل عن جماعة المسلمين.

والعيد الثالث : من أعياد الإسلام التي شرعها الله عيد الأضحى، وهو أكبر الأعياد الإسلامية وأفضلها.

شَرَعَهُ اللهُ بعدَ إكمالِ الحجِّ الذي هو الركنُ الخامس من أركانِ الإسلامِ ومبانيه العظام، وهكذا نجدُ الأعيادَ الإسلامية تأتي بعدَ استكمالِ العبادات، ويشرَعُ فيها أنواعٌ من الطاعات، شُكراً لله سُبْحانَه على توفيقه. وليس في الإسلامِ أعيادٌ غيرُ هذه الأعياد الثلاثة، لا أعيادُ الموالد، ولا الأعيادُ الوطنية، ولا أعيادُ الذكريات والأحداث والانتصارات، لأنَّ في ذلك ابتداعاً في الدين أو تشبُّهاً بالكفار والمشركين. فكم حَصَلَ للمسلمين من الانتصاراتِ العظيمة ولم يحدثوا لذلك أعياداً لم يشرعها الله ولا رسوله.

واعلموا - عبادَ الله - أنَّ الأعيادَ الشرعية لم تُجْعَلْ للهو واللَّعب، وإنَّما جُعِلَتْ لإقامة ذكرِ الله وطاعته والإكثار من الاستغفار، فعيدنا - أهلُ الإسلام - ليس كعيدِ الكُفار، جُعِلَ للفخر والاستكبار، وإنَّما جُعِلَ لإقامة ذكرِ الله والخضوع له وشكره على استكمالِ الصيام والقيام والتقرب إليه ببذلِ الصدقات وإقامِ الصلاة.

واعلموا أنه ليس السعيدُ مَنْ أدرك العيد، وجملَ ظاهره باللباس الجديد، وملاً بطنه بأنواع الطعام، وأطلقَ لسانه بالمزاح والضحك وكثرة الكلام. وإنَّما السعيدُ مَنْ تقبَّلَ الله صيامه وقيامه، وغَفَرَ له ذنوبه وإجرامه. وترَكَّى وصلى صلاة العيد في ختامِ صيامه، ورَجَعَ من مصلاه بجائزة الربِّ وإكرامه.

عبادَ الله: تذكروا مَنْ صَلَّى معكم في مثل هذا اليوم من الأعوام الماضية من آبائكم وأقربائكم وإخوانكم المسلمين ممَّن رَحَلُوا عن هذه الدنيا ولم يستصحبوا منها سوى ما قَدَّموا من أعمالٍ. وترَكُّوا الدَّورَ والقصور والأموال، لم تمنعهم من الموت أموالٌ ولا جنود ولا حصون، ولا ينفعهم عندَ الله مالٌ ولا بنون، إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم.

فلا تَغُرَّنكم الحياةُ الدنيا، ولا ما تَرَوْنَ في هذا اليوم من مظاهر الزينة، فإنَّ الزينةَ الحقيقية زينة التقوى. قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لُبَاسًا يُوَزِّي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسَ النَّفَقَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

نَظَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ إِلَى زِينَةِ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا خِرْقًا تَبْلَى، وَلَحْمًا يَأْكُلُهُ الدَّوْدُ غَدًا.

وَرَأَى آخَرُ قَوْمًا يَضْحَكُونَ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفَطْرِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ تُقْبَلُ مِنْهُمْ صِيَامُهُمْ فَمَا هَذَا فَعَلَ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُمْ صِيَامُهُمْ فَمَا هَذَا فَعَلَ الْخَائِفِينَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاسْتَحْضِرُوا عَظَمَةَ هَذَا الْعِيدِ، وَتَأَمَّلُوا لِأَيِّ شَيْءٍ جُعِلَ، وَمَاذَا شُرِعَ فِيهِ؟ وَتَذَكَّرُوا بِمُرُورِهِ وَتَكَرُّرِهِ عَلَيْكُمْ انْقِضَاءَ أَعْمَارِكُمْ، وَانْتِهَاءَ أَثَارِكُمْ، وَخَتَمَ أَعْمَالِكُمْ، وَحُضُورَ آجَالِكُمْ. فَتَزَوَّدُوا بِالتَّقْوَى لِلسَّفَرِ الْبَعِيدِ.

الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَ ذِكْلُ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ١٩ - ٢٢]

وَتَذَكَّرُوا بِاجْتِمَاعِكُمْ هَذَا الْاجْتِمَاعَ الْأَكْبَرَ، عَلَى أَرْضِ الْمُحْشَرِ:
﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدٍّ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾ [هود : ١٠٣ - ١٠٨]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية لعيد الفطر المبارك

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. - لا اله إلا الله. والله أكبر الله أكبر. والله الحمد. الحمد لله رب العالمين، خَلَقَ الإنسان من سُلالةٍ من طين، ثم جَعَلَهُ نطفةً في قرار مكين، ثم نقله في الخلقِ حتى تكامل جسمه وحواسه وسمعه وبصره، فبَارَكَ الله أحسنُ الخالقين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين: صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى واشكروه على نعمة الإسلام حيث هداكم إليه، وجعلكم به خير أمةٍ أخرجت للناس، فقوموا بواجباته، وتجنبوا ما يُخالفه ويناقضه أو ينقصه، وتمسكوا به تكونوا من المفلحين، ولا تبتغوا ديناً غيره فتكونوا من الهالكين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥]

وانظروا إلى الأمم من حولكم وما تعيش فيه من جاهلية جهلاء، وضلالات عمياء، وديانات باطلة، ومذاهب منحرفة، وحزبيات متطاحنة، وطوائف متناحرة وصدق الله سبحانه إذ يقول : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٣٧]
وهذه سنة الله في خلقه أن من ترك الحق ابتلي بالباطل :
﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس : ٣٢]

ولا يعرف هذا إلا من عاش في نعمة الإسلام. فالضدُّ يُظهرُ حسنة الضدِّ، وبضدها تميز الأشياء، إنه لا يعرف قدر الصحة إلا من عَرَفَ حالة المرضي، ولا يعرف فضل النور إلا من وقع في الظلمة.

ثم اعلّموا - يا عباد الله - أن الإسلام ليس بالتسمي والانتساب من غير التزام لأحكامه، وقيام بواجباته، وابتعاد عن مناقضاته ومنقصاته .
إنّ للإسلام أركاناً وشرائعاً وسُنناً، فهو يشمل عبادة الخالق، والإحسان إلى المخلوق .

فالمسلم من أدّى الواجبات واجتنب المحرمات ، فشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وأَقَامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ ، وصامَ رمضانَ وحجَّ بيتَ الله الحرامَ ، وأمرَ بالمعروفِ ونهى عن المنكرِ .

المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، فاحذروا قتلَ النفس التي حَرَّمَ اللهُ قتلها إِلَّا بِالْحَقِّ ، واحذروا أذيةَ المسلمين بأي نوع من أنواع الأذى ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٨]

أيها المسلمون : غَضُوا من أبصاركم ، فإن النظرَ سَهْمٌ مسموم من سهام إبليس ، يزرعُ الشهوةَ في القلب ، ويَجُرُّ إلى الوقوع في الفواحش ، واحذروا الإِسْبَالَ في الثياب والبشوت والأزر والسراويل ، فإن ما كان منها أسفلَ الكعبين نازلاً فهو في النار ، وعليكم بالتواضع ، فإن الله لا يُحِبُّ المستكبرين ، وألزموا نساءكم بالستر والحجاب والابتعاد عن مخالطة الرجال والخلوة مع السائق وال خادم ، فإنه « ما خلا رجلٌ بامرأةٍ لا تحلُّ له إلا كان ثالثهما الشيطان » .

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْـَٔلَ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء : ١٨١ - ١٨٣]

واحذروا الغشَّ في بيعكم وشرائكم ومقاولاتكم وسائر أعمالكم ، فإنَّ الغشَّ ظلمٌ ، والظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة ، وَمَنْ غَشَّ المسلمين فليس منهم ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ وإياكم والفجور في الخصومات والتساهل بالإيمان والشهادات . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا

أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [آل عمران : ٧٧]

واحذروا أخذ الرِّشوة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، فإنها من كبائر الذنوب، وهي أخبث المكاسب الموجبة لغضب الله ولعنته وناره، وهي سُحْتٌ وَمَحْقٌ، تدمر المجتمعات، وتقضي على الفضائل والحسنات.

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا محمد، وأرض اللهم عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين.

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٠ - ٩١]

الخطبة الأولى لعيد النحر

الله أكبر كلما وَقَفُوا بعرفة خاضعين مهلّلين وداعين . . الله أكبر كلما وقفوا
بالمشعر الحرام ذاكرين . . الله أكبر كُلَّمَا رَمَوْا الجمراتِ محلّقين رؤوسهم
ومقصرين . .

الحمدُ لله الذي شَرَعَ لعباده عيداً يذكرونه فيه، ويشكرونه على فضله وإحسانه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له يستوي عنده ما في سر العبد وإعلانه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله لتبليغ الحق وتبينه، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا. وسلّم تسليماً كثيراً... أما بعد :

- ۲۱۶ -

فلذلك صارَ اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من الحُجَّاج وغيرهم، لاشتراكهم في العتق والمغفرة في يوم عرفة، فكما اشتركوا في المغفرة والعتق من النار يشتركون في هذا العيد الذي يتقربون فيه بذبح القرابين من الهدي والأضاحي.

فالحُجَّاجُ يرمون فيه الجمرة ويشرعون في التحلل من إحرامهم ويقضون تفتُّهم، ويوفون نذورهم، ويطوفون بالبيت العتيق. وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره، ويؤدون صلاة العيد في جمعٍ حاشد، وفي صعيدٍ واحد، ثم يذبحون بعد ذلك ضحاياهم. وقد أمر الله نبيه أن يجعل شكره على إعطائه الكوثر أن يصليَ لربه وينحر.

فمن خصائص هذه الأيام المباركة ذبح الهدي للحُجَّاج، وذبح الأضاحي للمسلمين من حُجَّاج وغيرهم.

والأضاحي سنة إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، فإن الله سبحانه شرعها لإبراهيم حين فدّى ابنه الذي أمره الله بذبحه امتحاناً له، فبادرَ بامتثال أمر ربه ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] وعند ذلك لما ظهر صدقه ففداه الله بذبحٍ عظيم..

وروى ابن ماجه وغيره من حديث زيد بن أرقم: قيل: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة إبراهيم»، قيل له: فما لنا بها؟ قال: «بكل شعرة حسنة». قيل: فالصوف؟ قال: «لكل شعرة من الصوف حسنة»، وضحى النبي ﷺ بكبشين أقرنين أملحين، أحدهما عن محمد وآل محمد، والآخر عن أمة محمد.

فبادروا رحمكم الله بإحياء سنة المصطفين الأخيار، فإن بعض العلماء يرى أنَّ الأضحية واجبة على ذوي اليسار، والجمهور يرون أنها سنة، وهو القول المختار، وهي أفضل عمل يعملُه المسلم في هذا اليوم. وذبحها أفضل من الصدقة بثمنها، لأنَّ في ذبحها إحياءً للسنَّة.

وأفضل الأضاحي أكرمُها وأسمُنُها وأغلاها ثمنًا، وتجزىءُ الشاةُ عن الرجلِ وأهلِ بيته، والبدنةُ والبقرةُ عن سبعةٍ.

والمجزىءُ من الضأنِ ما تَمَّ له ستةُ أشهرٍ فأكثر، ومن المعزِ ما تَمَّ له سنةٌ، ومن البقرِ ما تَمَّ له سنتان، ومن الإبلِ ما تَمَّ له خمسُ سنين، واجتنبوا ذواتِ العيوب، فإنها لا تجزىءُ في الأضاحي..

فلا تجزىءُ العوراءُ البينُ عورها، ولا العرجاءُ البينُ عرجُها، وهي التي لا تطيقُ المشيَ مع الصحاح، ولا المريضةُ البينُ مَرَضُها، ولا الهزيلةُ التي لا مَخَّ فيها، ولا العوراءُ التي استبانَ عورها، ولا العضباءُ التي قُطِعَ أكثرُ قرنِها أو أذُنِها، ولا الهتماءُ التي ذهبَت ثنايها واقتلعت من أصولها.

وتجزىءُ الجماءُ والصمعاءُ وهي صغيرةُ الأذن، أو التي لم يخلق لها أذن، وتجزىءُ البتراءُ، وهي التي قُطِعَ ذنبُها أو لم يخلق لها ذنبٌ.. ويجزىءُ الخَصِيُّ وهو ما قُطعت خصيتاه، والسنةُ نحرُ الإبلِ قائمةٌ معقولةٌ يذُها اليسرى، يطعنُها في وهدتها، وهي ما بينَ أصلِ العنق والصدر. ويذبحُ الغنمَ والبقرَ مضجعةً على الأرض على جنبِها الأسر، ويقولُ عند الذبح: بسم الله، الله أكبر، اللهم إن هذا منك ولك، ويتلفظُ بالنية، فيقول: عن فلان، ويرفُقُ بالحيوانِ بأن يُحسنَ الذبحَ، ويُجدُّ الشفرةَ، وهي السكين التي يُذبحُ بها، في مكان لا تراه البهيمةُ الأخرى. ولا يذبحُ بالةِ كالةٍ، ويجبُ قطعُ المريءِ، وهو مجرى الطعامِ والشراب. والحلقومُ، وهو مجرى التنفس. وأحدِ الوجدين أو كليهما، وهما - أي: الودجان - عرقانِ في جانبي العنق يجري معهما الدم..

والسنةُ أن يقسمَ لحمَ الأضحيةِ أثلاثًا، فيأكلُ ثلثًا، ويهدي إلى أصدقائه ثلثًا، ويتصدقُ بثلثٍ على الفقراء، ووقتُ الذبحِ من انقضاءِ صلاةِ العيدِ إلى آخرِ اليومِ الثالثِ بعدَ يومِ العيدِ، أي: يومِ العيدِ وثلاثةُ أيامٍ بعده، فينتهي وقتُ الذبحِ بغروبِ الشمسِ من اليومِ الثالثِ عشرَ من ذي الحجة. والأفضلُ أن يذبحَها يومَ

العيد، وأن يتولَّى ذبح أضحيته بنفسه، ويجوزُ له أن يؤكِّل مَنْ يذبحها عنه بحضوره أو في غيبته، ومَنْ أراد أن يُضحِّي فإنه لا يجوزُ له أن يأخذ شيئاً من شعره ولا من أظفاره إلى أن يذبح أضحيته أو يذبحها وكيله..

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، أيها الناس إنكم اليوم في يومٍ من أعظم الأيام، في يوم عيدٍ من أعياد الإسلام، وأعياد الإسلام كلها تأتي بعد أداء ركنٍ من أركانها العظام..

وعيدُ اليوم بعد أداء ركن الحج إلى بيت الله العتيق، تنزل المغفرة والعتق من النار في يوم عرفة على المسلمين، وليس العيد لمن لبس الجديد، وتجمّل في ظاهره مع خراب باطنه.

ولكن العيد لمن أطاع الله ظاهراً وباطناً، وخاف يوم الوعيد، وليس الفرح بالعيد من أجل حصول المأكّل والمشارب الملابس الفاخرة والمراكب الفخمة، ولكن الفرح بالعيد من أجل نيل المغفرة، والعتق من النار، وأداء الطاعات، فمن نال من ذلك شيئاً فهذا اليوم له عيد سعيد. وإلا فهو مطرود بعيد..

قال الحسن - رحمه الله : كلُّ يوم لا نعصي الله فيه فهو عيدٌ، كلُّ يوم يقطعه المؤمن في طاعة الله وذكره وشكره فهو له عيد.

وإذا كانت الأمم والشعوب غير المسلمة تتخذ لها أعياداً تخترعها وتبتدعها لمناسبات تافهة أو مناسبات باطلة كُفريّة شريكية، فإن أعياد المسلمين إنما جعلها الله لمناسبات عظيمة، وبعد انقضاء مواسم جليّة، فهي تأتي بعد أداء أركان الإسلام ونزول المغفرة والإنعام..

فاحمدوا الله واشكروه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ فَالْهَيْكَلُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْسِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ

فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَكِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ خُومَهَا وَلَا دِمَاقُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُورُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ [الحج : ٣٧ - ٣٤]

الله أكبر، الله أكبر. والله الحمد.

الخطبة الثانية ليوم النحر

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

الحمد لله معيد الجمع والأعياد، لِيُفِيضَ فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَذْخَرَهَا لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَقُدُوةً لِّلْعَامِلِينَ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ. صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَوةً وَسَلَاماً دَائِمِينَ إِلَى قِيَامِ الْأَشْهَادِ... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واشكروه على نعمة الإسلام الذي أكمله لكم وأتمم عليكم به النعمة ورَضِيَهُ لَكُمْ دِيناً.

في «الصحيحين» : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةُ فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعَشَرَ الْيَهُودِ لَا تَخْذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ : أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي لِأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ. نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بَعْرَةً يَوْمَ جُمُعَةٍ.

عباد الله : إِذَا تَأَمَّلْنَا مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ وَالْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ

أدركنا عظمة مضمونها وعظمة اليوم الذي نزلت فيه، وعظمة الأيام التي تليه، إنها تتضمن امتنان الله على عباده المؤمنين بإكمال دينهم لهم، فلم يبق فيه نقص في شريعته وأحكامه، ولم يتطرق إليه خلل في نظامه، ولم يدخل التحريف والتبديل والزيادة والنقص في مصادره التي يرجع إليها لمعرفة تفاصيل أحكامه. وهي: الكتاب والسنة، فقد تكفل الله بحفظهما فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله وسنتي»..

فهو دين متكامل، ونظام شامل لمصالح العباد، وصالح لكل زمان ومكان ما بقيت الدنيا ومن عليها، وهو مع ذلك محفوظ من العبث والتغيير والتبديل. كامل في أصوله وفروعه وفي مبانيه ومعانيه، في عباداته ومعاملاته، شامل لنظام الأمة والأفراد، كفيل بجلب المصالح، ودفع المفساد، وحماية الحقوق، وردع المفسدين، وفصل الخصومات، وقطع المنازعات، وتوفير أساليب السياسة الداخلية والخارجية، لا يعتريه نقص ولا يتطرق إليه خلل.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، لَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

يسع العالم كلهم العيش تحت ظله، ويشملهم بعدله، شهد الله له بالكمال، وبأنه أعظم نعمة أنعمها على المسلمين، وأنه لا يرضى بدين سواه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فمن زعم أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان أو شك في صلاحيته، أو قال: إنه مختص بعلاقة العبد بربه، وأما شؤون الناس فيما بينهم وشؤون السياسة والاقتصاد والحكم فإن الإسلام لا يتناولها، وإنما هي متروكة للبشر يضعون لها القوانين التي يرونها، من قال هذا أو اعتقده فهو كافر مرتد عن دين الإسلام مكذب لله تعالى في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]

يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدًا . .

عباد الله : وإذا تأملنا اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية وهو يوم عرفة ، وفي يوم الجمعة أذكرنا شرف الزمان الذي نزلت فيه فهو خير يوم طلعت فيه الشمس ، وأدركنا عظمة هذا اليوم الذي نحن فيه وهو يوم النحر الذي يلي عرفة ، وهو يوم الحج الأكبر ، وقد خطب فيه النبي ﷺ فقال : «أتدرون أي يوم هذا؟» قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمه ، قال : «أليس يوم النحر؟» قلنا : بلى ، قال : «أي شهر هذا؟» قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمه ، فقال : «أليس ذا الحجة؟» قلنا : بلى ، قال : «أي بلد هذا؟» قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمه ، قال : أليست البلدة ، قلنا : بلى ، قال : «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت؟» قالوا : نعم ، قال : «اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه أحمد والبخاري . فبين أن حرمة الدماء والأموال كحرمة الشهر الحرام في البلد الحرام .

فاتقوا الله أيها المسلمون وعظّموا حرّماته ، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، اجتنبوا الربا ، والرّشوة ، والخيانة ، والسرقه ، والغش في المعاملات والمقاولات والأعمال والبيع والشراء ، فإن من غش المسلمين فليس منهم ، وحافظوا على الصلوات . والجُمُوع والجماعات ، ووقّروا اليمين بالله في خصوماتكم . وتجنّبوا شهادة الزور في بيناتكم ، فإن شهادة الزور قرينة الشرك في كتاب الله . قال الله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠]

غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، واحفظوا فروجكم ، واسترّوا نساءكم بالحجاب الضافي من الثياب . وامنعوهن من الخروج من البيوت إلا لما لا بدّ منه مع التستر وعدم

التبرُّج بالزينة . ومع تجنب مخالطة الرجال والخلوة مع غير محرِّمها في مكانٍ خالٍ أو في سيارة .

واحدروا أيها الرجال من إسبال الملابس فإن الإسبال كبيرة من كبائر الذنوب . وما كان أسفل الكعبين فهو في النار ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . [الأحزاب : ٥٦]

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، وَخُصَّ اللَّهُمَّ الخلفاء الراشدين : أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، وسائر الصحابة بالرحمة والرضوان ، والتابعين لهم بإحسان .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، واحمِ حوزة الدين ، واجعلْ هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين - اللَّهُمَّ أقمْ علم الجهاد واقمِّعْ سبيل أهل الشرك والريب والفساد وانشر رحمتك على هؤلاء العباد . يا مَنْ له الدنيا والآخرة وإليه المعادُ .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٠ - ٩١]

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون

بسم الله الرحمن الرحيم

استقبال شهر رمضان المبارك

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم للخيرات، يتسابقون فيها بأنواع الطاعات، ويتوبون من السيئات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألهيته، وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أول سابق إلى الخيرات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كل أوقاتهم طاعات. وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله واغتنموا مواسم الخير قبل فواتها، وحاسبوا أنفسكم عن زلاتها وهفواتها، واعلموا أن الفُرَص لا تدوم، وأن الأعمار محددة بأجلٍ معلوم، وسيحل بكم شهرٌ عظيم وينزل بكم ضيفٌ كريم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة : ١٨٥]

جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، وقيام ليله من النوافل العظام، وهو شهر الصبر، وشهر الإحسان، وشهر التلاوة للقرآن، وشهر الرحمة والمغفرة والعق من النيران، وشهر مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، شهر ينتصر فيه الحق على الباطل، فيتغلب فيه المؤمن على النفس الأمارة بالسوء، ويغل في الشيطان، فتزول المعوقات عن فعل الطاعات، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم. فاستقبلوا رحمكم الله هذا الشهر بما يليق به من الاحترام، واسألوا ربكم أن يبلغكم إياه، ويعينكم فيه على فعل ما يرضيه، ويتقبل منكم صالح الأعمال، فإن من بلغه الله شهر رمضان، ومكّنه فيه من فعل الخيرات فقد منّ عليه بنعمة عظيمة يجب عليه أن يفرح بها غاية الفرح، كما قال تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس : ٥٨]

فالفرحُ المحمود إنما يكونُ بفضلِ الله ورحمته، وهو الفرحُ بالهُدى ودينِ الحق الذي جاء به رسولُ الله ﷺ - ولا سِماً في مواسمِ الهُدى والدين كهذا الشهر المبارك، فإن المؤمن يفرحُ بقدومه ويستبشرُ بحلوله وإدراكه لِنِالِهِ من خيرِه ويصيبُ من برِّه ونفحاته. وأمَّا الفرحُ بحصولِ مطامعِ الدنيا وملذَّاتها فهو فرحٌ مذموم. قال تعالى: ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد : ٢٦]

وهذا الفرحُ هو الذي لا يُحبُّ الله أهله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص : ٧٦]

لأنه فرحٌ بمتاعٍ زائل، وفرحٌ يبعثُ على الأشرِ والبَطَرِ، ويُلْهِى عَنِ الطاعة، وينسي الآخرة.

أيها المسلمون : إنَّ أعظمَ ما يُتَقَرَّبُ فيه إلى الله في هذا الشهر وفي غيره هو المحافظةُ على الفرائض وأداء الواجبات، وتركُ المعاصي والمحرمات. يقولُ الله تعالى في الحديثِ القدسي : «وما تقرب إليَّ عبدي بمثلِ ما افترضته عليه» وأعظمُ فرائضِ الله بعد الشهادتين أداءُ الصلوات الخمس في مواقيتها في بيوتِ الله مع جماعةِ المسلمين. فحافظُوا عليها في شهرِ رمضان وغيره، فإنَّ بعضَ الناس يتساهلونَ بأداء هذه الصلوات طولَ السنة، فإذا جاء شهرُ رمضان اجتهدوا فيه وهم مضيعونَ للصلوات الخمس قبلَ رمضان وبعده، فهؤلاء لا ينفعُهم اجتهدُهم في رمضان، لأنَّهم مثلُ مَنْ يحاولُ الحصولَ على ربحٍ وليس معه رأسُ مالٍ، والربحُ لا يتحققُ إلا بعدَ سلامة رأس المال، كذلك الاجتهادُ في النوافل أو الاجتهادُ في بعض الأوقات لا ينفعُ مع تضييعِ الفرائض، لكن مَنْ كَانَ مضيعاً مُفَرِّطاً فيما مضى، ثم تَنَبَّهَ لَمَّا جاء شهرُ رمضان، فتأبَّ إلى الله توبةً صحيحةً يستمرُّ عليها في المستقبلِ طولَ حياته، فإنَّ الله يتوبُ عليه، ويكونُ شهرُ رمضان سبباً ليقظته ومبدأً لتوبته.

ومن أعظم فرائض الله في شهر رمضان بعد الصلوات الخمس صيام أيامه الذي جعله الله أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام. قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

فيجب على كل مسلم بالغ عاقل مقيم يستطيع الصيام أن يصوم هذا الشهر عبادة لله تعالى، وطاعة له، رجاء لثوابه، وخوفاً من عقابه. وقد حدّد الله صيام الشهر بما بين الهلالين: هلال دخوله وهلال خروجه. قال ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته». وحدّد سبحانه الصوم اليومي بما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

والصيام هو الإمساك بنية عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ويسن تأخير السحور إلى ما قبل طلوع الفجر وتعجيل الإفطار عند تحقّق غروب الشمس، ويرجع في وقت الإمساك والإفطار إما إلى رؤية الفجر والغروب إذا تمكّن الصائم من رؤيتهما بنفسه، أو خبر ثقة بذلك، أو أذان المؤذن الذي يتقيد بالوقت، فيؤذن عند طلوع الفجر وغروب الشمس، فإن المؤذن مؤتمن ومتحمّل لمسؤولية عظيمة، لأنّ الناس يصومون ويفطرون بأذانه، ويصلون كذلك اعتماداً عليه.

فاتقوا الله أيّها المؤذنون وراقبوا الوقت مراقبةً دقيقة ولا تؤذّنوا إلا عند دخول الوقت، لا تتقدّموا عليه ولا تتأخّروا عنه فتغرّوا الناس، وتحمّلوا آثامهم، فإنّ بعض المؤذنين لا يبالي متى أذن، فمنهم من يؤذّن قبل دخول الوقت، ومنهم من يؤذّن متأخراً، فيصوم الناس أو يفطرون على آذانه في غير وقت الصيام والإفطار، فيتحملون أوزار الناس بسبب إهمالهم.

إنه إذا تأخّر المؤذن عن الأذان مع طلوع الفجر، فلا يجوز له أن يؤذّن بعد

ذلك لئلا يَغُرَّ الناسَ، بل يكفي بأذانٍ مَنْ حوله من المساجد، ولا يجوزُ لكم أيها المسلمون أن تعتمدوا على أذانِ هذا المؤذن المتساهلِ إذا تأخَّرَ عن المؤذنين كثيراً، لأنه أصبحَ غيرَ ثقةٍ، فاتقوا الله وتنبَّهوا لذلك. ثم اعلِّموا - وفَّقكم الله - أنَّ مِنْ أعظمِ المزايا التي اختصَّ بها هذا الشهر المبارك صلاةُ التراويحِ، فهي سنةٌ مؤكَّدة لا ينبغي للمسلم تركُها، ويستحبُّ فعلُها جماعةً في المسجد لأنَّها من الشعائر الظاهرة. وقد قال ﷺ: «مَنْ قامَ مع الإمامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»، وقال ﷺ: «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه».

وليس لعددِ ركعات التراويح حدٌّ معين، فللإمام أن يصليَ عشرين ركعة، وله أن يصليَ ستاً وثلاثين ركعةً، وله أن يصليَ إحدى عشرة ركعةً، أو ثلاث عشرة ركعةً، فإنَّ كلَّ عددٍ من هذه الأعداد قالَ به جماعةٌ من الأئمة، والراجحُ أنَّ مَنْ أرادَ أن يطيلَ الصلاةَ قلَّلَ عددَ الركعات كما كانَ يفعلُ النبيُّ ﷺ، ومَنْ أرادَ أن يخفِّفَ الصلاةَ أكثرَ من عددِ الركعات. والأمر في هذا واسعٌ. لكن لا يجوزُ للإمام أن يخفِّفَ صلاةَ التراويحِ تخفيفاً مخلأً، فيُسرعَ بالقراءةِ سرعةً يسقطُ معها بعضُ الحروف أو لا يستفيدُ منها مَنْ وراءه، أو يخفِّفَ الركوعَ والسجودَ بحيث لا يستطيع من وراءه أن يأتي بالتسبيح الواجب، ولا يطمئن الطمأنينة المطلوبة.

فاتقوا الله أيُّها الأئمة في صلاتِكم، واتقوا الله فيمَنْ خلفَكم، فاتقنوا القراءة، واتقنوا الصلاة، واخلصوا عملَكم لله.

ومما يجبُ التنبيهُ عليه أنَّ بعضَ الأئمة - هداهم الله - تنتشرُ أصواتهم في الصلاة خارجَ المساجد في رمضان وغيره، وذلك بواسطة مكبرات الصوت. وذلك لا يجوزُ لأنه يشوِّهُ العبادةَ ويشوِّشُ على مَنْ حوله من المساجد الأخرى. والمطلوبُ من الإمام أن يقتصرَ سماعُ صوته على مَنْ خلفه فيجبُ حصرُ الصوتِ داخلَ المسجد. وقد تسبَّبَ من انتشارِ أصوات المكروفونات بالصلاة خارجَ المساجد مفسدةٌ أخرى، وهي تأخُّرُ الكُسالى عن الحضورِ للصلاة، خصوصاً صلاة الفجر،

فإن أحدهم يبقى في منامه إلى أن يسمع قراءة الإمام، وحينئذ لا يمكنه إدراك الصلاة. أو إدراك معظمها، ولقد كثر التأخر عن إدراك الصلاة لهذا السبب فيجب منعه.

واتقوا الله - أيها المسلمون - وبادروا مبكرين بالحضور إلى الجمع والجماعات، لتناولوا الأجور وتكفير السيئات ورفع الدرجات، وخذوا على أيدي الكسالى من أولادكم وإخوانكم وجيرانكم ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢]

بارك الله لي ولكم

من الخطبة الثانية في استقبال شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين على فضله وإحسانه. أمر باغتنام الأوقات قبل فواتها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبويء من قالها عاملاً بها من الجنة أعلى درجاتها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أمر بمحاسبة النفوس عن هفواتها. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وعظّموا شهر رمضان كما عظّمه الله ، وذلك باغتنامه والمحافظة على صيامه وقيامه ، وصيانتة عن تعاطي ما حرم الله ، فإنه سيكون شاهداً لكم أو عليكم بما فعلتموه فيه من حسن أو قبيح ، فإن بعض الناس يزيد شرهم في رمضان عن غيره ، لأنهم لا يعرفون له حرمة ، ولا يُقدرون له قيمة ، ولا يخافون مما يُسجل عليهم فيه من مخالفات وآثام .

فتجد أحدهم جيفةً في النهار مستغرقاً في نومه لا يهتم بصلاة ولا غيرها من الأعمال الصالحة ، وفي ليالي رمضان يسهر على القيل والقال والأكل والشرب ومشاهدة المسلسلات والتمثيليات واستماع الأغاني والمزامير ، أو لعب الورق أو

لعب القمار، لا يُصَلِّي فيه ركعةً من النوافل، بل قد يترك صلاة الفريضة.

والبعض الآخر يتسبب في الشوارع لملاحقة النساء اللاتي يخرجن من بيوتهن فائتات مفتونات، كاسيات عاريات، مائلات مميلات، قد جندهن الشيطان للفتنة، فهن حباثل الشيطان اللاتي يصطاد بها من أراد الله فتنته من الرجال، وأولياء أمور هؤلاء النسوة يقفون منهن مكتوفي الأيدي لا يُنكرون ولا يغارون. عني لا يُبصرون، بكم لا ينطقون.

والبعض الآخر من الناس يعتبر شهر رمضان موسماً للتجارة الدنيوية، فيمضي معظم وقته في متجره، وربما لا يحافظ على صلاة الفريضة في الجماعة فضلاً عن صلاة التراويح، فأى شيء اكتسبه هؤلاء من شهر رمضان سوى الإفلاس والآثام، إنها لما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته فيه المغفرة محروماً غاية الحرمان، فقد صعد النبي ﷺ المنبر فقال: «آمين. آمين. آمين». فقليل له؟ فقال: «إن جبرائيل أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين» الحديث رواه ابن حبان.

فاتقوا الله - عباد الله - وعظموا شهر رمضان كما عظمه الله واغتنموا كما أمركم الله - واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في آخر جمعة من شعبان بيان ما يثبت به دخول شهر رمضان المبارك وخروجه

الحمد لله الذي جعل الأهلّة مواقيت للناس، يعرفون بها أوقات عباداتهم وآجال معاملاتهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إيّاه لملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. حدّد لأمتّه بداية الصيام ونهايته، فقال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين يوماً» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واشكروه على تيسيره ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج : ٧٨] ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة : ٦]

ومن تيسير الله ورفع الحرج عنا أن حدّد بدايات مواقيت العبادات ونهايتها بعلامات واضحة يعرفها كل أحد من العامة والمتعلمين.

ومن ذلك بداية شهر رمضان المبارك ونهايته، قال ﷺ : «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدّة ثلاثين».. فقد بين ﷺ أنه يجب الصيام والإفطار بأحد أمرين : رؤية الهلال، أو إكمال عدة الشهر ثلاثين. وإذا رآه واحد من المسلمين عند دخوله ثبتت بداية الشهر ولزم المسلمين الصيام، فليس من شرطه أن يراه جماعة من الناس قال جابر رضي الله عنه : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال : إني رأيت الهلال (يعني : هلال رمضان) : فقال النبي ﷺ : «أتشهد أن لا إله إلا الله؟» قال : نعم، قال : «أتشهد أن محمداً رسول الله؟» قال : نعم، قال : «يا بلال، أذن في الناس أن يصوموا غداً» رواه أبو داود.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله ﷺ أنني رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه .

وأما الشهادة بخروج شهر رمضان فلا بُدَّ فيها من شهادة رجلين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله، وكان من هديه ﷺ أمر الناس بالصوم بشهادة الرجل الواحد المسلم، وخروجهم منه بشهادة اثنين . انتهى . وذلك - والله أعلم - لأنَّ الدخول لا تُهمّة فيه، فقبل فيه خبر الواحد، ولأنه أحوط للعبادة، وأما الخروج فلوجود التُّهمة فيه بالرغبة في الإفطار لم يُقبل فيه إلا شهادة عدلين واحتياط للعبادة، ولأنَّ الأصل بقاء رمضان، ولا يخرج عن الأصل إلا بيقين .

والأمر الثاني: مما أمر النبي ﷺ أن يُصام ويُفطر بموجبه إكمال الشهر ثلاثين يوماً عندما لا يرى الهلال، لأنَّ الأصل بقاء الشهر واحتياطاً للعبادة في الخروج، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ مَنْ زعم أنه يُصام ويفطر بغير هاتين العلامتين اللتين حددهما رسول الله ﷺ لأُمَّته، كمن يقول: إنه يُصام ويُفطر بناءً على خبر الحاسب وخبر الفلكيين، فقد زاد على ما شرَّعه الله ورسوله وأجمع عليه المسلمون، زاد علامةً ثالثة ابتدعها من عنده «وكل بدعة ضلالة» .

فإنَّ هناك جماعةً من أَدعياء علم الحساب الجهلة يشوِّشون على الناس كلَّ عام، ويشكِّكون في رؤية الهلال ويغلطون من رآه ويتهمونه بالكذب إذا خالف تخرُّصاتهم، ويريدون من المسلمين أن يبنوا صومهم وفطرهم على قول أهل الحساب، لأنَّهم بزعمهم أضبط، وفي هؤلاء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنِّي رأيتُ النَّاسَ في شهرِ صومهم، وفي غيره أيضاً منهم مَنْ يُصغي إلى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب من أنَّ الهلال يُرى أو لا يرى، ويبنون على ذلك إما في باطنه، وإما في باطنه وظاهره، حتى بلغني أنَّ مِنْ القضاة مَنْ كان يردُّ شهادة العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب أنه يُرى أو لا يرى، فيكون ممَّنْ كَذَبَ بالحقِّ لَمَّا جاءه - إلى أن قال :

فإننا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ العملَ في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يرى أولاً يرى، لا يجوز . . والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة، وقد أجمع المسلمون عليه ولا يُعرف فيه خلافٌ قديم أصلاً، ولا خلافٌ حديث . . انتهى .

وقول هؤلاء الجهال يُعتبرُ بدعةً في الدين، لأنَّه مخالفٌ لما أمر به النبي ﷺ، وقد قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». وفيه طعنٌ بالشهود العدول ووصفهم بالكذب والزور، وفيه بلبلةٌ لأفكار العوام، وتشويشٌ على المسلمين، وفيه طعنٌ في القضاة واتهامهم بالتساهل في قبول شهادة الشهود، وفيه إبطالٌ لحكمهم بذلك، وفيه طعنٌ في ولاية أمور المسلمين الذين يُنفذون حكم القضاة ويأمرون الناس بالصوم والفطر بموجبه .

وهذا الذي يقولونه مع أنه يتضمَّن كل هذه المحاذير وأكثر منها فيه تعريضٌ لصيام المسلمين وإفطارهم للخطر فإنَّ عمل الحاسب عرضةٌ للخطأ، لأنَّه عملٌ بشري، ولا يخلو من التخرُّص، وهو أيضاً إخراجٌ وتضييقٌ لأنَّ الحساب لا يعرفه كلُّ أحد، ولا يتوفر المختصون فيه في كل زمان ومكان لو فرضنا صحة الأخذ به وسلامته من الخطأ وهو فرضٌ بعيد . وديننا مبنيٌّ على اليسر والسهولة، والحمد لله، لا تعقيد فيه؛ ولذلك أحال المسلمين في فطرهم وصيامهم على علامة واضحة يعرفها كلُّ أحد وفي كل مكان وزمان، للحاضرة والبادية، للجماعات والأفراد، للمتعلمين والعوام . فالحمد لله على التيسير، فلا تغتروا أيها المسلمون بما يقوله هؤلاء فإنه شذوذٌ وجهلٌ وشرعٌ دين لم يأذن به الله .

صوموا مع جماعة المسلمين وأفطروا . كما أمركم النبي ﷺ بذلك في قوله : «صَوْمُكُمْ يَوْمَ تَصُومُونَ وَفِطْرُكُمْ يَوْمَ تَفْطَرُونَ» رواه الترمذي وغيره . . وقال الإمام أحمد وغيره : يصومُ ويُفطرُ مع الإمام وجماعة المسلمين في الصحو والغيم،

وقال : يدُ الله على الجماعة ، ولو قُدِّرَ أَنَّ المسلمين اجتهدوا في تحرِّي الهلال ليلة الثلاثين فلم يروه فأكملوا الشهر ثلاثين ، ثم تبَيَّنَ بعد ذلك أنه قد رُئيَ في تلك الليلة فإنهم يقضون اليوم الذي أفطروه ولا حَرَجَ عليهم وهم معذورون ومأجورون .

وأما لو صاموا بخبر الحاسب فإنهم آثمون ولو أصابوا ، لأنَّهم فعلوا غيرَ ما أمروا به ، ثم إنَّ عملهم بقول الحاسب قد يؤدي إلى أن يصوموا قبلَ وقت الصيام ، وقد نَهَى النبي ﷺ عن تقدُّمِ رمضان بصوم يوم أو يومين .

قال عليه الصلاة والسلام « لا تقدِّموا الشهرَ بصيام يوم ولا يومين » رواه أبو داود ، كما أنَّ عملهم بذلك قد يؤدي إلى أن يُصامَ يوم الشكِّ ، وهذا يخالفُ قولَه ﷺ : « فإن غمَّ عليكم فأكملوا عِدَّةَ الشهر ثلاثين » .

وقال عمارُ بن ياسر رضي الله عنه : مَنْ صامَ اليوم الذي يُشكُّ فيه فقد عَصَى أبا القاسم ﷺ : رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي ، ورواه البخاري تعليقاً وقد يؤدي العملُ بقول الحاسب إلى التأخُّر في الصيام عن أول الشهر .

قد يقول بعض المتحذلقين : إنَّ العلمَ قد تطوَّرَ ، ويعنون بالعلمِ تقدُّمُ الصناعة والمخترعات الحديثة والدراسات الفلكية ، ويقولون : إنَّ علمَ الحساب قد تطوَّرَ وصار بإمكان الحاسب أن يعرفَ ما إذا كان الهلالُ يُرى أو لا يرى . . . ونقول لهؤلاء أولاً : علمُ الحساب كان موجوداً من قديم ، ولم يعوَّل عليه الشارعُ ، لأنه عرضةٌ للخطأ والاختلاف ، فأهلُ الحساب لا يتفقون أبداً . .

ثانياً : العباداتُ توقيفية مدارُّها على الأمر والنهي ، وقد أمر الشارعُ بالصوم لرؤية الهلال ، والفطر لرؤيته ، ونَهَى عن الصوم والإفطار بدونِ رؤية الهلال أو إكمال ثلاثين تيسيراً على العباد وإبعاداً لهم عن الشكوك والأوهام علَّقَ الحكم على شيءٍ محسوس ليس فيه مجالٌ للاختلاف .

ولا مانع من استعمال الآلات التي تُساعد على الرؤية كالمراصد والمناظر
المكبّرة إذا تيسّر ذلك بدون تكلفٍ، ولسنا مُلْزَمين بإيجادها واستعمالها، لكن لو
وُجدت فلا مانع من الاستعانة بها.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتقيّدوا بما شرّعه الله لكم فإنّ فيه الكفاية
والهداية. أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ
مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١٨٩]
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في بيان ما يثبت به دخول شهر رمضان وخروجه

الحمدُ لله الذي أَنْعَمَ علينا بنعمه الباطنة والظاهرة، وأشهدُ أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، شهادةً أدخَرها للدار الآخرة. وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله
المؤيّد بالمعجزات الباهرة. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كثيراً... أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن خيرَ الحديث كتاب الله تعالى
وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، واعلموا أنه لا يجوزُ صومُ
يومِ الشك، وهو يومُ الثلاثين من شعبان إذ لم يُرَ هلالُ رمضان بسبب الغيم أو القتر،
لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِاعْتِبَارِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ شَعْبَانَ، حَيْثُ قَالَ : «إِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا
عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ» رواه البخاري . ويجوزُ صومُ هذا اليوم تطوعاً، إذا كان عادته
صيام يوم الاثنين والخميس، وصادفَ يومُ الشك أحدَ هذينَ اليومين، فإنه يصومه
تطوعاً على عادته، وكذا مَنْ عَلَيْهِ قِضَاءٌ مِنْ رَمَضَانَ سَابِقٍ، فإنه يصومُ هذا اليوم عن
ذلك القضاء.

لأنَّ الممنوعَ صيامُهُ على أنه من رمضان الجديد من باب الاحتياطِ أو اعتماداً
على قول أهل الحساب أنه من رمضان، لأنَّ ذلك بدعةٌ، وكلُّ بدعة ضلالة . .
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٥٦]

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ على نبينا محمد . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض أحكام الصيام

الحمدُ لله ذي الفضل والإنعام، أوجبَ الصيامَ على أمةِ الإسلام، وجعلهُ
أحدَ أركانِ الدينِ العظيم، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده، لا شريك له ذو الجلال
والإكرام، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أفضلُ مَنْ صَلَّى وصام وأطاعَ أمرَ ربه
واستقامَ. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلِّم تسليماً
كثيراً . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واشكروه على بلوغِ شهر رمضان، وأسألوه
التوفيقَ والإعانة على اغتنامِ أوقاته بالطاعة، وأن لا يجعلَكم فيه من أهلِ التفریط
والإضاعة، فإنه إنما يُفرِّحُ بطولِ العمر لأجلِ إدراكِ مواسمِ الخيرات، والإكثار
من الطاعات .

وفي الحديث : «خيرُكم مَنْ طالَ عمرُه وحَسَنَ عمله»، ولا يُفرِّحُ بطولِ
العمر من أجلِ العيش في الدنيا فقط، لأنَّ العيشَ في الدنيا في غيرِ الطاعة ينتهي
سريعاً ويعقبُ حسرة وندامة يوم القيامة .

وأما العيشُ في الدنيا في الطاعة فإنه يبقى أثره ويمتدُّ خيره إلى ما لانهايةً ،
لأنه يتصلُ بعيش الآخرة ، وقد قال النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ» ،
وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧]

فحياة المؤمن ممتدة متواصلة بالخير والسرور في دنياه وفي قبره ويوم
نشوره . ففي الحياة الدنيا يتلذذ بالطاعة ويطمئن قلبه بذكر الله ، فيعيش فيها منشرح
الصدر قريح العين ، وفي قبره يُفتح له بابٌ إلى الجنة ، فيأتيه من طيبها ونعيمها ،
ويقال له : نَمْ نومة العروس لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه ، وفي بعثته يُبعث على
أحسن حال ، فيحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، ويدخل الجنة دار
النعيم خالداً مخلداً فيها لا يمسه فيها نصبٌ ، ولا يخشى موتاً ولا همّاً ولا مرضاً .
﴿ وَمَا لَهُم مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨]

وأما الكافر فإنه وإن حيزت له الدنيا بحذافيرها فإنه يعيش فيها مهموماً
مذموماً ، وتزول عنه سريعاً ، ثم يموت ويعذب في قبره ، ثم يبعث إلى النار وبئس
القرار . هكذا عذاب متواصل ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٤]

عباد الله : وإن من أعظم ما يمرُّ في عمر المؤمن إدراك مواسم الخير ، التي
من أعظمها شهرُ رمضان المبارك ، فإنه أعظم كسب في حياة المؤمن ، وفي حديث
الثلاثة الذين استشهد منهم اثنان وبقي الثالث بعدهما ، ومات على فراشه ، فرئي
سابقاً لهما ، فتعجب الناس من ذلك . فقال رسول الله ﷺ : أليس عاش بعدهما
وصلى كذا وكذا ، وأدرك شهرَ رمضان فصامه ، والذي نفسي بيده إنَّ بينهما كما بين
السماء والأرض . فاحمدوا الله - أيها المسلمون - على بلوغ هذا الشهر ، وأكثروا
فيه من فعل الطاعات واكتساب الحسنات .

واعلموا أن أعظمَ عملَ شرَّعه الله في هذا الشهر بعد الصلوات المفروضة هو الصيام ، فقد جعلَ الله صَوْمَ هذا الشهرِ أحدَ أركانِ الإسلام ، فمن جحدَه فهو كافرٌ مرتدٌّ عن دينِ الإسلام ، وَمَنْ أَقَرَّ بوجوبه ولم يَصُمْه تكاسلاً فهو مستحقٌّ لأعظمِ الوعيد ، ويجبُ عليه التوبةُ إلى الله وقضاءُ ما أفطرَ منه . وَمَنْ عَلِمَ بفطره من المسلمين وَجَبَ عليه أن يُرَفَعَ عنه لولاة الأمور ليأدبوه ويلزموه بالصيام . ويجبُ الصيام على كُلِّ مسلم بالغ عاقل مقيم صحيح .

وأما الصغيرُ الذي دون البلوغ فلا يجبُ عليه ، ولكن يؤمرُ به إذا كان يُطيقُه ليعتاده ويتربى عليه ، ويكونَ له نافلةٌ ولوليه أجراً .

وأما المسافرُ والمريضُ فيُفطران ويقضيان من أيامِ آخرَ .

وَمَنْ زالَ عقلُه بجنونٍ دائمٍ أو كبرٍ وهرمٍ ، فلا صَوْمَ عليه . . وأما الكبيرُ الذي يعقلُ ولكنَّه لا يستطيعُ الصيامَ لضعفِ بدنه وقواه ، فإنه يجبُ عليه أن يُطْعَمَ عن كلِّ يومٍ مسكيناً . ومثله المريضُ الذي لا يستطيعُ الصومَ ، والمريضُ مستمرٌّ معه دائماً فإنه لا صَوْمَ عليه ، ويُطْعَمُ عن كُلِّ يومٍ مسكيناً . .

عباد الله : والصوم : معناه الإمساك عن المُفطراتِ بنيةٍ من طلوع الفجرِ الثاني إلى غروب الشمس .

والمفطراتُ هي : الأكلُ والشربُ ، فَمَنْ أَكَلَ أو شَرِبَ متعمداً بطلَ صَوْمُه ويجب عليه التوبةُ إلى الله والإمساكُ بقيةَ يومه ثم يقضي ما أفطره . وَمَنْ أَكَلَ أو شربَ ناسياً فلا حَرَجَ عليه ، وصَوْمُه صحيح .

ومثلُ الأكلِ والشربِ في إفسادِ الصيام ما كان بمعناهما ، مثلُ الإبرِ المُغذية ، والحبوبِ الدوائية ، والإبرِ التي تُحَقَّنُ عن طريقِ الوريد ، لأنَّ هذه الأشياءَ تدخلُ في الجسمِ وتخالطُ الدَّمِ أو تغذي ، وتفعلُ ما يفعلُ الطعامُ والشرابُ ، ومثلُ الأكلِ والشربِ أيضاً : استعمالُ القطرة في العين أو الأنف أو الأذن ، لأنها تتسربُ إلى

الحلق وتدخل الجوف، فمن استعمل القطرة متعمداً، ووجد طعمها في حلقه فإنه يفسد صومه.

فقد قال النبي ﷺ: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»، فقد نهى عن المبالغة في استنشاق الصائم لئلا يصل الماء إلى حلقه، وذلك يدل على الإخلال بصيامه. ومثله القطرة لأنها سائل وصل الحلق عمداً ففسد الصوم.

ومن مفسدات الصوم : الجماع فمن جامع في نهار رمضان فسد صومه، ويجب عليه أن يتوب إلى الله، ويمسك بقية يومه، ثم يقضي هذا اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء الكفارة المغلظة، وهي إعتاق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين. فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً.

وعلى المسلم أن يتجنب كل الوسائل التي قد توقعه في هذا المحذور، من نظرٍ بشهوة، أو تقبيلٍ لزوجته بشهوة، أو لمسٍ لها بشهوة.

ومن المفسدات للصوم : إنزال المني بدون جماع بسبب مما ذكرناه من نظرٍ، أو تقبيلٍ، أو لمسٍ، أو استمناء باليد، وهو ما يُسمى بالعادة السرية.

أما من احتلم وهو نائم في نهار رمضان فأنزل، فإنه لا يؤثر على صيامه، لأنه بغير اختياره وإنما يجب عليه الاغتسال.

ومن مفسدات الصوم : استفراغ ما في المعدة عمداً، وهو التقيؤ، لقوله ﷺ: «من استقاء فليقض». أما من غلبه القيء وخرج بدون اختياره فصيامه

صحيح . . .

ومن مفسدات الصوم : استخراج الدم الكثير من البدن بحجامة أو فصد أو سحب للدم، فإذا فعل ذلك فقد أضر لصحة الحديث في أن الحجامة تفسد الصائم.

أما من انجرح ونزف منه دم كثير، أو خلع ضرساً، فخرج منه دم فلا حرج وعليه أن يتقل الدم من فيه.

ومن موانع صحة الصوم : الحيض والنفس ، فالحائض والنفساء تفتران مدة الحيض والنفس وجوباً . ولا يجوز لهما الصيام ولا يصح منهما ، وتقضيان ما أفطرتا فيهما من أيام أخر . .

فاتقوا الله - عباد الله - وحافظوا على صيامكم من المفسدات - وقد جعل الله لكم الليل مجالاً لتناول ما تحتاجون إليه أو تشتهونه مما أباح الله لكم . أمّا النهار فاحفظوه بالصيام . . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : ١٨٧]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحكام الصيام

الحمد لله على فضله وإحسانه . شرع لنا الصيام والقيام لننال منه الأجر والإكرام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . عليه وعلى آله وأصحابه أزكى الصلاة والسلام . . . أما بعد :

عباد الله : اتقوا الله ، واعلموا أن هناك مفطرات معنوية إلى جانب المفطرات الحسية ، فيجب عليكم معرفتها واجتنابها ، وهي :

كل قول أو فعل محرّم في غير الصيام فإنه يتأكّد تحريمه ويتضاعف إثمه في وقت الصيام ، وذلك كالغيبة والنميمة ، والشتم ، والسباب ، وقول الزور ، والنظر إلى ما حرّم الله النظر إليه من النساء ، والصور الفاتنة ، والأفلام الخليعة ، والاستمتاع إلى ما حرّم الله الاستماع إليه من الأغاني والمعازف والمزامير وسائر المعاصي ، فإنها تؤثر على الصيام وتوجب الآثام . فليس الصيام مجرد ترك الطعام والشراب والجوع والعطش . ولكنه مع ذلك ترك كل ما حرّم الله من الأقوال

والأفعال المحرّمة والمؤثمة، يصومُ البطنُ عن الطعامِ والشرابِ والفرجِ عن الاستمتاعِ ، والنظرُ عن المَرائي المحرمة ، واللسانُ عن الألفاظِ القبيحة .

فتركُ الطعامِ والشرابِ لا يكفي مع عدمِ تركِ هذه الأشياءِ ، بل يصبحُ تعباً بلا فائدةٍ ، وعملاً بلا أجر .

فاتقوا الله في صيامكم وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم . .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على تعلُّم القرآن وتلاوته في العمل به

الحمدُ لله ذي الفضل والإحسان ، أنعمَ علينا بِنعمٍ لا تُحصى ، وأجلّها نعمة القرآن ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنجي مَنْ نطقَ بها وعرفَ معناها وعَمِلَ بمقتضاها من النيرانِ ، ويستحقُّ بها دخولَ الجنان . وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزة القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على طريق الإيمان . وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واشكروه على ما منَّ به عليكم من نعمة الإيمان ، وخصّكم به من إنزال القرآن ، فهو القرآن العظيم ، والذكرُ الحكيم ، والصراطُ المستقيم . هو كلامُ الله الذي لا يُشبهه كلام . ولا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ، تكفلَ الله بحفظه فلا يتطرَّقُ إليه نقصٌ ولا زيادة ، مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وفي المصاحف ، محفوظٌ في الصدور ، متلّو باللسن ميسراً للتعلّم والتدبر .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ١٧]

يستطيع حفظه واستظهاره الصغار والأعاجم لا تكمل الألسن من تلاوته، ولا تمل الأسماع من حلاوته ولذته، ولا تشبع العلماء من تدبره والتفقه في معانيه، ولا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، لأنه المعجزة الخالدة، والحجة الباقية. أمر الله بتلاوته وتدبره وجعله مباركاً، فقال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ الْإِنْسَانُ لَدُونَهُ ﴾ [ص : ٢٩]

وقال ﷺ: «مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقد جعل الله ميزةً وفضيلةً لحملة القرآن العاملين به على غيرهم من الناس، قال ﷺ: «خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» رواه البخاري ومسلم.

ففي هذه النصوص حث على تعلم القرآن أولاً، ثم تلاوته وتدبره ثانياً. ثم العمل به ثالثاً.

وقد انقسم الناس مع القرآن إلى أقسام.

فمنهم مَنْ يتلوه حق تلاوته ويهتم بدراسته علماً وعملاً. وهؤلاء هم السعداء، الذين هم أهل القرآن حقيقة.

ومنهم مَنْ أعرض عنه فلم يتعلمه ولم يلتفت إليه، وهؤلاء قد توعدهم الله بأشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

[الزخرف : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه : ١٢٤ - ١٢٦].

ومن الناس من تعلّم القرآن ولكنه أهمل تلاوته . وهذا هجر للقرآن ، وجرمان للنفس من الأجر العظيم في تلاوته ، وسبب لضياعه ، وقد يدخل في قوله تعالى :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) ، فَإِنَّ الْإِعْرَاضَ عَنْ تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارة كبيرة ، وسبب لتسلط الشيطان على العبد ، وسبب لقسوة القلب .

ومن الناس مَنْ يتلو القرآن مجرد تلاوة من غير تدبّر ولا اعتبار ، وهذا لا يستفيد من تلاوته فائدة كبيرة . وقد ذمّ الله من اقتصر على التلاوة من غير تفهّم ، فقال سبحانه في اليهود : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴾ [البقرة : ٧٨]

أي : يتلونه تلاوة مجردة عن الفهم . فيجب على المسلم عند تلاوته للقرآن أن يُحْضِرَ قلبه لتفهّمه على قدر استطاعته ، ولا يكتفي بمجرد سرّده وختمه من غير تفهّم وتأثّر .

ومن الناس مَنْ يتخذ تلاوة القرآن حرفة يتأكل بها ، فيقرأه في المحافل والمآتم والموالد لأجل ما يُدْفَعُ إليه من الأجرة ، ويقرؤه على غير الوجه المشروع فيمطّطونه ويلحنونه بالأحان الأغاني ، فهؤلاء جَمَعُوا بين عدة جرائم .

أولاً : قراءة القرآن في مواطن البدعة والمعصية كالمآتم والموالد وبعض المحافل التي تشتمل على المنكرات والهزليات .

ثانياً : اتخاذ تلاوة القرآن لطلب الدنيا . والتلاوة عبادة لا يجوز أن يُقْصَدَ بها الدنيا ، وإنما يُقْصَدُ بها وجه الله وطلب الأجر والثواب .

ثالثاً : قراءة القرآن على غير الوجه الصحيح . بل على وجه التطريب والألحان المحرمة .

ومن الناس من يتلو القرآن ويحسنُ التلاوة لأجل الرياء والسُّمعة ، وهو لا يؤمن به . وهؤلاء هم المنافقون نفاقاً اعتقادياً الذين قالَ فيهم رسولُ الله ﷺ «ومثلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآنَ كمثلِ الريحانةِ ريحها طيبٌ وطعمُها مرٌّ» . وقد يقرأ هؤلاء القرآن من أجلِ المجادلةِ به واتباعِ متشابهه ، كما قالَ الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : ٧]

أما مَنْ قرأ القرآن وهو مؤمنٌ به ، ولكنه بقرائه يحسنُ صوته يقصدُ ثناءَ الناسِ عليه ومدحهم له والاجتماع حوله ، فهذا نفاقٌ عملي وشركٌ أصغرُ يُبطلُ الثوابَ ويوجبُ العقابَ . قال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون : ٤ - ٦]

وإن كان يقصدُ بذلك نفعَ الناسِ بإسماعهم القرآن فهو مثابٌ مأجور .

عباد الله : إن وجودَ القرآن بيننا وتيسيرَ الحصولِ عليه لِمَنْ طلبه ، وتوفيرِ المصاحف في المساجد والبيوت والمكاتب ، وإذاعةَ تلاوته في الإذاعات التي يسمَعُها مَنْ قُرْبَ ومن بُعدَ كلِّ هذا من أعظمِ النعمِ على من وَفَّقَه الله لتعلمِ كتابِ الله واستماعه والعمل به . ومن أعظمِ قيامِ الحجةِ على مَنْ أَعْرَضَ عنه ، أو خالفه ، فقد قال الله لرسوله ﷺ : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] وقال ﷺ : «والقرآن حجةٌ لك أو عليك» .

فاتقوا الله عباد الله واهتمُّوا بكتابِ الله تعلُّماً وتعليماً وعلماً وعملاً تكونوا من أهله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كبيراً وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أليماً ﴾ [الإسراء : ٩ - ١٠] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في شأن القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، جَعَلَ القرآنَ نوراً للمؤمنين، وحنةً على الكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، بَلَغَ البلاغَ المبين، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

عباد الله : اَعْلَمُوا أَنَّ لِكِتَابِ اللَّهِ حَرَمَةً وَمَكَانَةً عَظِيمَةً تَوْجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ احْتِرَامَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَالتَّادِبَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، وَاسْتِمَاعَهُ بِإِنصَاتٍ وَخُشُوعٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

وَمِنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَمَسَّ الْمَصْحَفَ إِلَّا طَاهِرٌ. قَالَ ﷺ: «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ». وَمِنْ ذَلِكَ تَحْرِيمُ تِلَاوَتِهِ عَلَى الْجُنْبِ، سِوَاءٍ مِنَ الْمَصْحَفِ أَوْ حَفْظاً، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَحِبُّهُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا الْجَنَابَةَ - وَكَذَلِكَ الْحَائِضُ وَالنَّفْسَاءُ لَا يَجُوزُ لهُمَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ حَتَّى تَطْهُرَا، وَقَدْ رَخَّصَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِلْحَائِضِ وَالنَّفْسَاءِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ حَفْظاً إِذَا خَشِيتْ نِسْيَانَهُ، وَأَمَّا الْمُحَدِّثُ حَدَثاً أَصْغَرَ فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ حَفْظاً.

وَلَا تَجُوزُ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ عَلَى شَيْءٍ يَتَعَرَّضُ لِلْإِهَانَةِ كَكِتَابَتِهِ عَلَى السُّتُورِ وَعَلَى الْجُدْرَانِ مِنْ أَجْلِ الزُّخْرُفَةِ وَالزَّيْنَةِ أَوْ كِتَابَتِهِ عَلَى لُوحَاتٍ تُعَلَّقُ، وَهَذَا كَثُرَ فَعَلُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَحِثْ تَكْتُبُ آيَاتٍ عَلَى شَكْلِ زُخَارِفٍ وَبِخُطُوطٍ غَيْرِ عَادِيَةٍ، وَرَبَّمَا

تَكْتُبُ الآيَةَ عَلَى شَكْلِ حَيَوَانٍ أَوْ عَلَى شَكْلِ مَصْبَاحٍ كَهْرِبَائِيٍّ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْعِبَثِ
بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَعْرِيزُهُ لِلْإِهَانَةِ ، وَفِي ذَلِكَ ابْتِدَالٌ لَهُ ، وَاتِّخَاذُهُ حَرْفَةً لِلْكَسْبِ وَالْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ ، فَإِنَّ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ هَذِهِ اللَّوْحَاتِ يَبِيعُونَهَا لِلنَّاسِ وَيَأْكُلُونَ ثَمَنَهَا ، وَالَّذِينَ
يَشْتَرُونَهَا يُعَلِّقُونَهَا عَلَى جُدْرَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ الزَّخْرَفَةِ وَالزَّيْنَةِ وَالْمَنَاطِرِ الْجَمِيلَةِ وَقَدْ
تُعَلَّقُ مَعَ صُورٍ مُحَرَّمَةٍ وَفِي أَمْكِنَةٍ غَيْرِ لَائِقَةٍ ، فَاحْتَرَمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَصُونُوهُ عَنْ هَذَا
الْعِبَثِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَحْرُمُ دُخُولُ الْخَلَاءِ بِالْمَصْحَفِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا تَحْرُمُ
قِرَاءَةُ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ دَاخِلَ مَحَلٍّ قِضَاءِ الْحَاجَةِ .

وَمِمَّا يَجْدُرُ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ : الْمَجَلَاتُ وَالْجَرَائِدُ الَّتِي يَكْتُبُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ
الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلقَاؤُهَا وَتَعْرِيزُهَا لِلَاِمْتِهَانِ ، بَلْ يَجِبُ رَفْعُهَا أَوْ انْتِزَاعُ مَا فِيهَا
مِنَ الْقُرْآنِ قَبْلَ إِلقَائِهَا وَامْتِهَانِهَا .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الزكاة وأحكامها

الحمد لله رب العالمين ، جَعَلَ في أموالِ الأغنياء حقاً للفقراء والمساكين .
وللمصارف التي بها صلاحُ الدنيا والدين ، وأشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك
له ، ولا نعبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مخلصين موحدين ، وأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله الصادق
الأمين ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين ،
وسَلَّمَ تسليماً كثيراً . . . أما بعدُ :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلِّمُوا أَنَّ الزكاة هي الركنُ الثالث من أركانِ
الإسلام ، وهي المِوَالِيَةُ للصلاة بينَ تلك الأركان ، وقرينتها في الذكر في كثيرٍ من
آي القرآن . حيثُ قَرَنَها اللهُ سبحانه بالصلاة في نيفٍ وثلاثين آيةً . مما يدلُّ على
أهميتها ، وعظيم مكانتها ، وفيها مصالحٌ عظيمة :

أعظمها شكرُ الله تعالى وامتنالُ أمرِهِ بالإِنفاق مما رَزَقَ ، والحصولُ على
وعده الكريم للمنفقين بالأجر .

ومنها مواساةُ الأغنياء لإخوانهم الفقراء في سدِّ حاجاتهم ودفع الفاقة عنهم .
ومنها تطهيرُ نفس المزكِّي من البُخلِ والشُّحِّ والأخلاقِ الذميمة ، وجعله في
صفوف المحسنين الذين يُحبُّهم اللهُ ويحبُّهم الناسُ ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّهُ يَحِبُّ
الْمَائِدَةَ : ٩٣]

ومنها أَنَّها تسبِّبُ نماءَ المال وحلولَ البركة فيه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩]

وفي الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى : يا ابن آدم أنفق أنفق عليك » .

ومنع الزكاة يسبب أضراراً عظيمة ، منها الحرمان من هذه المصالح المترتبة على إخراجها ، ومنها تعريض المال للتلف والهلاك ، ففي الحديث الذي رواه البزار عن عائشة رضي الله عنها : « ما خالطت الزكاة مالا قط إلا أهلكته » وأنتم ترون وتسمعون اليوم ما يُصيبُ الأموال من الكوارث التي تتلفها من حريق ، وغرق ، ونهب ، وسلب ، وخسارة ، وإفلاس ، وما يصيبُ الثمار من الآفات التي تقضي عليها أو تنقصها نقصاً ظاهراً . وهذا من عقوبات منع الزكاة .

ومنها : منع القطر من السماء الذي به حياة الناس والبهائم ونمو الأشجار والثمار . وفي الحديث : « وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء » كما تشهدون انحباس الأمطار عن كثير من البلاد وما تنج عن ذلك من الأضرار العظيمة . هذه عقوبات عاجلة ، وأما العقوبات الآجلة فهي أشد من ذلك . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤]

وكل ما لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به يوم القيامة ، يدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وقال تعالى : ﴿ يَحْسِنَ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ مِن فُضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠]

يدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع (أي : ثعباناً عظيماً كربه المنظر له زبيبتان يطوقه

يوم القيامة، ثم يأخذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ (يعني : شذقيه)، ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك» .

هذه عقوبةُ مانعِ الزكاة في الآخرة قد بينها الله ورسوله، وهي أن المال غيرَ المزكى يجعلُ صفائحَ تُحْمَى في نار جهنم يُكْوَى بها جبهته وجنبه وظهره، ويُجْعَلُ أيضاً ثعباناً عظيماً يطوّقُ به عنقه ويُمسِكُ بشذقيه ويلدغه، ويُفرغُ فيه السمّ الكثير الذي يتألم منه جسمه .

وليسَ هذا العذابُ يحصلُ في ساعةٍ وينقطعُ، بل يستمرُّ خمسين ألفَ سنة، نعوذُ بالله من ذلك . .

ومانعُ الزكاة إذا عُرِفَ عنه ذلك فإنه لا يجوزُ تركه، بل يجبُ الإنكارُ عليه ونصحه . فإن أصرَّ على منعها وَجَبَ على وليِّ الأمر أن ينظرَ في شأنه فإن كان جاحداً لوجوبها وَجَبَ أن يُستتابَ، فإن تاب وأدى الزكاة، وإلا وَجَبَ قتله مرتداً عن دين الإسلام .

وإن كان مقرراً بوجوبها ولكنه منعها بخلاً وَجَبَ تعزيره وأخذها منه قهراً، وإن لم يمكن أخذها منه إلا بقتالٍ فإنه يقاتلُ - كما قاتَلَ الصحابة رضي الله عنهم ما نعى الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى خَضَعُوا لِدِفْعِهَا والتزموا بِحُكْمِهَا .

واعلموا - عبادَ الله - أن الأموال التي تَجِبُ فيها الزكاة أربعة أنواع : -

النوع الأول : النقدان : الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من الأوراق النقدية التي يتعاملُ بها الناسُ اليوم سواء سُميت، دراهم أو ريالات أو دنانير أو دولارات أو غير ذلك من الأسماء، فمن كان عنده نصاب من الذهب أو الفضة أو ما يعادلُ النصاب من تلك الأوراق النقدية أو أكثر من النصاب، وحال عليه الحَوْلُ فإنه تجبُ فيه الزكاة، ومقدارُها : ربعُ العشر، أي : ريالان ونصف من كل مئة، سواء أَدَّخَرها للتجارة، أو للنفقة، أو للزواج، أو لشراء بيت، أو سيارة، أو غير ذلك من حوائجِه، وسواء كانت هذه النقودُ لكبيرٍ أو لصغيرٍ أو لمجنون . فتجبُ الزكاة في أموال الأيتام والقصار، ويخرجها عنهم وليُّهم .

ورِبْحُ الدِراهِمِ حَوْلُهُ حَوْلُهَا، فَيُزَكِّي الرِّبْحَ مَعَ رَأْسِ المَالِ وَلَوْ لَمْ يَمْضِ
عَلَى الرِّبْحِ إِلَّا مَدَّةُ يَسِيرَةٍ أَوْ لَمْ يَمْضِ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

والمَوْظُفُ الَّذِي يَدْخِرُ مِنْ مُرْتَبِهِ كُلَّ شَهْرٍ مَبْلَغًا، الْأَحْوَطُ لَهُ وَالْأَسْهَلُ عَلَيْهِ أَنْ
يَجْعَلَ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَقْتًا لِإِخْرَاجِ زَكَاةٍ مَا اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مِنَ النُّقُودِ إِلَى
مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ دِيُونٌ فِي ذِمِّ النَّاسِ سِوَاءٍ كَانَتْ قَرُوضًا أَوْ أَثْمَانًا مَبِيعَاتٍ مُؤَجَّلَةٍ
أَوْ أَجُورَاتٍ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدِّيُونُ عَلَى أَنَاسٍ مُوسِرِينَ بِأَذْلِينَ يَسْتَطِيعُ الْحَصُولُ
عَلَيْهَا عِنْدَمَا يَطْلُبُهَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يُزَكِّيها إِذَا تَمَّ لَهَا حَوْلٌ مِنْ حِينَ الْعَقْدِ، سِوَاءٍ قَبْضِهَا
مِنْهُمْ أَوْ لَمْ يَقْبِضْهَا كَمَا يُزَكِّي المَالُ الَّذِي بِيَدِهِ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدِّيُونُ عَلَى
مَعْسِرِينَ أَوْ عَلَى مِمَاطِلِينَ، وَلَا يَدْرِي هَلْ يَحْصُلُ عَلَيْهَا، أَمْ تَذَهَبُ، فَإِنَّهُ يُزَكِّيها إِذَا
قَبْضَهَا عَنْ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ عَلَى الْأَصَحِّ. وَإِذَا كَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ دِيُونٌ لِلنَّاسِ وَعِنْدَهُ
نُقُودٌ أَوْ عَرُوضٌ تِجَارَةً فَالْأَصَحُّ مِنْ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ أَنَّ الدِّينَ لَا يَمْنَعُ وَجُوبَ الزَّكَاةِ فِيمَا
عِنْدَهُ فَيُزَكِّي مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ وَالْعَرُوضِ.

النوع الثاني من الأموال التي تجب فيها الزكاة :

عَرُوضُ التِّجَارَةِ، وَهِيَ السِّلْعُ الْمَعْرُوضَةُ لِلْبَيْعِ طَلْبًا لِلرِّبْحِ، كَالْأَقْمَشَةِ،
وَالسَّيَّارَاتِ، وَالْآلِيَّاتِ، وَقَطْعِ الْغَيَّارِ، وَالْأَرَاظِيِّ، وَالْعِمَارَاتِ الْمَعْدَّةَ لِلْبَيْعِ،
وَمَحْتَوِيَّاتِ الْبَقَالَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعَمَةِ، وَالْأَشْرِبَةِ، وَالْمَعْلَبَاتِ، وَمَحْتَوِيَّاتِ
الصِّيدَلِيَّاتِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَدَوَاتِ الطَّبِيَّةِ، وَأَدَوَاتِ الْبِنَاءِ بِأَنْوَاعِهَا، وَمَا تَحْوِيهِ
الْمَكْتَبَاتُ التِّجَارِيَّةُ مِنَ الْكُتُبِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى ثَمَنِهَا
الَّذِي اشْتَرَيْتَ بِهِ يُقَوِّمُهَا - أَيُ : يَقْدَرُ قِيمَتُهَا الَّتِي تَسَاوِيهَا عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ - سِوَاءٍ
كَانَتْ قَدَرُ قِيمَتِهَا الَّتِي اشْتَرَاها بِهَا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا يَنْظَرُ إِلَى مَا اشْتَرَاها بِهِ،
وَيُخْرِجُ رُبْعَ الْعَشْرِ مِنَ الْقِيَمَةِ الْمَقْدَرَةِ. وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا مِمَّا أَعْدَّ لِلْبَيْعِ كَبِيرًا كَانَ أَوْ
صَغِيرًا إِلَّا وَيُقَدَّرُ قِيمَتُهُ، بَأَنْ يُجَرَّدَ كُلُّ مَا عِنْدَهُ، وَيُقَوِّمَهُ لِإِخْرَاجِ زَكَاتِهِ، وَلَا زَكَاةَ فِيمَا

أَعَدَّ للتأجير من العمارات والسيارات والدكاكين والآليات وغيرها، فلا زكاة في نفس هذه الأشياء وإنما الزكاة في أجزائها إذا حال عليها الحول من حين عقد الإجارة.

ولا زكاة على الإنسان فيما أعده للاستعمال كالمسكن والمتجر، أي : المحل الذي يجلس فيه للبيع والشراء، والسيارات التي يركبها وغير ذلك من مستعملاته؛ والذي عنده مصنع أو ورشة للحداة أو لإصلاح السيارات، أو عنده مطبعة، لا زكاة عليه في الآليات التي يستخدمها للعمل، وإنما الزكاة في الغلة التي يحصل عليها من ذلك المصنع أو الورشة أو المطبعة. بأن يخرج ربع العشر مما حال عليه الحول من الدراهم التي يحصل عليها من هذه الأشياء.

والأسهم التي للإنسان في الشركات : إن كانت شركات استثمار : كشركات المصانع أو شركات النقل وشركات الكهرباء والإسمنت، فهذه تجب الزكاة في غلتها، فإذا حصل المسهم على شيء من غلة أسهمه في الشركة فإنه يزكيه - وأما الأسهم التي له في الأراضي التجارية - فتجب عليه زكاة أسهمه منها بأن يقوم تلك الأراضي عند تمام حولها ويخرج ربع عشر قيمة نصيبه منها.

النوع الثالث : من الأموال التي تجب فيها الزكاة :

بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم . . .

والنوع الرابع : الخارج من الأرض .

وتفاصيل أحكام زكاة هذين النوعين مبسطة في كتب الفقه وبإمكان من احتاج إلى شيء منها أن يسأل أهل العلم، لأنه لا يتسع هذا المقام لذكرها.

واعلموا - رحمكم الله - أنه لا بد من النية عند دفع الزكاة، لأنها عبادة، والعبادة لا تصح إلا بنية، لقوله ﷺ : «انما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» فينوي عند دفعها أنها زكاة.

ولو دَفَعَ دَراهِمَ وهو لم ينوِها زكاةً، ثم نَوَى بعدَ ذلك لم تجز، وعلى المسلم أن يُحصي ما لديه من المال الذي تجبُ فيه الزكاة إحصاءً دقيقاً لئلا يبقى من ماله شيء لم تُخرَجْ زكاته، فيوجب ذلك محقُّه وتلفه.

ويجوزُ للإنسان أن يوكلَ مَنْ يُحصي ماله ويخرجُ زكاته نيابةً عنه، ويجبُ على المزكي أن يُخرَجَ الزكاة طيبة بها نفسه غير متمنٍّ بها، ولا مستكثر لها، ولا كاره لإخراجها، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]

وكراهية إخراج الزكاة من علامات النفاق قال تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] ويستحبُّ أن يدعوا عند إخراجها، فيقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مغنماً، ولا تجعلها مغرمًا»، ويقول آخذها: «آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً»..

فاتقوا الله - عباد الله - في أمور دينكم عامة وفي زكاة أموالكم خاصة.

عباد الله: وينبغي للإنسان الاستكثار من صدقة التطوع أيضاً في هذا الشهر الكريم، والموسم العظيم، لحديث أنس: سئل النبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ فقال: «صدقة في رمضان» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «مَنْ تصدَّقَ بعَدَلٍ تمرَةٍ من كسب طيب، ولا يصعدُ إلى الله إلا الطيب، فإن الله يقبلُها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها حتى تكونَ مثلَ الجبل العظيم» متفق عليه.

وعن أنس مرفوعاً: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وتَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ» والآيات والأحاديث في هذا كثيرة معروفة.

والصدقةُ في هذا الشهر فيها اقتداءٌ بالرسول ﷺ، فقد كان يتضاعفُ جوده فيه أكثر من غيره.

نسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لما يُحبّه ويرضاه، وأن يشملنا بعفوّه ومغفرته ورحمته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ [التوبة : ١٠٣ - ١٠٤]

بارك الله لي ولكم في القرآن

من الخطبة الثانية في أحكام الزكاة

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الآخرة والأولى. أغنى وأقنى، ووعد من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، أن ييسره اليسرى، وتوعد من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، أن ييسره للعسرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود. والحوض المورود والشفاعة العظمى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعلموا أن ما تخرجونه من الزكاة وغيرها من الصدقات بنية خالصة ومن كسب حلال أنه يكون قرضاً حسناً تقرضونه ربكم وتجدره مدخراً لكم ومضاعفاً أضعافاً كثيرة، فهو الرصيد الباقي والتوفير النافع والاستثمار المفيد، مع ما يخلف الله لكم في الدنيا من نمو أموالكم وحلول البركة فيها، فلا تستكثروا مبالغ الزكاة التي تدفعونها، فإن بعض الناس الذين يملكون الملايين الكثيرة قد يستكثرون زكاتها، ولا ينظرون إلى فضل الله عليهم حيث ملكهم هذه الملايين؛ وأنه قادر على أن يسلبها منهم ويحوّلهم إلى فقراء معوزين في أسرع لحظة، أو يأخذهم على غرة فيتركوها لغيرهم، فيكون عليهم مسؤوليتها

ولغيرهم منفعتها. ثم اعلّموا أن الله سبحانه عيّن مصارف للزكاة لا يجوز ولا يُجزىء دفعها في غيرها قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٠]

فمن كان يملك ما يكفيه ويكفي من يمونهم لمدة سنة، أو له إيراد من راتب أو غيره يكفيه فهو غني لا يجوز ولا يجزىء صرف الزكاة إليه . ولا يجوز له هو أن يأخذها . وكذا مَنْ كَانَ عنده القدرة على الكسب الذي يكفيه (وهناك فرص للكسب) فإنه لا يجوز ولا يجزىء دفع الزكاة إليه ولا يجوز له هو أخذها، فلا يجوز للمزكي أن يدفع زكاته إلا لِمَنْ يَغْلِبُ على الظن أنه من أهل الزكاة، فقد جاء في الحديث: أَنَّ الزكاة لا تَحِلُّ لغني ولا لقوي مكتسب . رواه أبو داود والنسائي .

وكذا لا يجوز صرف الزكاة في المشاريع الخيرية كبناء المساجد والمدارس وغيرها . وتُمَوَّلُ هذه المشاريع من بيت المال، أو من التبرعات، فالزكاة حق لله شرعه لهذه المصارف المعينة لا تجوز المحاباة بها لِمَنْ لا يستحقها، ولا أن يجلب بها لنفسه نفعاً دنيوياً، أو يدفع بها عنه ضرراً، ولا أن يقي بها ماله بأن يجعلها بدلاً من حق يجب عليه لأحد . ولا يجوز أن يدفع بالزكاة عنه مذمة، ولا يجوز دفعها إلى أصوله، ولا إلى فروعه، ولا إلى زوجته أو إلى أحد ممن تلزمه نفقته .

فاتقوا الله - عباد الله - وليكن إخراج الزكاة وصرفها وسائر عباداتكم على مقتضى كتاب الله وسنه رسول الله ﷺ، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على الاجتهاد في العشر الأواخر

الحمد لله رب العالمين، أمر بالمسارعة إلى الخيرات، واغتنام الأوقات قبل الفوات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أول سابق إلى الخيرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب والكرامات، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعتبروا بسرعة مرور الليالي والأيام ، واعلموا أنها تحسب من آجالكم ، وأنها خزائن لأعمالكم . فأودعوا فيها من الأعمال ما يسركم عند الحساب ، يوم يقال للمحسنين : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة : ٢٤]

ولا تودعوا فيها ما يسوؤكم ويحزنكم يوم يقول المفرط والمضيّع :

﴿يَلَيْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَیَاتِی﴾ [الفجر : ٢٤]

واعلموا - عباد الله - أنكم الآن تعيشون في أفضل الأيام من شهر رمضان ، فقد استوفيتُم العشرين الأول منه ، وها أنتم في العشر الأواخر ، فمن كان محسنًا من أول الشهر فليستمر على إحسانه ، وليضاعف من اجتهاده في هذه العشر المباركة ليزداد خيراً على خير ، وليغنم فضيلة هذه الأيام التي تمتاز على الأيام السابقة . ومن كان مفرطاً فيما مضى من الشهر فليستدرك بقيته ، وليتب إلى الله من تفریطه وغفلته ، لعل الله يغفر له ما سلف ويوفقه فيما بقي ، لأن الأعمال بالخواتيم .

عباد الله : إن هذا الشهر يختلف عن غيره من الشهور ، وإن كانت حياة المسلم كلها فرصة عظيمة ، ودرّة نفيسة لا تقدّر بقيمة ، لكن هذا الشهر خصّه الله

بفضائل، وشرع فيه أعمالاً لا توجد في غيره، فأوجب صيام نهاره، وجعله أحد أركان الإسلام، واختص الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال، فقال: «الصوم لي وأنا أجزي به» فخص سبحانه الصيام بميزتين عظيمتين: الأولى: إضافته إلى نفسه حيث قال سبحانه: «الصوم لي»، وهذه الإضافة تقتضي تشريف الصيام. والثانية: أنه سبحانه هو الذي يتولى جزاء الصائم، وذلك يقتضي عظم ثوابه وكثرته كثرة لا يعلم مقدارها إلا الله.

وشرع سبحانه في هذا الشهر القيام في ليليه بصلاة التراويح جماعة في المساجد، وأخبر ﷺ: «أن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة»، و«أن من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه.

وهكذا نرى أن أوقات هذا الشهر مشغولة بالعبادة، فنهاره صيام، وليله قيام، وذلك ليجتمع للمؤمن جهادان: جهاد لنفسه بالنهار على الصيام، وجهاد لها بالليل على القيام. والجهاد يحتاج إلى صبر؛ ولهذا سمي هذا الشهر شهر الصبر، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

فمن جمع بين هذين الجهادين وصبر عليهما وفي أجره غير حساب. أما الذي يترك صلاة التراويح تكاسلاً فقد عطل الليل مما خص به ولم يصبر على أحد الجهادين، وحرّم نفسه من هذا الأجر العظيم. فليتنبه لذلك أناس لا نراهم يصلّون التراويح طول الشهر أو في أكثر الليالي، وإن صلّوا في بعض الليالي لم يكملوا ويواصلوا في بقيتها حتى يستوفوا قيام رمضان.

وشرع سبحانه في هذا الشهر المبارك الإكثار من تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

فاختصاص إنزاله في هذا الشهر يقتضي اختصاصه بفضل التلاوة فيه، ولهذا كان النبي ﷺ يخص هذا الشهر بمزيد من تلاوة القرآن. ففي «الصحيحين»: أن جبريل عليه السلام كان يلقي النبي ﷺ كل ليلة من شهر رمضان

فِيْدِرَاسُهُ الْقُرْآنَ . فَجَبْرِيلُ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ ، وَمُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الرُّسُلِ يَتَدَارِسَانِ بَيْنَهُمَا أَفْضَلُ الْكُتُبِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الشُّهُورِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَةِ التَّلَاوَةِ فِيهِ عَلَى التَّلَاوَةِ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ ، وَإِنْ كَانَتِ التَّلَاوَةُ مُطْلُوبَةً فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ ، لَكِنْ أَجْرُهَا يَتَضَاعَفُ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ . كَمَا تَدُلُّ مَدَارِسُهُ جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى اسْتِحْبَابِ عَرْضِ الْإِنْسَانِ حِفْظَهُ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَنْ هُوَ أَحْفَظُ لَهُ مِنْهُ لِيَسْتَفِيدَ مِنْ إِتْقَانِهِ وَقِرَاءَتِهِ .

وَتَلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ تَشْمَلُ تَلَاوَتَهُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَصَلَاةِ التَّهَجُّدِ وَتَلَاوَتَهُ مِنْ غَيْرِ صَلَاةٍ ، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يُطِيلُونَ الْقِرَاءَةَ فِي صَلَاةِ التَّهَجُّدِ ، فَكَانَ الْقَارِءُ مِنْهُمْ يَقْرَأُ بِالْمِثْنِ فِي الرُّكْعَةِ ، حَتَّى كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ . وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا لِيَقْتَنِعَ الَّذِينَ يَنْفَرُونَ مِنْ إِتْمَامِ الصَّلَاةِ وَيَسْتَقِلُّونَهَا ، وَإِذَا كَانَ لِلْإِمَامِ أَنْ يُرَاعِيَ أَحْوَالَ الْمَأْمُومِينَ فَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ يَنْقُرُ الصَّلَاةَ وَيَهْذُلُ الْقِرَاءَةَ هَذَا يُخِلُّ بِهَا ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ التَّوَسُّطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ إِتْقَانِ الصَّلَاةِ وَعَدَمِ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْمَأْمُومِينَ ، مَعَ الْقِرَاءَةِ الْمُتَقَنَّةِ الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْمَأْمُومُ وَتَوْثُرُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَأَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ مُعْتَدَلَةً مُتَسَاوِيَةً مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ ، لِأَنَّ بَعْضَ أَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ يَسْرِعُ فِي الْقِرَاءَةِ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا خَتَمَهُ تَسَاهَلَ بِالْقِيَامِ فِي بَقِيَّةِ لَيَالِي الشَّهْرِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ لَيَالِيهِ ، وَالَّتِي هِيَ خَتَامُهُ ، وَبَعْضُهُمْ يَسَافِرُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي لِلْعُمْرَةِ وَيَتْرُكُ مَسْجِدَهُ ، مَعَ أَنَّ بَقَاءَهُ فِي مَسْجِدِهِ وَإِتْقَانَهُ لصلَاتِهِ فِي كُلِّ لَيَالِي الشَّهْرِ أَفْضَلُ لَهُ مِنَ الْعُمْرَةِ ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّرَاوِيحِ وَالتَّهَجُّدِ فِي رَمَضَانَ هُوَ خَتَمُ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةُ الدُّعَاءِ الْمُعَدَّةِ لِلْخَتَمِ ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ شُغْلُ لَيَالِي هَذَا الشَّهْرِ كُلِّهَا بِالْقِيَامِ ، وَالْخَتْمَةُ تَابِعَةٌ وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةً . فَلَوْ لَمْ يَخْتِمِ الْقُرْآنَ مَعَ إِتْقَانِهِ لِلصَّلَاةِ فِي جَمِيعِ اللَّيَالِي مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ فَأَجْرُهُ تَامٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ خَتَمَ الْقُرْآنَ مَعَ الْإِخْلَالِ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ أَوْ مَعَ تَرْكِ بَقِيَّةِ اللَّيَالِي فَأَجْرُهُ نَاقِصٌ بِحَسَبِ نَقْصِ الْعَمَلِ .

وَمِمَّا شَرَعَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ زِيَادَةُ الْجَهْدِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَةِ مِنْهُ .

لأنها ليالي الإعتاق من النار لمن استحقوا دخول النار إذا تابوا من ذنوبهم واجتهدوا في هذه الليالي بنية صالحة.

ولأنها الليالي التي كان اجتهد النبي ﷺ يتزايد فيها، فكان يُحييها بالتهجد والقيام، وكان يعتكف في المسجد للتفرغ للعبادة في هذه الليالي والأيام. ففي الاجتهاد فيها اقتداء بالنبي ﷺ، وعمل بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١]

ولأنها الليالي التي تُرجى فيها ليلة القدر التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر : ٣]

أي : العمل في هذه الليلة خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وقال ﷺ : «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وقيامها إنما يحصل يقيناً بالقيام في كل ليالي الشهر، ولا سيما ليالي العشر الأواخر، فهي أرجى لتحريها وأكد لموافقتها. فهي لم تحدّد في ليلة معينة من الشهر، لأن الله سبحانه أخفاها لأجل أن يكثر اجتهد العباد في تحريها ويقوموا ليالي الشهر كلها لطلبها، فتحصل لهم كثرة العمل وكثرة الأجر، وليتميّز المُجِدُّ من الكسلان.

فاجتهدوا - رحمكم الله - في هذه العشر التي هي ختام الشهر وأيام الإعتاق من النار، كما في الحديث «إنه شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار».

فالمسلم الذي وفقه الله للعمل في هذا الشهر ومُرّت عليه مواسم الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وقام ليلة القدر إيماناً واحتساباً حريّاً أن يفوز بكلّ خيرات هذا الشهر ونفحاته، فينال الدرجات العالية، بما أسلفه في الأيام الخالية. ولقد كان النبي ﷺ يخصّ العشر الأواخر من رمضان بأعمالٍ يعملها فيها: منها إحياء لياليها بالتهجد والقيام، ومنها أنه كان يوقظ أهله للصلاة وكلّ صغير وكبير

يُطِيقُ الصلاة. وهذا شيءٌ أهملهُ اليوم كثير من الناس مع أهلهم وأولادهم، فيتركونهم يسهرون على اللعب واللهو يسرحون في الشوارع أو يجلسون في البيوت يشاهدون الأفلام والمسلسلات، ويستمعون الأغاني والمزامير طيلة ليالي رمضان، فلا يستفيدون منه إلا الآثام، وإذا جاء النهار ناموا حتى عن أداء فرائض الصلوات، لأنهم تربوا على عدم احترام رمضان، وهذا نتيجة إهمال أوليائهم، فبُست التربية وبُست الولاية، وسيسألهم الله يوم القيامة عن إهمال رعيته، وإضاعة مسؤوليتهم. قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ومن الأعمال التي كان ﷺ يختص بها العشر الأواخر: الاعتكاف، وهو لزوم المسجد للعبادة وعدم الخروج منه إلا لحاجة ضرورية، ثم يرجع إليه. كان ﷺ يعتكف في هذه العشر قطعاً لأشغاله، وتفرغاً لباله، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه. فاجتهدوا - رحمكم الله - في هذه العشر التي هي ختام الشهر، والتي هي أرحى ما يكون لموافقة ليلة القدر، وأكثروا من الجلوس في المساجد للذكر وتلاوة القرآن إذا لم تتمكنوا من الاعتكاف

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَغِظِّ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾

[آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على اغتنام بقية الشهر

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بإدراك شهر رمضان، ووفق مَنْ شاء فيه لنيل المغفرة والرضوان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبته وإلهيته وأسمائه الحسان، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله. كَانَ كُلُّ دهرِهِ رَمَضانَ. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً... أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى . عبادَ الله : كَانَ السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ، ثم بعد ذلك يهتمون بقبوله ويخافون من رده ، كما قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا لِقُلُوبِهِمْ وَجِلَةً أَتَتْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٦٠] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧]

وبعض الناس اليوم على عكس هذا ، فمنهم مَنْ لا يُتَمُّ العمل ، فقد رأينا مَنْ ينشطون في أول الشهر ، ويفترون في آخره ، حتَّى ربَّما يكسلُّون عن صلاة الجماعة ، وهؤلاء لا يستفيدون من رمضان ، ولا يتغيَّر حالُّهم عمَّا كانوا عليه قبله من الإساءة والعصيان ، والذي تفوَّته المغفرة في رمضان يكون محروماً غاية الحرمان . فقد صعد النبي ﷺ المنبر فقال : «آمين . آمين . آمين» . فقيل له ؟ فقال : «إن جبريل أتاني ، فقال : «مَنْ أدركَ شهرَ رمضان فلم يغفرْ له فماتَ فدخل النار فأبعده الله . قل : آمين . فقلت آمين» .

ومنهم مَنْ يسهر الليل على لغو الكلام أو جمع الحطام ، وينام النهار عن أداء الصلوات في أوقاتها مع الجماعات ، مع الأمن من عقاب الله .

فأكثرُوا - عبادَ الله - من التوبة والاستغفار في هذه الأيام ، لتختتموا بذلك شهركم وتستدركوا به تقصيركم ، فإنَّ الاستغفار ختامُ الأعمال الصالحة كلها ، فتُختَم به الصلاة والحجُّ وشهر رمضان وقيامُ الليل ، وتُختَم به المجالس ، والله قد

أمر بالاستغفار، ووعد المستغفرين بالمغفرة وإذا كان استغفارهم صادقاً، ولم يكن استغفاراً باللسان فقط. فاتقوا الله - عباد الله - ولا تأمنوا العقوبة، ولا تقنطوا من الرحمة، واعتصموا بكتاب ربكم وسنة نبيكم. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ما يُشرع في ختام الشهر

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، جعل لكل موجود في هذه الدنيا زوالاً، ولكل مقيم انتقالاً، ليعتبر بذلك أهل الإيمان، فيبادروا بالأعمال، ماداموا في زمن الإمهال، ولا يغتروا بطول الآمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «بادروا بالأعمال». صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، وسلّم تسليماً كثيراً. . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، وتفكروا في سرعة مرور الليالي والأيام، واعلموا أنها تنقُصُ بمرورها أعماركم، وتطوئ بها صحائف أعمالكم، فبادروا بالتوبة والأعمال الصالحة قبل انقضاء الفرصة السانحة.

عباد الله : كتمم بالأمس القريب تستقبلون شهر رمضان المبارك، واليوم تودعونه مرتحلاً عنكم بما أودعتموه، شاهداً عليكم بما عملتموه، فهنيئاً لمن كان شاهداً له عند الله بالخير، شافعاً له بدخول الجنة والعق من النار، وويل لمن كان شاهداً عليه بسوء صنيعه. شاكياً إلى ربه من تفريطه فيه وتضييعه، فودّعوا شهر الصيام والقيام بخير ختام، فإن الأعمال بالخواتيم. فمن كان محسناً في شهره

فعليه بالإتمام، ومن كان مسيئاً فعليه بالتوبة والعمل الصالح فيما بقي له من الأيام،
 فربما لا يعودُ عليه رمضانُ بعدَ هذا العام، فاختتموه بخير، واستمروا على مواصلة
 الأعمال الصالحة التي كنتم تؤدونها فيه في بقية الشهور، فإنَّ ربَّ الشهور واحد،
 وهو مطلعٌ عليكم وشاهد. وقد أمركم بفعل الطاعات في جميع الأوقات، ومن كان
 يعبدُ شهرَ رمضان فإنَّ شهرَ رمضان قد انقضى وفات، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ
 لا يموتُ فليستمرَّ على عبادته في جميع أيام الحياة. فإنَّ بعضَ الناس يتعبدون في
 شهر رمضان خاصةً، فيحافظون فيه على الصلوات في المساجد، ويكثرُون من
 تلاوة القرآن، ويتصدَّقون من أموالهم، فإذا انتهى رمضان تكاسلوا عن الطاعة،
 وربما تركوا الجمعة والجماعة، فهذموا ما بنوه، ونقضوا ما أبرموه، وكأنَّهم يظنون
 أنَّ اجتهداهم في رمضان يكفِّر عنهم ما يجري منهم في السَّنة من القبائح
 والموبقات، وترك الواجبات، وفعل المحرمات، ولم يعلموا أنَّ تكفيرَ رمضان
 وغيره للسيئات مقيَّدٌ باجتناب الكبائر الموبقات. قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ
 مَا أَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء : ٣١]

وقال النبي ﷺ : «الصلوات الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى
 رمضان كفارةٌ لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر».

وأى كبيرةٍ بعدَ الشرك أعظمُ من إضاعة الصلاة؟ وقد صارت إضاعتها عادةً
 مألوفة عند بعض الناس.

إنَّ اجتهدا هؤلاء في رمضان لا ينفعُهم شيئاً عند الله إذا هم أتبعوه بالمعاصي
 من ترك الواجبات وفعل المحرمات.

وقد سُئل بعضُ السلف عن قومٍ يجتهدون في شهر رمضان، فإذا انقضى
 ضيَّعوا وأسأوا، فقال: بشَّ القومُ لا يعرفون الله إلا في رمضان. نعم، لأنَّ مَنْ
 عَرَفَ الله خافه في كُلِّ الزمان.

وبعضُ الناس قد يصومُ رمضان ويصلي فيه ويظهرُ الخيرَ ويترك المعاصي لا

إيماناً واحتساباً، وإنما يفعل ذلك من باب المجاملة والمجاراة للمجتمع، لأنه يعتبر هذا من التقاليد الاجتماعية، وهذا هو النفاق الأكبر، فإن المنافقين كانوا يراؤون الناس فيما يتظاهرون به من العبادة.

وهذا يعتبر شهر رمضان سجنًا زمنيًا ينتظر انقضاءه لينقُص على المعاصي والمحرمات، يفرح بانقضاء رمضان لأجل الإفراج عنه من سجنه.

رَوَى ابنُ خزيمة في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أَظْلَكُكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا مَرَّ بِالْمَنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرُّ لَهُمْ مِنْهُ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِنَّ اللَّهَ لِيَكْتُبَ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ، وَيَكْتُبُ وَزْرَهُ وَشِقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعَدُّ فِيهِ الْقُوَّةُ وَالنَّفَقَةُ لِلْعِبَادَةِ. وَيُعَدُّ فِيهِ الْمَنَافِقُ اتِّبَاعَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ. فَغَنَمٌ يَغْنَمُهُ الْمُؤْمِنُ» الحديث.

والمؤمن يفرح بانتهاء الشهر لأنه استكمل في العبادة والطاعة، فهو يرجو أجره وفضائله، والمنافق يفرح بانتهاء الشهر لينطلق إلى المعاصي والشهوات التي كان مسجوناً عنها في رمضان، ولذلك فإن المؤمن يتبع شهر رمضان بالاستغفار والتكبير والعبادة. والمنافق يتبعه بالمعاصي واللهو وحفلات الغناء والمعازف والطبول فرحاً بفراقه...

عباد الله : لقد شرع الله لكم في ختام هذا الشهر التكبير في ليلة العيد، قال تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

وشرع لكم صدقة الفطر فهي واجبة على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، ويستحب إخراجها عن الحمل في البطن، وهي من غالب قوت البلد - تمرًا أو برًا أو شعيرًا أو زبيبًا أو أقطًا ومقدارها صاع عن كل شخص - أي : ما يعادل ثلاثة كيلوات تقريباً. ويُجزى عن هذه الخمسة كل حب يقات في البلد :

كالأرز والذرة والدُّخْن، ولا يجوزُ فيها إخراجُ الدراهم ولا تجزىءُ، لأنَّ ذلك خلافُ السنة، فالنبي ﷺ أمرُ بإخراجِ الطعامِ وقدره بالصاع، فلا بُدَّ من التقيدِ بأمره ﷺ.

قال الإمام أحمد : لا يعطي القيمة، قيل له : قومٌ يقولون : عمرُ بن عبد العزيز كان يأخذُ بالقيمة، قال : يدعون قولَ رسولِ الله ﷺ، ويقولون : قال فلانٌ، فما دامَ في المسألة قولٌ للرسول فلا قولٌ لأحدٍ.

ويُخرجُ الإنسانُ صدقةَ الفطر عن نفسه وعن من يقومُ بنفقته، ومحلُّ إخراجها هو البلد الذي وافاه تمامُ الشهر وهو فيه، ومن كان في بلد وعائلته في بلدٍ آخر فإنه يُخرجُ فطرتهم مع فطرته في البلد الذي هو فيه، وإن عمدهم يخرجون عنه وعنهم في بلدهم جاز، وإن أخرجَ عن نفسه في بلده وأخرجوا عن أنفسهم في بلدهم جاز.

والذين يُعطونَ صدقةَ الفطر هم فقراءُ البلد الذين تحلُّ لهم زكاةُ المال، سواء كانوا من أهلِ البلد أو من الفقراء القادمين عليه من بلدٍ آخر.

ولا يجوزُ نقل صدقة الفطر إلى بلدٍ آخر بأن يرسلها إلى فقراءِ بلدٍ غير بلده، إلا إذا لم يوجد في بلده فقراء من المسلمين، فإنه يرسلها إلى فقراءِ أقرب بلد إليه، لأنَّ النبي ﷺ أمرَ بإخراجها إلى فقراءِ البلد الذي يفطرُ فيه الصائم ليلة العيد.

وقد نصَّ على ذلك فقهاء المذاهب الأربعة : فقد نصوا - رحمهم الله - على أنَّ على المسلم توزيعها في البلد الذي وجبت عليه فيه، فعلى هذا لا يجوزُ إرسالها إلى فقراء الجهات الأخرى خارج المملكة، ومن أراد أن يساعد فقراء البلدان الأخرى فليساعدهم بغير صدقة الفطر، لأنَّ صدقةَ الفطر عبادةٌ مقيدةٌ بمكان وزمان، لا يجوزُ إخراجها عنهما. وقد ذكر لنا أنَّ قوماً يطلبون من الناس تقديم دراهم ليرسلوها إلى بلد آخر ليشتري بها طعاماً من هناك، ويوزعُ على الفقراء فيه. وهذا لا يجزىءُ عن صدقةِ الفطر لأن وقتَ إخراجها ليلة العيد، بعد

ثبوت الهلال إلى الخروج لصلاة العيد في البلد الذي وافاه تمام الشهر وهو فيه .
والعبادات توقيفية لا يجوز التصرف فيها حسب الأهواء والآراء . ومن فاته إخراجها
قبل صلاة العيد فإنه يُخرجها في بقية يوم العيد، ومن فاته إخراجها في يوم العيد
فإنه يخرجها بعده قضاءً، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ولا بُدَّ أن تُدفعَ
في وقت الإخراج إلى المستحق أو إلى وكيله، ولا يكفي أن يجعلها أمانةً عند
شخص ليس وكيلًا للمستحق .

ويجوز للفقير أن يُخرجَ فطرته مما أُعطي من الصدقات، ويجوز دفعُ صدقة
الجماعة إلى فقير واحد، ويجوز دفعُ صدقة الشخص الواحد الى جماعةٍ من
الفقراء .

والحكمة في صدقة الفطر أنها طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمةٌ
للمساكين وشكرٌ لله تعالى على إكمال الصيام، فأدوها - رحمكم الله - على الوجه
المشروع طيبةً بها نفوسكم من أوسط ما تطعمون أهليكم .

﴿أَوْ لَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغَمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَكِيمٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٧ - ٢٦٨]

ومن الحكمة في مشروعية صدقة الفطر إغناء الفقراء عن السؤال في يوم
العيد ليفرحوا مع المسلمين، ويتوسّعوا بها، ولذلك حُدِّت بما يكفي الفقير في
هذا اليوم وهو الصاع، ومن الحكمة في تحديدها بالصاع أيضاً تيسيرها على
المتصدق حتى لا تثقله، لأنه قد لا يكون عنده سعة من المال، وهي واجبةٌ على
عموم المسلمين لا على الأغنياء فقط .

ولعل من الحكمة في جعلها طعاماً لا نقوداً أن يكون هذا أيسرَ للمحتاج،
لأنه قد لا يجد في يوم العيد من بيع الطعام، ولأن في جعلها طعاماً إظهاراً لها بين
الناس، لأنها من الشعائر الظاهرة، ولو جعلت نقوداً لكانت صدقة خفية إلى غير
ذلك من الحكم .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْتَنُوا بِإِخْرَاجِهَا . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .

من الخطبة الثانية في بيان ما يشرع في ختام الشهر

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بإكمال شهر الصيام ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ فِيهِ لَاجْتِنَامِ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعِظَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ ، وَعَبَدَ رَبَّهُ وَاسْتَقَامَ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى في سائر الليالي والأيام ، فإنه رقيبٌ لا يغيب ، قيوماً لا ينام .

عباد الله : ومما شَرَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي خَتَامِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ آدَاءُ صَلَاةِ الْعِيدِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى آدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّيَامِ ، كَمَا شَرَعَ اللَّهُ صَلَاةَ عِيدِ الْأَضْحَى شُكْرًا لَهُ عَلَى آدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، فَهُمَا عِيدِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَكَانَ لِأَهْلِهَا يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، قَالَ ﷺ : « قَدْ أَبْدَلَكُمْ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ النَّحْرِ وَيَوْمَ الْفِطْرِ » . فَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ بِإِحْدَاثِ أَعْيَادٍ أُخْرَى كَأَعْيَادِ الْمَوْلِدِ ، وَالْأَعْيَادِ الْوَطْنِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ ، لِأَنَّهَا أَعْيَادُ جَاهِلِيَّةٍ ، سَوَاءٌ سَمِيَتْ أَعْيَادًا ، أَوْ ذِكْرِيَّاتٍ ؛ أَوْ أَيَّامًا ، أَوْ أَسَابِيْعَ ، أَوْ أَعْوَامًا كَالْيَوْمِ الْوَطْنِيِّ ، وَعَامِ الْطِفْلِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وسُميَ الْعِيدُ فِي الْإِسْلَامِ عِيدًا لِأَنَّهُ يَعُودُ وَيَتَكَرَّرُ كُلَّ عَامٍ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِمَا يَسُرُّ اللَّهَ قَبْلَهُ مِنْ عِبَادَةِ الصَّيَامِ وَالْحَجِّ اللَّذَيْنِ هُمَا رُكْنَانِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ .

ولأنَّ الله سبحانه يعوِّدُ فيهما على عباده بالإحسان والعتق من النيران، وقد أمر النبي ﷺ بالخروج العامَّ لصلاة العيد حتى النساء، فَيُسَنُّ للنساء حضورهنَّ غيرَ متطيباتٍ ولا لابساتٍ لثياب زينة وشهرة، ولا يختلطنَ بالرجال، والحائضُ تخرجُ لحضور دعوة المسلمين وتعتزلُ المصلَّى، قالت أمُّ عطية رضي الله عنها: كُنَّا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكرُ من جذرها، وحتى تخرج الحِيضُ فيكنَّ خلفَ النساء، فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون ذلك اليوم وطهرته.

والخروجُ لصلاة العيد إظهارٌ لشعار الإسلام وَعَلَمٌ من أعلامه الظاهرة، فاحرصوا على حضورها - رحمكم الله - فإنَّها من مُكَمَّلَاتِ أحكام هذا الشهر المبارك، واحرصوا على الخشوعِ وَغَضِّ البصر وعدمِ إسبال الثياب، وعلى حفظِ اللسان من اللغو والرفث وقول الزور، وحفظِ السمع من استماعِ القيل والقال والأغاني والمعازف والمزامير، ولا تحضروا حفلاتِ السَّمرِ واللهو واللعب التي يُقيِّمها بعض الجُهَّال، فإنَّ الطاعة تُتَّبَعُ بالطاعة لا بضدِّها. ولهذا شرَعَ النبي ﷺ لأُمَّتِهِ إِتِّبَاعَ صوم شهر رمضان بصومِ ستَّةِ أيامٍ من شوال، فقد رَوَى الإمام مسلمٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَأَتْبَعَهُ بَسْتُ من شوال، فكأنَّما صَامَ الدهر» يعني: في الأجر والثواب والمضاعفة، لأنَّ الحسنةَ بعشر أمثالها، فرمضانُ عن عشرة أشهر. وستة الأيام من شَوَّال عن شهرين. وهذه أشهرُ السنة كأنَّما صامَها المسلمُ كُلُّها إذا صَامَ رمضان، وأتبعه ستًّا من شَوَّال. فاحرصوا - رحمكم الله - على صيامِ هذه الأيام الستة لتحظُّوا بهذا الثواب العظيم..

وأعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله.. الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان

الحمد لله مقدّر المقدور - ومصرّف الأيام والشهور. أحمده على جزيل نِعَمِهِ، وهو الغفورُ الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم البعث والنشور. أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وتَفَكَّرُوا في سرعة مرور الأيام والليال، وتذكروا بذلك قرب انتقالكم من هذه الدنيا، فتزودوا بصالح الأعمال، حلّ بكم شهر رمضان المبارك بخيراته وبركاته، وعشتم جميع أوقاته، ثم انتهى وارتحل سريعاً شاهداً عند ربّه لِمَنْ عَرَفَ قدره واستفادَ من خيرِهِ بالطاعة، وشاهداً على مَنْ تجاهل فضله، وأساء فيه بالإضاعة.

فليحاسب كلُّ منّا نفسه ماذا قدّم في هذا الشهر، فمن قدّم فيه خيراً فليحمد الله على ذلك، وليسأله القبول والاستمرار على الطاعة في مستقبل حياته، ومن كان مُفَرِّطاً فيه فليتب إلى الله، وليبدأ حياة جديدة يستغلّها بالطاعة. بدل الحياة التي أضاعها في الغفلة والإساءة، لعلّ الله يُكفّر عنه ما مضى ويوفّقه فيما بقي من عمره، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود : ١١٤]

وقال النبي ﷺ : «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠]

عباد الله : إِنَّ شهرَ رمضانَ كما وصفه رسولُ الله ﷺ : «شهرٌ أولُهُ رحمةٌ، وأوسطُهُ مغفرةٌ، وآخرُهُ عتقٌ من النار». وذلك لأنَّ الناسَ مع هذا الشهر لهم حالاتٌ مختلفة، فمنهم مَنْ وافاه هذا الشهر وهو مستقيمٌ على الطاعة، محافظٌ على صلاةِ الجمع والجماعة، مبتعدٌ عن المعاصي، ثم اجتهدَ في هذا الشهر بفعلِ الطاعات، فكان زيادةً خير له. فهذا تناله رحمةُ الله لأنه محسنٌ في عمله. وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦]

ومنهم مَنْ وافاه هذا الشهر، فصامَ نهاره، وقام ما تيسَّر من ليله، وهو قبل ذلك محافظٌ على أداءِ الفرائض وكثيرٍ من الطاعات، لكن عنده ذنوبٌ دون الكبائر. فهذا تناله مغفرةُ الله. قال تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء : ٣١]

وقال النبي ﷺ : «الصلواتُ الخمسُ والجمعة إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضانَ كفارةٌ لما بينهنَّ إذا اجتنبتِ الكبائر».

ومنهم مَنْ وافاه شهرُ رمضانَ وعنده ذنوبٌ كبائر، لكنها دون الشرك، وقد استوجبَ بها دخولَ النار، ثم تابَ منها، وصامَ هذا الشهر، وقامَ ما تيسر منه، فهذا يناله الإعتاقُ من النار بعد ما استوجبَ دخولَها.

ومنهم مَنْ وافاه الشهر وهو مقيمٌ على المعاصي من فعلِ المحرمات، وتركِ الواجبات، وإضاعةِ الصلاة، فلم يتغيَّر حالُه، ولم يتبَّ إلى الله من سيئاته. أو تابَ منها توبةً مؤقتةً في رمضان، ولمَّا انتهى عادَ إليها، فهذا هو الخاسرُ الذي خسرَ حياته. وضَيَّعَ أوقاته، ولم يستفدْ من هذا الشهر إلا الذنوبَ والآثامَ، وقد قال جبريلُ للنبي عليهما الصلاة والسلام : «ومنْ أدركه شهرُ رمضانَ، فلم يُغفر له فأبعده الله قل : آمين، فقال النبي ﷺ : آمين» والمحرومُ مَنْ حرمةُ الله، والشقيُّ من أبعده الله.

عباد الله : إِنَّ عبادةَ الله واجبةٌ في كل وقت وليس لها نهايةٌ إلا بالموت.

قال تعالى : ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٩] وقال تعالى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]
وقال النبي ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث .
والموت قريب .

ولله عبادات تؤدى في مواقيتها المحددة يومياً وأسبوعياً وسنوياً وهذه العبادات
منها ما هو أركان للإسلام ، ومنها ما هو مكمل له . فالصلوات الخمس تؤدى في كل
يوم وليلة ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي عمود
الإسلام ، والجمعة تؤدى كل أسبوع ، وهي من أعظم شعائر الإسلام . يجتمع لها
المسلمون في مكان واحد اهتماماً بها . والزكاة قرينة الصلاة ، وهي في غير
المعشرات تؤدى كل سنة ، وأما المعشرات فتؤدى زكاتها عند الحصول عليها .
وصيام شهر رمضان يجب في كل سنة . وحج بيت الله الحرام يجب على المسلم
المستطيع في العمر مرة . وكذا العمرة ، وما زاد على المرة من الحج والعمرة فهو
تطوع .

وإلى جانب هذه العبادات الواجبة عبادات مستحبة ، مثل : نوافل
الصلوات ، ونوافل الصدقات ، ونوافل الصيام ، ونوافل الحج والعمرة . وهذا مما
يدل على أن حياة المسلم كلها عبادة إما واجبة وإما مستحبة .

فالذي يظن أن العبادة مطلوبة منه في شهر رمضان وبعده يُعفى من العبادة
فقد ظن سوءاً وجهل حق الله عليه ، ولم يعرف دينه ، بل لم يعرف الله حق معرفته .
ولم يقدره حق قدره . حيث لم يطعه إلا في رمضان ، ولم يخف منه إلا في رمضان ،
ولم يرج ثوابه إلا في رمضان . إن هذا الإنسان مقطوع الصلة بالله ، مع أنه لا غنى له
عنه طرفة عين . والعمل مهما كان ؛ إذا كان مقصوراً على شهر رمضان فهو عمل
مردود على صاحبه مهما أتعب نفسه فيه ، لأنه عمل مبتور لا أصل له ولا فرع ، وإنما
ينتفع بـرمضان أهل الإيمان الذين هم على الاستقامة في كل الزمان ، يعلمون أن

رَبُّ الشُّهُورِ وَاحِدٌ، وَهُوَ فِي كُلِّ الشُّهُورِ مُطَّلَعٌ عَلَى أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَشَاهِدٌ.

وَلَقَدْ بَلَغَ الْجَهْلُ بَعْضَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ كَفَّتْهُ عَنِ الْعِبَادَةِ فِي بَقِيَةِ الْأُسْبُوعِ، فَيُضَيِّعُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ. وَبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ وَالتَّعَبُّدَ فِيهِ يَكْفِيهِ عَنِ التَّعَبُّدِ فِي بَقِيَةِ السَّنَةِ، فَيَتْرِكُ الصَّلَوَاتِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، وَيُصَلِّي فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ. وَبَعْضُ الْآخَرِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا حَجَّ مَرَّةً فِي عَمْرِهِ كَفَّرَ الْحَجُّ عَنْهُ مَا مَضَى وَكَفَّاهُ عَنِ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَرَبَّمَا يَسْتَدِلُّ خَطَأً عَلَى ذَلِكَ بِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، وَلَوْ اسْتَكْمَلَ الْحَدِيثَ وَتَأَمَّلَهُ لَوَجَدَ أَنَّ التَّكْفِيرَ الْمَذْكُورَ فِيهِ مُشْرُوطٌ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

[النساء : ٣١]

وَلَيْسَ بَعْدَ الشَّرْكِ أَكْبَرُ مِنْ إِضَاعَةِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ ضَيَّعُوهَا وَضَيَّعُوا غَيْرَهَا مِنْ أَوَامِرِ الدِّينِ، وَلَا يُكْفِّرُ ذَلِكَ عَنْهُمْ إِلَّا التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم : ٥٩]

فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَيَشْتَرِطُ لَصَحَّةِ التَّوْبَةِ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ :

أَحَدُهَا : تَرْكَ الذُّنُوبِ تَرْكًا نَهَائِيًّا. أَمَّا مَنْ تَابَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الذُّنُوبِ فَتَوْبَتُهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَلَا مَقْبُولَةٍ.

الثَّانِي : أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ وَيَخْجَلْ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي فَإِنْ تَوْبَتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ.

الثَّالِثُ : وَهَذَا مُهِمٌّ جَدًّا. أَنْ يَعَزِمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى الْمَعَاصِي طَوْلَ حَيَاتِهِ إِلَى الْمَمَاتِ.

أَمَّا مَنْ تَابَ مِنَ الْمَعَاصِي فِي وَقْتٍ مُحَدَّدٍ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَعُودَ

إليها في وقت آخر، كبعد رمضان فتوبته غير مقبولة. وشهر رمضان خير عون لمن يريد أن يتوب توبةً صحيحة، لأنه يستطيع فيه السيطرة على نفسه وهواه، ويستطيع فيه ترك مآلوفاته وشهواته. ويستطيع فيه فعل الطاعات بسهولة، فهو سهل فعل الطاعات، وينبه ذوي الغفلات. والموفق في هذا الشهر من استفاد من مروره عليه، فتعود فعل الطاعات، والابتعاد عن المعاصي والمحرمات، وصار منطلقاً له في المستقبل في الاستمرار على ما اعتاده فيه من فعل الخير. والمخدول من يعتبر شهر رمضان سجنًا ثقیلاً يستطيل أيامه، وينتظر نهايته لينطلق إلى العصيان، وطاعة النفس والشيطان. فاتقوا الله - عباد الله - وأتبعوا شهر رمضان بالاستمرار على الطاعات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَاطِبُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]

من الخطبة الثانية

فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان

الحمد لله الذي من علينا بنعمة الإسلام، ولا يزال يوالي على عباده مواسم الفضل والإنعام، فبعد أن انتهى شهر رمضان أعقبه بأشهر الحج إلى بيته الحرام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام... أما بعد:

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، وتابعوا فعل الخيرات بعد رمضان، فإن من علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، وما شهر رمضان إلا منشط على الخير ومبدأ للتوبة والعمل الصالح، ونهاية العمل تكون بالموت لا بخروج رمضان، وإن من علامة قبول التوبة والأعمال في رمضان أن يكون الإنسان بعد رمضان

أحسنَ حالاً في الطاعةِ عمّا قبل رمضان، ومن علامة الردّ والخذلان أن يكون الإنسان بعد رمضان أسوأ حالاً مما قبله .

فَتَنبَهُوا لَأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، وانظروا حالكم بعد رمضان ، واعلموا أنَّ بابَ التوبة مفتوحٌ دائماً في رمضان . وفي كل زمان ، فمن فاتته التوبة في رمضان فلا يقنطُ من رحمةِ الله ، بل يبادرُ بالتوبة في أي وقت كان ، فإن الله يتوبُ على من تاب . ويغفرُ الذنوبَ لمن رَجَعَ إليه وأتاب . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ - ٥٥]

حافظوا على ما كسبتم في رمضان من الحسنات . ولا تُفسدوه بالرجوع الى المعاصي والسيئات . فتهدموا ما بنيتُمْ . وتُبطلوا ما قدَّمتم ، فإن السيئات إذا كثرت أهلكت الإنسان . ورجحت بحسناته في الميزان ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٩]

واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله . . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهر الحج وفضائلها

الحمد لله على ما خَصَّنَا به من الفضل والإكرام، فما زال يُوالي علينا مواسم الخير والإنعام، ما انتهى شهرُ رمضان حتى أعقبه بأشهر الحج إلى بيته الحرام. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وأسمائه الحسنی وصفاته العظام، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله. أفضلُ مَنْ صَلَّى وصام ووقَّفَ بالمشاعر، وطاف بالبيت الحرام. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. وسلِّم تسليماً كثيراً... أما بعدُ:

أيها الناسُ : اتقوا الله تعالى واشكروه على ما شرَّعَ لكم من الشرائع العظيمة، وما خَصَّكُمْ به من المواسم الكريمة، التي تتوالى عليكم كلَّ يوم، وكلَّ أسبوع، وكلَّ عام، وهي شرائعُ تحملُ لكم كلَّ خيرٍ، وتُبَعِّدُ عنكم كلَّ شرٍّ. فالصلاةُ تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وهو خُشُوعٌ لله، وخُضُوعٌ بين يديه، واتصالٌ به، وإقبالٌ عليه، وهي أكبرُ عونٍ للمؤمنين على القيام بأعباء الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣]

والزكاةُ إحسانٌ ومواساةٌ للفقراء والمعسرين، وترغيبٌ للمؤلفة قلوبهم في الدين. وإعانةٌ في فكائِ الرقاب والغارمين، وطهارةٌ وتركيةٌ للنفوس والأموال، فهي مَغْنَمٌ لا مغرم. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة : ١٠٣]

وهي تنميةٌ للمال. وسببٌ لإنزالِ البركة فيه ودفعِ الآفات عنه. قال ﷺ: «ما نقصت صدقةٌ من مال».

فالمؤمنُ يعتبر الزكاة مغنماً، لأنه واثقٌ بوعده الله، والمنافقُ يعتبرها مغرمًا، لأنه لا يؤمنُ بالله ولا يثقُ بوعده..

وأما الصيامُ فإنه تركٌ للشهوات والمألوفات ومحبوباتِ النفس طاعةً لله عز وجل، وهو مع ذلك تربيةٌ على الأخلاق الفاضلة وتركٌ للأخلاق الرذيلة، قال ﷺ: (إذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم) رواه البخاري.

والحجُّ جهادٌ في سبيل الله، ينفق فيه المال، ويُتعبُ فيه البدن، وتترك من أجله الأولاد والبلاد إجابةً لداعي الله وتلبيةً لندائه على لسانِ خليله، إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال الله له: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَاَوْعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِشَهَادُوا مَنْفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَارَاقِهِمْ مِنْ بَيْمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٩]

عباد الله: ونحن الآن في أشهر الحج التي جعلها الله ميقاتاً للإحرام به والتلبس بنسكه، قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْ تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَرَوْهُنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُوا إِلَى الْأَلْبَبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

يخبرُ تعالى أنَّ الحجَّ يَقَعُ في أشهرٍ معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة، وقال تعالى: (معلومات) لأنَّ الناسَ يعرفونها من عهدِ إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فالحجُّ وقتهُ معروفٌ لا يحتاج إلى بيان كما احتاج الصيام والصلاة إلى بيان مواقيتهما.

وقوله تعالى : (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ) معناه : مَنْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ سِوَاهُ فِي أَوَّلِهَا أَوْ فِي وَسْطِهَا أَوْ فِي آخِرِهَا ، فَإِنَّ الْحَجَّ الَّذِي يَحْرُمُ بِهِ يَصِيرُ فَرَضاً عَلَيْهِ ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ بِفِعْلِ مَنْاسِكَهَ وَلَوْ كَانَ نَفْلاً ، فَإِنَّ الْإِحْرَامَ بِهِ يَصِيرُهُ فَرَضاً عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ لَهُ رَفْضُهُ .

وفي قوله تعالى : (فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) : بَيَانٌ لِأَدَابِ الْمَحْرَمِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَهُ حَالُ الْإِحْرَامِ ، أَيُ : يَجِبُ أَنْ تَعْظُمُوا الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ وَتَصُونُوهُ عَنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهُ أَوْ يَنْقُصُهُ مِنَ (الرَفْثِ) : وَهُوَ الْجَمَاعُ وَمَقْدَمَاتُهُ الْفَعْلِيَّةُ وَالْقَوْلِيَّةُ .

والفسوق : وهو جميعُ المعاصي ، ومنها محظوراتُ الإحرام .

والجدالُ : وهو المحاورات والمنازعة والمخاصمة ، لأنَّ الجدالَ يثيرُ الشرَّ وَيُوقِعُ الْعَدَاوَةَ وَيَشْغُلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْحَجِّ الذُّلُّ وَالْانْكِسَارُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَعِنْدَ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ وَمَشَاعِرِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ لِيَكُونَ الْحَجُّ مَبْرُوراً .

فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ . وَلَمَّا كَانَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ بَعْدَ أَنْ نَهَى عَنِ الْمَعَاصِي فِي الْحَجِّ أَمَرَ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) . وَهَذَا يَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى أَفْعَالِ الْخَيْرِ خُصُوصاً فِي أَيَّامِ الْحَجِّ ، وَفِي تِلْكَ الْبَقَاعِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَفِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ تُضَاعَفُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا كَمَا ثَبَتَ أَنَّ الصَّلَاةَ الْوَاحِدَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، لَا سِوَاً وَقَدْ اجْتَمَعَ لِلْحَاجِّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَهَذَا الْوَقْتِ شَرَفُ الزَّمَانِ وَشَرَفُ الْمَكَانِ .

وَمِنَ الْجِدَالِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَجِّ مَا كَانَ يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ وَفِي أَرْضِ الْحَرَمِ مِنَ التَّنَازُعِ وَالتَّفَاخُرِ وَمَدْحِ آبَائِهِمْ

وقبائلهم حتى حوّلوا الحجّ من عبادةٍ إلى نزاعٍ وخصامٍ، ومن تحصيلِ فضائلٍ إلى تحصيلِ جرائمٍ وآثامٍ، وقد وُجِدَ في زماننا هذا مَنْ يريد أن يحييَ هذه السنةَ الجاهليةَ، والنخوةَ الشيطانيةَ. فيحوّل الحجَّ إلى هتافات ومظاهرات وشعارات، ورفع صُورٍ ووثنيات، وصُخَبٍ ولجاج وإيذاء وترويعٍ للحجاج. وعدم مراعاة لحرمة الحرم والإحرام، وحرمة تلك الأيام. حيث يقول سبحانه (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ).

وقال تعالى عن الحرم: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُدُوقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

[الحج : ٢٥]

فاللهم مَنْ آذَى حَجَّيَكَ وَرَوَّعَ عَيْدَكَ وانتَهَكَ حرمةَ بيتك وألحدَ في حرمك بظلم وفودك فأذقه من عذابك الأليم، الذي توعّدت به كُلَّ ملحدٍ أثيم. إِنَّكَ على كل شيءٍ قدير. . وأنت مولانا نَعْمَ المولى ونعمَ النصير. اللهم يا مرسل الطير الأبايل، على أصحابِ القيل، ترميهم بحجارةٍ من سِجِّيل، حتى جعلتهم كعصفٍ مأكول، أذِقْ كُلَّ مَنْ حاولَ أن يفعلَ مثلَ فعلهم من عذابك الوبيل، وأنتَ حسبنا، ونعم الوكيل - اللهم آمين، اللهم آمين. أقول قولي هذا واستغفرُ الله لي ولكم ولجميع المسلمين

من الخطبة الثانية في أشهر الحج وفضائلها

الحمد لله الذي جعل الأوقات مواسم للطاعات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حثَّ على اغتنام مواسم الخير قبل الفوات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يسارعون في الخيرات وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واحفظوا أوقاتكم بفعل ما شرع فيها من الطاعات ، لتجدوا ثوابها مدخرًا ، وأجرها موفراً ، ولا تكونوا ممن ضيعوا أوقاتهم ، فيتحسرون عند مماتهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠]

فيقال له : (كلا) أي : لا رجوع إلى الدنيا بعد الممات ، وما تتمناه قد فات وهكذا عباد الله لا يزال فضل الله عليكم يتوالى ، فما إن انقضى شهر الصيام حتى أعقبته أشهر الحج إلى بيت الله الحرام .

فكما أن من صام رمضان ، وقامه غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، فمن حجَّ البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا والله فيها وظيفة من وظائف الطاعات ، وكلُّ وقت يُخلِّيه العبد من طاعة الله فقد خسرَه ، وكلُّ ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة حسرةً وترَّةً ، ومن عمِل طاعةً من الطاعات فعلامه قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامه ردُّها أن يتبعها بمعصية تكون عاقبتها خسرًا . وما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها ، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها ، قال الحسن - رحمه الله - : إنَّ الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ، ثم قرأ : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩]

واحفظوا - رحمكم الله - أوقاتكم فيما يسركم . ولا تضيعوه فيما يضرركم ،
فإن خيركم من طال عمره وحسن عمله .

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضل شهر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين ، أتاح لعباده مواسم الخير ونوعها ليتزودوا منها
صالح الأعمال ، ويستدركوا ما يحصل من الغفلة والإهمال ، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له الكبير المتعال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنكم في هذه الدنيا في دار ممر ،
وما زلتم في سفر ، وأن إلى ربكم المستقر ، وأنها تمر بكم مواسم عظيمة تضاعف
فيها الحسنات وتكفر فيها السيئات ، ومن هذه المواسم شهر ذي الحجة ، فقد جمع
الله فيه من الفضائل ونوع فيه من الطاعات ما لا يخفى إلا على أهل الغفلة
والإعراض . ففي أوله العشر المباركة التي نوه الله بها في كتابه الكريم حيث قال
سبحانه : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : ١]

فإن المراد بها عشر ذي الحجة . قد أقسم الله بها تعظيماً لشأنها وتنبهاً على
فضلها . وروى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام » يعني : أيام العشر ،
قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ، قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلا
رجلاً خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » .

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جِهَادًا وَاحِدًا، وَهُوَ جِهَادُ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ فَهَذَا الْجِهَادُ بِخُصُوصِهِ يَفْضَلُ عَلَى الْعَمَلِ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ. وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا.

وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ صِيَامَ هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا عَدَا الْيَوْمَ الْعَاشِرَ، وَهُوَ يَوْمُ النُّحْرِ، وَمِمَّا يُشْرَعُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا سِيَّمَا التَّكْبِيرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج : ٢٨]

وَهِيَ أَيَّامُ الْعَشْرِ عِنْدَ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ فَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ. فَيُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ، وَأَنْ يَجْهَرَ بِذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ. فَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ، فَيُكْبِرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ.

فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يَقْدِرُ عَلَى الْحَجِّ جُعِلَ مَوْسَمُ الْعَشْرِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْحُجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَجِّ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ فِي الْعَشْرِ عَمَلًا يَفْضَلُ عَلَى الْجِهَادِ. وَفِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ يَوْمُ عَرَفَةَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ رَوَى ابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْأَيَّامِ يَوْمُ عَرَفَةَ». وَوَرَدَ أَنَّ صَوْمَهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ تَكْفِيرُ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي لَفْظٍ: قَالَ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» فَيَسْتَحَبُّ صِيَامَهُ لَغَيْرِ الْحَاجِّ. أَمَّا الْحَاجُّ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَصُومَهُ لِأَجْلِ أَنْ يَتَّقَى عَلَى الْوُقُوفِ وَذَكَرِ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ يَوْمُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ، وَالْمُبَاهَاةِ

بأهل الموقف، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، قال: «ما من يومٍ أكثرُ من أن يعتقَ الله فيه عبيداً من النار من يومِ عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة».

وَرَوَى ابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا حَاجِينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يَرِ أَكْثَرُ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ عَرَفَةَ».

وَرَوَى مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَغْبَطُ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَرَى مِنْ تَنْزُلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوَزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعَظَامِ».

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ يَوْمُ النُّحْرِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، يُكْمَلُ الْمُسْلِمُونَ حَجَّهُم الَّذِي هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَا وَقَفُوا بِعَرَفَةَ، وَأَدَّوْا الرُّكْنَ الْأَعْظَمَ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ، وَحَصَلُوا عَلَى الْعَتَقِ مِنَ النَّارِ، مَنْ حَجَّ وَمَنْ لَمْ يَحَجَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَصَارَ الْيَوْمُ الَّذِي يُلَبَّى يَوْمَ عَرَفَةَ عِيدًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ جَمِيعًا لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الْعَتَقِ مِنَ النَّارِ. وَشَرَعَ لَهُمْ فِيهِ ذَبْحُ الْقَرَابِينِ مِنْ هَذِي وَأَصْحَ . وَالْحُجَّاجُ يَسْتَكْمِلُونَ مَنَاسِكَ حَجَّهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ مِنَ الرَّمْيِ، وَالْحَلْقِ أَوْ التَّقْصِيرِ، وَالطَّوْفِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ فِي هَذَا الْيَوْمِ يُؤَدُّونَ صَلَاةَ الْعِيدِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الَّتِي هِيَ أَيَّامُ مِنَى . رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ نَبِيْشَةَ الْهَذَلِيَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيَّامُ مِنَى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرْبٍ

وذكرُ الله عز وجل»، وهي الأيامُ المعدودات التي قال الله تعالى فيها:

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

وهي ثلاثة أيامٍ بعدَ يومِ النحر، وقد أمر الله تعالى بذكره في هذه الأيام المعدودات، وذكر الله في هذه الأيام أنواعٌ متعددة..

منها ذكرُ الله عز وجل عقبَ الصلوات المكتوبات بالتكبير المقيّد في أدبارها.

ومنها: ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك.

ومنها ذكر الله عز وجل على الأكل والشرب، فأيامُ التشريق أيامُ أكل وشرب وذكرُ الله، فإنه يُسمي الله عند بداية أكله وشربه ويحمّده عند نهايتهما.

ومنها ذكرُ الله تعالى بالتكبير عند رمي الجمار.

وبالجملة فشهرُ ذي الحجة قد تنوّعت فيه الفضائل والخيرات التي أعظمها إيقاع الحج فيه إلى بيتِ الله الحرام، وهو من الأشهرِ الحُرْمِ حَرَّمَ الله القتال فيها لوقوعِ الحج فيه، فاشكروا الله أيّها المسلمون على هذه النعمة العظيمة، واغتنموا خيرات هذا الشهر، ولا تكونوا من الغافلين، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا أَقَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٣]

من الخطبة الثانية في فضل شهر ذي الحجة

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار. صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه البررة الأطهار المهاجرين منهم والأنصار، وسلم تسليماً كثيراً . . . أما
بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنه يحرمُ صيامُ أيام التشريق . قال
ﷺ : «أيامُ مِنى أيامُ أكل وشرب» رواه أحمد ومسلم .

عن عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما قالا : «لم يُرخص في
أيام التشريق أن يُصمَّنَ إلا لمن لم يجد الهدي» رواه البخاري . .

وفي النهي عن صيام هذه الأيام والأمر بالأكل والشرب فيها حكمة بالغة ،
وذلك أن الله تعالى لما عَلِمَ ما يلاقي الحجاج من مشاق السفر، وتعب الإحرام،
 وجهاد النفوس على قضاء المناسك، شرع لهم الاستراحة عقب ذلك بالإقامة
بمنى يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وأمرهم بالأكل فيها من لحوم نُسكهم، فهم في
ضيافة الله عز وجل، ويشاركهم أهل الأمصار غير الحجاج في ذلك، لأنهم
شاركوهم في العمل في صيام عشر ذي الحجة، وفي الذكر، والاجتهاد في
العبادات وشاركوهم في التقرب إلى الله بذبح الأضاحي، فاشترك الجميع بالعيد،
والأكل والشرب والراحة، فصار المسلمون كلهم في ضيافة الله عز وجل . . .

وفي هذه الأيام يأكلون من رزقه ويشكرونه على فضله . ونهوا عن صيام هذه
الأيام من أجل ذلك .

فاتقوا الله أيها المسلمون، واشكروه على نِعَمِهِ، واعلموا أن خير الحديث
كتاب الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان عظمة البيت الحرام

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناءً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من نطق بها وحق مدلولها مبنئ ومعنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عرج به فوق السموات العلى . ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٩]

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى، وسلم تسليمًا كثيرًا في الآخرة والأولى . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واشكروه على نعمه التي لا تحصى، ومن أعظمها أن جعل لكم هذا البيت الشريف، وهذا الحرم المنيف، يتجه المسلمون إليه في صلواتهم من جميع أقطار الأرض، ويفدون إليه حاجين ومعتمرين من كل فج عميق . ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ ﴾ [الحج : ٢٨]

فيلتقون حوله ويتعارفون عنده، فتتألف قلوبهم ويتعاونون على تحصيل مصالحهم وحل مشاكلهم، وتظهر قوة الإسلام ووحدة المسلمين، ويرفع شعار الدين، وتزول كل الفوارق المصطنعة إلا فارق التقوى، وتسقط كل الشعارات البشرية والشرائع الجاهلية، ولا يبقى إلا شعار الدين، وشريعة رب العالمين، وتبطل كل الاعتقادات الشركية، ولا يبقى إلا العقيدة الحنيفية، ملة إبراهيم إمام الملة الإسلامية .

فإن هذا البيت أسس على التوحيد حين أمر الله إبراهيم وإسماعيل ببنائه، وقال تعالى : ﴿ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَن لَا

تَشْرِيفٍ فِي شَيْءٍ وَطَهْرٍ يَتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ [الحج : ٢٦]
فَمَنْ حَاوَلَ أَنْ يَجْلِبَ الْوُثْنِيَّةَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ، وَيُقِيمَهَا حَوْلَهُ، أزاله الله من
الوجود، وأذاقه العذاب الأليم، كما فعلَ بعمر بن لُحَيِّ الخُزَاعِي الذي رآه النَّبِيُّ
ﷺ يَجْرُ قَصَبَهُ فِي النَّارِ جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا أَحْدَثَ مِنْ تَغْيِيرِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَتَسْيِيبِ
السَّوَابِ لِلْأَصْنَامِ، وكما فعلَ بقریش على يدِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ وصحابته
الكرام، حِينَ فَتَحُوا مَكَّةَ وَمَحَوْا مَا فِيهَا وَحَوْلَهَا مِنَ الْأَصْنَامِ .

ومن أرادَ بهذا البيتِ وقاصديه والمتعبدین فيه سوءاً أذابه الله بالعذاب كما
يذوبُ الملح في الماء قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَاءِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْدِ يُظْلَمْ نُدْقُهُ مِنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]

ولمَّا أرادَ أبرهة ملك الحبشة هدمَ هذا البيتَ وصرف الناس عنه وجَهَّزَ لذلك
جيشاً هائلاً، وفيه فيل عظيم ليهدمَ به الكعبة بأن يجعلَ السلاسل في أركانها
ويربطها في عنق الفيل ليجرَّها ويلقي جدرانها جملة واحدة، وكان لا يَمُرُّ في
طريقه بقبيلةٍ من قبائل العرب إلا دَهِمَهَا، إلى أَنْ وَصَلَ إِلَى أَرْضِ الْحَرَمِ فَخَرَجَ
أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ خَوْفًا مِنْهُ، وَلَمَّا تَهَيَّأَ الْجَيْشُ لِدُخُولِ مَكَّةَ وَهَيَّؤُوا الْفِيلَ
ووجَّهوه نحوها بَرَكْ، فضربوه ليقومَ فأبى، وإذا وجَّهوه إلى غيرِ مَكَّةَ قامَ يهرولُ .
وبينما هم كذلك أرسلَ الله عليهم طيراً من البحرِ أمثال الخطاطيف، معَ كُلِّ طائرٍ
منها ثلاثة أحجار، حجرٌ في منقاره . وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس،
فحلَّقت فوقهم ورمتهم بتلك الحجارة فهلكوا، وأنزلَ الله في ذلك قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل]

والمعنى أَنَّ الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمَّرهم فأصَبَحُوا مُلْقَيْنَ عَلَى
الأرض كعصفٍ مأكول، وهو التبنُّ الذي أكلته البهائمُ وراثته، وفي هذا أعظمُ عبرةٍ
وأكبرُ زاجرٍ لمن يريد هذا البيتَ بسوء أن الله يهلكه ويجعله عبرةً للمعتبرين .

وهذا البيت الشريف له خصائص عظيمة منها :

أنه أول بيت وُضِعَ للناس على وجه الأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٦ - ٩٧]

فأخبر سبحانه أنه أول المساجد في الأرض ، فهو قبل بيت المقدس ، وهذا من أعظم الآيات البينات فيه ، حيث تعاقبت عليه آلاف السنين ، وهو باقٍ كما وضعه الله منارة للتوحيد ومثابة للناس ، مع حرص الكفار على إزالته والقضاء عليه بكل وسيلة ، ومع هذا بقي يتحدى كلَّ عدو ، ولهذا سَمَّاه الله بالبيت العتيق . قيل : سُمي عتيقاً ، لأنه أول بيت وضع للناس ، وقيل : لأنَّ الله أعتقه من الجبابة ، فلم يظهر عليه جبار قط ، وقيل : لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح عليه السلام ، وأنه مبارك ، أي : ذو بركة لما جعل الله في حجَّه والطواف به من الأجر وتكفير السيئات ، وأنه تُضَاعَفُ فيه الحسنات ، والبركة : كثرة الخير ..

(وهدى للعالمين) : إليه اتجأهم في صلاتهم ، وتعبداتهم ، فالمؤمنون يأتون إليه حُجَّاجاً وعماراً ، فتحصل لهم بذلك أنواع الهداية من معرفة الحق وصلاح العقيدة ، وغير ذلك . ولهذا يقول أحد المستشرقين لأصحابه لما اجتمعوا ليخططوا لإضلال المسلمين ، قال لهم : لا تطمعوا في إضلالهم ما بقي لهم هذا المصحف وهذه الكعبة .

وقوله تعالى : (فيه آياتٌ بيناتٌ) يعني : دلالات واضحة على التوحيد ، من : الركن والمقام ، والصفاء والمروة والمشاعر كلها .
وقوله تعالى : (ومن دخله كان آمناً) .

يعني : أن الله جعل حول هذا البيت حرماً إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء حتى في وقت الجاهلية كان الرجل يلقي قاتل أبيه ، فلا يمسه بسوء حتى

يُخْرِجَ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُنْخَضِفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧]

حتى إِنَّ الصَّيْدَ فِيهِ لَا يُقْتَلُ وَلَا يَنْفَرُ مِنْ أَوْكَارِهِ وَلَا يُقَطَّعُ شَجَرُهُ وَلَا يُفْلَعُ
حَشِيشُهُ .

ومن خصائص هذا البيت :

* أنه لا يشرع الطواف بغيره على وجه الأرض ، فلا يشرع أن يطاف بالقبور
والأضرحة ولا بالأشجار والأحجار ، فمن اعتقد أنه يُشرع الطواف بغير البيت فهو
كافر لأنه اعتقد ما لم يشرعه الله ولا رسوله .

ومن خصائص هذا البيت :

* أن الله أوجب على الأمة كلها حجَّه كل عام ، وأوجب على الأفراد حجَّه مرةً
في العمر مع الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾
[آل عمران : ٩٧] .

فحجُّه على المجموع فرض كفاية كل عام ، وحجُّه على الأفراد فرض عين
مرةً في العمر مع الاستطاعة .

وإنما شرع الله للناس الحجَّ إلى بيته ليشهدوا منافع لهم ، لا حاجة به إلى
الحجاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه .

وقد افتتح الله سبحانه بيانَ شرعية حجِّ هذا البيت بذكر محاسنه ليرغب
الناس في قصده والإتيان إليه ، ولهذا أقبلت قلوبُ العباد إليه حبًّا وشوقاً إلى رؤيته ،
ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

أي : يثوبون إليه ويرجعون إليه كل عام من جميع الأقطار ، ولا يقضون فيه
وطراً ، بل كلما ازدادوا له زيارةً ازدادوا اشتياقاً إليه .

وقد حكم الله بكفر من ترك الحجَّ وهو يقدرُ عليه فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنََّّ

اللَّهُ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ [آل عمران : ٩٧]

فمن تركه جاحداً لوجوبه فلا شك في كفره، وهذا بإجماع المسلمين، ومن تركه تكاسلاً أجبر عليه، وإن مات قبل أن يحج أخرج من تركته قدر ما يحج به عنه.

عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً وَلَمْ يُحِجَّ بَيْتَ اللَّهِ فَلَا يَضُرُّهُ مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾» [آل عمران : ٩٧]

رواه ابن جرير.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً.

وقال أيضاً رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

فليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، ولا بيت يُشرع الطواف حوله إلا المسجد الحرام والبيت العتيق، فأفضل بقاع الأرض هو المسجد الحرام، وأفضل بيت على وجه الأرض هو الكعبة المشرفة.

وقال ﷺ في مكة : «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت» قال الترمذي : هذا حديث صحيح.

فالحمد لله الذي جعل للمسلمين هذا البيت العظيم الذي تقرب به أعينهم وتحط بزيارته والطواف به والصلاة عنده أوزارهم. قال ﷺ : «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». فاشكروا الله - أيها المسلمون - على نعمته، وأسألوه أن يعمكم بواسع رحمته.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
 رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ
 اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُؤُا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ
 ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ
 حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآيَاتُ الَّتِي عَلَيْكُمْ
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حَنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ
 يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَفَ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿

[الحج : ٢٦ - ٣١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في فضل مسجد رسول الله ﷺ وحرمة المدينة

الحمد لله رب العالمين، فَضَّلَ مسجدَ رسوله المصطفى، وأخبر أنه أولُ
 مسجد أسَّس على التقوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له
 الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الحوض المورود
 والشفاعة العظمى. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسَّكوا من الإسلام
 بالعروة الوثقى، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واعلموا أن زيارة المسجد النبوي للصلاة فيه
 مشروعة، وفيها فضل عظيم، فهو أحد المساجد الثلاثة التي يسافر إليها للصلاة
 فيها. والصلاة في المسجد النبوي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا
 المسجد الحرام، كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ، فيصلي فيه الزائر ما تيسر
 له من غير تحديد.

وزيارته تُشَرِّعُ في كل وقت قبل الحج وبعده، ولا علاقة لها بالحج، وإنما هي عبادة مستقلة غير مؤقتة بوقت معين، وليس في المدينة مسجد يُزار للصلاة فيه إلا مسجد قباء، فتستحب زيارته للصلاة فيه لمن كان في المدينة أو قدم إليها.

وقد حرَّم النبي ﷺ المدينة كما حرَّم إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكة. وحرَّمها من الشمال إلى الجنوب ما بين عير إلى ثور، وهما جبلان معروفان، ومن الشرق إلى الغرب ما بين الحرَّتين الشرقية والغربية، في «الصحيحين» عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

ورَوَى الإمام أحمد من حديث جابر: «حرام ما بين حرَّتها» فيحرم قتل صيد حرَّمها، ويحرم قطع شجره، ولا جزاء فيما حرَّم من صيدها وشجرها، وليس في الدنيا حرَّم غير هذين الحرمين الشريفين: حرم مكة وحرم المدينة، فعظّموا هذين الحرمين واعرفوا أحكامهما، وما يحرم فيهما حتى تجتنبوه.

واعلموا أنَّ مَنْ زارَ مسجد الرسول ﷺ فإنه يستحبُّ له أن يُسَلِّمَ على النبي ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فيأتي قبر النبي ﷺ، ويقفُ قبل وجهه، ويقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم يتقدّم قليلاً من مقام سلامه على النبي ﷺ نحو ذراع عن يمينه، ويقول: السلام عليك يا أبا بكر الصديق، ثم يتقدّم نحو ذراع عن يمينه أيضاً، ويقول: السلام عليك يا عمر الفاروق.

وإنَّ زارَ مقبرة البقيع وقبور الشهداء عند أحد، وسلَّم على الأموات واستغفر لهم ودعا لهم فحسن..

ثم اعلّموا أنّ زيارة القبور تستحبّ للرجال دون النساء، فالنساء لا تجوزُ لهن زيارة القبور، لا قبر النبي ﷺ ولا غيره، لأنّ النبي ﷺ لعن زوّارات القبور. .
إنّ خير الحديث كتاب الله . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان مزايا الحجّ وشروطه ووجوبه

الحمد لله رب العالمين شرّع لعباده حجّ بيته الحرام . ليُكفّر عنهم الذنوب والآثام، وأشهّد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفي جميع الشرك والأوهام، وأشهّد أنّ محمداً عبده ورسوله خير الأنام . صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى كما أمركم بتقواه، وحديثنا إليكم في هذه الخطبة سيكون عن مزايا الحجّ في الإسلام، وأحكامه العظام، سائلين الله لنا ولكم التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح والقبول .

فالحجّ هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]

أي : لله على الناس فرض واجب، هو حجّ البيت، لأنّ كلمة (على) للإيجاب، وقد أتبعه بقوله جلّ وعلا : (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) . [آل عمران : ٩٧]

فسمّى تعالى تاركه كافراً، وهذا مما يدل على وجوبه وأكديته، فمن لم يعتقد وجوبه فهو كافراً بالإجماع، وقال تعالى لخليله : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾

[الحج : ٢٧]

وللترمذي وغيره وصححه عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ مَلَكَ زَاداً وراحلة تَبْلُغَهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

وقال ﷺ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» . والمراد بالسبيل توفّر الزاد ووسيلة النقل التي توصله إلى البيت ويرجع بها إلى أهله ، مع توفير ما يكفي أهله إلى أن يرجع إليهم بعد سداد ما عليه من الديون .

والحكمة في مشروعية الحج هي كما بيّنها الله تعالى بقوله : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [الحج : ٢٨] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩]

فالمنفعة من الحج ترجع للعباد ، ولا ترجع إلى الله تعالى ، لأنه ﴿ غَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]

فليس به حاجة إلى الحجاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه ، بل العباد بحاجة إليه فهم يقدون إليه لحاجتهم إليه .

والحكمة في تأخير فرضية الحج عن الصلاة والزكاة والصوم ، لأن الصلاة عماد الدين وتكرّرها في اليوم والليلة خمس مرات ، ثم الزكاة لكونها قرينة لها في كثير من المواضع ، ثم الصوم لتكرّره كلّ سنة ، وقد فرض الحج في الإسلام سنة تسع من الهجرة كما هو قول الجمهور ، ولم يحجّ النبي ﷺ بعد الإسلام إلا حجة واحدة هي حجة الوداع . وكانت سنة عشر من الهجرة ، واعتمر ﷺ أربع عمر . والمقصود من الحج والعمرة عبادة الله في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها . قال ﷺ : « إِنَّمَا جُعِلَ رَمْيُ الْجَمَارِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ » .

والحجُّ فرضٌ بإجماع المسلمين وركنٌ من أركان الإسلام ، وهو فرضٌ في العمر مرةً واحدةً على المستطيع ، وفرضٌ كفايةً على المسلمين كُلِّ عام ، وما زاد على حج الفريضة في حقِّ أفراد المسلمين فهو تطوُّعٌ .

وأما العمرة فواجبةٌ على قول كثير من العلماء بدليل قوله ﷺ : «لَمَّا سُئِلَ : هل على النساء من جهادٍ؟ قال : «نعم ، عليهن جهادٌ لا قتال فيه : الحجُّ والعمرة» . رواه أحمد وابن ماجه بإسنادٍ صحيح .

وإذا ثبت وجوبُ العمرة على النساء فالرجال أولى ، وقال ﷺ للذي سأله : إنَّ أبي شيخٌ كبير لا يستطيعُ الحجَّ والعمرة ولا الظَّعنَ ، فقال : «حُجَّ عن أبيك واعتِمِر» . رواه الخمسة وصحَّحه الترمذي .

فيجبُ الحجُّ والعمرة على المسلم مرةً واحدةً في العمر ، لقوله ﷺ : «الحجُّ مرةً فَمَنْ زاد فهو تطوُّعٌ» . رواه أحمد وغيره ، وفي «صحيح مسلم» وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «أيها الناسُ قد فُرِضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا» ، فقال رجل : أكلُّ عام؟ فقال : «لو قلتُ : نعم لوجِبَتْ ، ولما استطعتم» .

ويجبُ على المسلم أن يبادرَ بأداءِ الحجِّ الواجب مع الإمكان ، ويأثمُ إن أخره بلا عُذرٍ ، لقوله ﷺ : «تَعَجَّلُوا إلى الحج (يعني الفريضة) فإنَّ أحدكم لا يَدْرِي ما يَعْرضُ له» رواه أحمد .

وإنما يجبُ الحجُّ بشروطٍ خمسة : الإسلام ، والعقل ، والبلوغ ، والحرية ، والاستطاعة ، فَمَنْ توفَّرت فيه هذه الشروط وَجَبَ عليه المبادرة بأداءِ الحج .

ويصحَّ فعلُ الحجِّ والعمرة من الصبي نفلاً ، لحديث ابن عباس : «إن امرأةً رَفَعَتْ إلى النبي ﷺ صبيّاً ، فقالت : ألهذا حجٌّ؟ قال : «نعم ، ولك أجرٌ» رواه مسلم . وقد أجمع أهل العلم على أنَّ الصبيَّ إذا حجَّ قبل أن يبلغَ فعليه الحجُّ إذا بَلَغَ واستطاع ، ولا تُجزئه تلك الحجة عن حجة الإسلام ، وكذا عمرته . وإن كان

الصبيّ دون التمييزِ عَقَدَ عنه الإحرامَ وليّه بأنّ ينويّه عنه، ويُجنبه المحظوراتِ ويطوف ويسعى به محمولاً ويستصحبه في عرفة ومزدلفة ومِنَى، ويرمي عنه الجمراتِ. وإنّ كان الصبيّ مميزاً نَوَى الإحرامَ بنفسه بإذن وليّه ويؤدّي ما قَدَرَ عليه من مناسكِ الحج، وما عَجَزَ عنه يفعلُه عنه وليّه، كرمي الجمرات، ويطافُ ويسعى به راكباً أو محمولاً إن عَجَزَ عن المشي، وكلُّ ما أمكّن الصغيرَ فعلُه مميزاً كان أو دونه بنفسه كالوقوف والمبيت، لَزَمَه فعلُه، بمعنى: أنه لا يصحُّ أن يُفَعَلَ عنه، لعدمِ الحاجةِ لذلك. ويجتنبُ في حَجّه ما يجتنبُ الكبيرُ من المحظورات.

والقادرُ على الحَجِّ هو الذي يتمكّن من أدائه جسمياً ومادياً بأن يمكنه الركوبُ، ويتحمّل السفرَ، ويجدُ من المالِ بُلغته التي تكفيه ذهاباً وإياباً. ويجدُ أيضاً ما يكفي أولاده ومن تلزمُه نفقتُهم إلى أن يعودَ إليهم، ولا بُدَّ أن يكون ذلك بعدَ قضاء الديون والحقوق التي عليه، بشرط أن يكون طريقه إلى الحج آمناً على نفسه وماله، وإن قَدَرَ بماله دون جسمه بأن كان كبيراً هَرِمًا أو مريضاً مرضاً مزمنًا لا يرجي بُرؤه لَزَمَهُ أن يُقيمَ مَنْ يَحُجُّ عنه ويعتمرُ، حجةً وعمرةً الإسلام من بلده، أو من البلد الذي أيسرَ فيه. لما رواه ابنُ عباس رضي الله عنهما: إنّ امرأةً من خَثْعَم قالت: يا رسول الله، إن أبي أدركته فريضةُ الله في الحجِّ شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبَّت على الراحلة، أفأحجُّ عنه؟ قال: «حُجِّي عنه» متفق عليه.

ويُشترطُ في النائبِ عن غيره في الحجِّ أن يكون قد حَجَّ عن نفسه حجةً الإسلام. لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ سَمِعَ رجلاً يقول: لبيك عن شُبرمة، قال: «حججت عن نفسك؟» قال: لا قال: «حُجَّ عن نفسك» إسناده جيدٌ وصحَّحه البيهقي.

وحجُّ النفل تجوزُ النيابة فيه عن القادر وغيره، ويُعطى النائبُ من المال ما يكفيه من تكاليفِ السفر ذهاباً وإياباً، ولا تجوزُ الإجارة على الحج، ولا أن يُتَخَذَ ذريعةً لكسب المال، وينبغي أن يكون مقصودُ النائب نفعَ أخيه المسلم المنوب

عنه، وأن يحج بيت الله الحرام، ويزور تلك المشاعر العظام، فيكون حجه لله لا لأجل الدنيا، فإن حج لقصد المال فحجه غير صحيح ولا يجزى عن مستنبيه .
والحمد لله رب العالمين وبارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاستعداد للحج

الحمد لله الذي شرع لعباده حج بيته الحرام، وجعل ذلك أحد أركان الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله لبيِّن لأُمته شرائع الإسلام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وسلّم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعبدوه مخلصين له الدين ، كما أمركم بذلك في كتابه المبين .

عباد الله : في هذه الأيام المباركة يستعد المسلمون للسفر لحج بيت الله الحرام منهم المتنفل بحجه، ومنهم من يؤدي به فريضة الإسلام، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى استعداد بما يلزم له مالياً وبدنياً ونيةً وقصدًا . . فيحتاج إلى استعداد بالنفقة الكافية التي يستغني بها عن الناس، قال تعالى : ﴿ وَكَرَّوْاْ وُفَاتِكُمْ خَيْرَ الْزَّادِ الْقَوِيُّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

فأمر سبحانه بالتزود، وهو أخذ الزاد الكافي لسفره ذهاباً وإياباً وتوفير المركوب المناسب الذي يحمله في سفره ويبلغه إلى بيت الله، ثم يرده إلى وطنه .
قال تعالى : ﴿ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧]

والسبيل الذي اشترط الله استطاعته : هو الزاد، والمركوب المناسب في كل وقت بحسبه . ولما كان أناسٌ يحجُّون بلا زادٍ ويصبحون عالَةً على الحُجَّاجِ ، ويقولون ؛ نحن متوكلون ، نهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالتزوّد بما يُغنيهم عن الناس ، فقال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

ولما كان أناسٌ يظُنُّون أنَّ الاتِّجَارَ والتكسُّبَ في موسم الحج لا يجوزُ للحُجَّاجِ أنزلَ الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٨]

بيِّنَ سبحانه في هاتين الآتين الكريمتين أنه لا بدُّ من أخذِ زادَيْنِ : زادِ السفر للدنيا ، وذلك بالطعام والشراب الكافيين إلى نهاية الرحلة ، وزادِ السفر للآخرة وذلك بالعمل الصالح والابتعاد عن المعاصي ، ثم بيَّنَ سبحانه أنَّ مزاولة التجارة والاكْتِسَابِ وطلبَ الرزق الحلال لا يتعارضُ مع العبادة إذا لم يَطْغَ على وقتها ولم يشغَلْ عنها .

كما أنَّ ذلك لا يتنافى مع التوكُّلِ ، ثم لا بدُّ لمن يريد الحجَّ أن يُوفِّرَ لأهل بيته ما يكفيهم من النفقة إلى أن يرجع إليهم ، ولا يجوزُ له أن يتركهم بدون نفقة أو يُنْقِصَ من نفقتهم من أجل أن يوفر ما يكفي لحجِّه ، فإنه في هذه الحالة آثم لا مأجور . قال ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » . رواه النسائي .

كما أنَّ على مَنْ يريدُ الحجَّ أن يسدِّدَ الديونَ التي عليه أو يوفرَ لها ما يسدِّدُها ، فإن لم يكن لديه من المال ما يكفي لنفقة الحج وسداد الدين فإنه يقدم سداد الدين ، ولا يجوزُ له أن يحجَّ في هذه الحالة .

كما أنَّ على الحاج أن يُنْفِقَ في حَجِّه من الكسب الحلال ، ليكون حجُّه مبروراً وذنبه مغفوراً . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا خرجَ الحاجُّ حاجاً بنفقة طيبة ووضعَ رجله في الغَرَزِ ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه منادٌ من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلالٌ وراحتك حلالٌ ، وحجُّك

مبرورٌ غير مأزور وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرر، فنادى: لبيك ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حراماً ونفقتك حراماً، وحجك مأزورٌ غير مبرور» رواه الطبراني .

والنفقة في الحج إذا كانت من كسبٍ حلال تدخل في النفقة في سبيل الله . قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٥]

دلَّت هاتان الآيتان الكريمتان على أنَّ النفقة في الحج من النفقة في سبيل الله حيث قرُن ذكر الحج والعمرة بذكر الإنفاق في سبيل الله، وقد كان بعض الصحابة قد جعل بعيره في سبيل الله، فأرادت امرأته أن تحجَّ عليه، فقال لها النبي ﷺ: «حُجِّي عليه، فإن الحجَّ في سبيل الله» رواه أهل السنن وغيرهم .

ولهذا ذهب بعض العلماء وهو رواية عن الإمام أحمد . إلى أن الحاجَّ يُعطى من الزكاة، لأنَّ من جملة مصارفها (في سبيل الله) والحجُّ داخل في سبيل الله، فيُعطى من الزكاة مَنْ لم يحجَّ ما يحجُّ به .

ويجب على من يريد الحجَّ أن يتوبَ إلى الله من سائر الذنوب، وإذا كان عنده مظالم للناس فعليه أن يرُدَّها إليهم ويطلبَ مسامحتهم، ليستقبل حجَّه بالتوبة والتخلُّص من المظالم، ويجب عليه أن يتجنَّب الذنوب والمعاصي وأن يحافظَ على أداء الصلوات وسائر الواجبات، وهذا أمرٌ يجب عليه في كل حياته وفي جميع حالاته، لكنَّ الحاجَّ يتأكَّد في حقه ذلك لأنه في عبادة عظيمة، فلا ينبغي له أن يدخل فيه وهو متلبِّس بالذنوب والمعاصي أو يفعل الذنوب والمعاصي أثناء الحج . قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ حَجَّ هذا البيتَ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه» . فمغفرة الذنوب بالحجِّ ودخول الجنة مرتَّب على كون الحج مبروراً . وإنما يكون الحج مبروراً باجتماع أمرين فيه :

أحدهما : الإتيان فيه بأعمال البر ومنها الإحسان إلى الناس بالبر والصلة وحسن الخلق، ولَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عن البر، قال : «حسن الخلق». وهذا يُحتاج إليه في الحج كثيراً، بحيث يعامل الناس بالإحسان بالقول والفعل سواء كانوا من رفقته في السفر أو من سائر الحجاج الذين يلتقي بهم في الحج والمشاعر. وقد قيل : إنما سُمِّيَ السفر سفراً لإسفاره عن أخلاق الرجال.

وفي «مسند الإمام أحمد» : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال : «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» قالوا : وما برُّ الحج يا رسول الله؟ قال : «إطعام الطعام وإفشاء السلام».

وسُئِلَ سعيد بن جبير - رحمه الله - : أيُّ الحاج أفضل ؟ قال : من أطلعَم الطعام وكَفَّ لسانه .

وفي مراسيل خالد بن معدان، عن النبي ﷺ قال : «ما يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصال ثلاثة : ورعٌ يحجزه عما حرم الله، وحلمٌ يضبط به جهله، وحسنٌ صحابه لمن يصحب. وإلا فلا حاجة لله بحجه».

فهذه الثلاثة يُحتاج إليها في الأسفار، خصوصاً في سفر الحج، فمن كَمَلَهَا فقد كَمَلَ حَجَّهُ . . وفي الجملة : فخيرُ الناس أنفعُهم للناس وأصبرُهم على أذى الناس، كما وصف الله المتقين بذلك، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

الأمر الثاني : وهو من أعظم أنواع البر في الحج : كثرة ذكر الله تعالى فيه، وقد أمر الله تعالى بذكره في إقامة مناسك الحج مرة بعد أخرى خصوصاً في حال الإحرام بالتلبية والتكبير، فما تزوَّد حاجٌ ولا غيره أفضل من زاد التقوى، فإن التقوى تجمع خصال الخير كلها.

ويجب على الحاج أن يُخلص النية لله في حجه بأن لا يقصد به رياءً ولا سُمةً ولا طمعاً من مطامع الدنيا. قال تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وإتمام الحجّ الإتيان بمناسكه على الوجه المشروع ، وقوله : (الله) يعني : إخلاص النية فيه لله وحده وتخليص أفعاله من الشرك الأكبر والأصغر ، فلا يكون فيه رياء ولا سُمعة ولا فخر ولا خِيلاء ولا مباهاة ، ويتواضع في حَجِّه ، فقد حجَّ النبي ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ وقطيفة ما تُساوي أربعة دراهم ، وقال : اللهم اجعلها حجة لا رياء فيها ولا سُمعة .

وينبغي للحاج أن يصبر على المشقة ، ولا يُرفِّه نفسه في الحج ، فإن بعض الناس في هذا الزمان يُكثر من الأبهة وأخذ الكماليات الكثيرة من السيارات والأثاث والخيام التي يضايق بها الحجاج ، وبعض الناس لا ينزل في منى أيام التشريق ، وإنما ينزل في شقق مفروشة ومبردة خارج منى ، وقد يحتجُّ بأنه لم يجد مكاناً في منى .

والواجب على الحاج أن يبحث عن مكان ينزل فيه من منى ، فإن لم يجد بعد البحث ، فإنه ينزل قريباً منها مع الحجاج ولا ينصب خيامه بعيداً عنها بل ينصب خيامه مع الحجاج مهما أمكنه القرب من منى لأن هذا منتهى استطاعته ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦]

وعلى الحاج قبل أن يسافر للحج أن يكتب ماله وما عليه من الديون وما عنده من الودائع والأمانات من أجل أنه لو قدر أن يجري عليه شيء في سفره من موت أو عائق يمنعه من الرجوع إلى وطنه فإنه يكون قد وثق هذه الحقوق وبينها ، فيضمن بذلك وصولها إلى أهلها وتبرأ ذمته منها .

فاتقوا الله - عباد الله - واستعدوا للحج بما يليق وأدوه على الوجه المشروع . وأكملوا مناسكه ، وأخلصوا النية فيه لله مع الخشوع والسكينة والتواضع فيه لله ، والإحسان إلى إخوانكم الحجاج وعدم أذيتهم ، ومضايقتهم ، واضبروا على مشاقه وما ينالكم فيه من التعب ، فإنه من الجهاد .

والجهاد لا بد فيه من مشقةٍ وتعبٍ . أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ الْحَجُّ
 أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَاتَ فَعَلُوا
 مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرُودُ أَفْيَاتُ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوِيُّ وَأَتَقُونَ لِأَوَّلَى الْأَلْبَابِ ﴿
 [البقرة : ١٩٧]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الاستعداد للحج

الحمد لله رب العالمين ، أوجبَ على عباده حجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذَه وكيلاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلاً ، وسَلَّمَ تسليماً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وحافظوا على دينكم من جميع جوانبه ولا تكونوا ممن يهتمُّ بجانب منه ، ويُهملُ الجوانبَ الأخرى ، فإنَّ بعضَ الناس يهتمُّ بالحجِّ والعمرة ويضع بقیة أركان الإسلام ، فلا يهتم بإصلاح العقيدة التي هي أساس الدين ، فتراه يدعو الموتى ويتقرب إليهم بأنواع العبادات ، أولاً يهتمُّ بالصلاة التي هي عمود الإسلام ، وتركها كفر بالله وخروج من الدين ، ولا يهتمُّ بأداء الزكاة التي هي قرينة الصلاة ، وثالثة أركان الإسلام ، ولا يصوم رمضان ، الذي جعل الله صومه فريضة على أهل الإيمان ، وهذا لا يقبل منه حج ولا عمرة ما دام مضيئاً لأركان الإسلام أو بعضها . قال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥ - ٨٦]

فليس الدين هو الحج فقط ، وإنما الحج جزء من الدين وركن من أركانه ، وقبله أركان أكد منه لا يصح فعله ، ولا يقبل إلا بعد أدائها ، فمن كان مضيعاً لشيء من أركان الإسلام وهو يريد أن يحج فعليه أن يتوب إلى الله توبة صحيحة ويؤدي ما ترك ، ويحافظ على أدائه ، ثم يحج بعد ذلك ، لعل الله يقبل توبته ويتقبل منه حجه وسائر عباداته ، ثم يستمر على التوبة ، ويستقيم على الدين والطاعة ، ويتجنب المعاصي في بقية حياته ومستقبل أيامه ، فإن الأعمال بالخواتيم وباب التوبة مفتوح ما لم يحضر الأجل ، والأجل منتظر حضوره في كل لحظة ، ولا يدري أحد متى تحين وفاته ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤]

فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالتوبة ، وحافظوا على الطاعة ، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صفة الحج

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأمر بطاعته والافتداء به ، فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا إله معه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من أطاعه واتبعه ، وسلم تسليمًا كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واقتدوا برسوله في جميع عباداتكم وطاعاتكم حتى تكون صحيحة مقبولة عند الله ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران : ٣١]

ومن ذلك الاقتداء بالرسول ﷺ في أداء مناسك الحج ، فقد حَجَّ ﷺ وأمرَ الناسَ أن يقتدوا به ويفعلوا مثل ما يفعل ، فقال : «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» ، أي : تعلّموا مني كيف تحجّون وتؤدّون المناسك ، وذلك بأن تفعلوا مثل ما أفعل ، وهذا كلامٌ جامع استدلّ به أهل العلم على مشروعية جميع ما فعله النبي ﷺ وما قاله في حجّه وجوباً في الواجبات ومستحباً في المستحبات ، وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - صفة حجة ﷺ ، فقال :

وقد ثبت بالنقل المتواتر عند الخاصة من علماء الحديث من وجوه كثيرة في «الصحيحين» وغيرهما أنّه ﷺ لَمَّا حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ أَحْرَمَ هو والمسلمون من ذي الحليفة ، فقال : «مَنْ شَاءَ أَنْ يُهْلَ بِعُمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُهْلَ بِحَجَّةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُهْلَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ فَلْيَفْعَلْ» ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَطَافُوا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَمَرَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَجُّوا مَعَهُ أَنْ يَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ ، وَيَجْعَلُوهَا عُمْرَةً إِلَّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ، فَرَاغَهُ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ ، فغَضِبَ ، وقال : «انظروا ما أمرتكم به فافعلوه» . وَكَانَ ﷺ قَدْ سَاقَ الْهَدْيَ ، فَلَمْ يَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ .

ولمّا رأى كراهة بعضهم للإحلال : قال : «لو استقبلتُ من أمري ما استبدرتُ لَمَّا سَقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً ، وَلَوْ لَا أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ» ، وقال أيضاً : «إِنِّي لَبَدْتُ رَأْسِي ، قَلَدْتُ هَدْيِي ، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ» .

فَحَلَّ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ سَاقُوا الْهَدْيَ ، مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيهِ أَحْرَمَ الْمُحِلُّونَ بِالْحَجِّ وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى مِنَى ، فَبَاتَ بِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِمِنَى ، وَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَى نِمْرَةَ عَلَى طَرِيقِ ضَبِّ .

وَنَمِرَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ عَرَفَةَ مِنْ يَمَانِيهَا وَغَرِيبِهَا ، لَيْسَتْ مِنَ الْحَرَمِ وَلَا مِنْ عَرَفَةَ ،
فُنْصِبَتْ لَهُ الْقَبَةُ بَنِمِرَةَ ، وَهَنَّاكَ كَانَ يَنْزِلُ خَلْفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ . وَبِهَا الْأَسْوَاقُ
وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ وَالْأَكْلُ وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ رَكِبَ هُوَ وَمَنْ رَكِبَ مَعَهُ
وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُصَلَّى بِبَطْنِ عَرْنَةَ حَيْثُ قَدْ بُنِيَ الْمَسْجِدُ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ
الْحَرَمِ وَلَا مِنْ عَرَفَةَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَرَزْخٌ بَيْنَ الْمُشْعَرَيْنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ هُنَاكَ ، بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْمَوْقِفِ نَحْوُ مِيلٍ .

فَخُطِبَ بِهِمْ خُطْبَةُ الْحَجِّ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمْ
الظَهْرَ وَالْعَصْرَ مَقْصُورَتَيْنِ مَجْمُوعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَارَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْقِفِ عِنْدَ
الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ الرَّحْمَةِ ، وَاسْمُهُ إِلاَلٌ عَلَى وَزْنِ هَلَالٍ ، وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ
الْعَامَةُ عَرَفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ،
فَدَفَعَ بِهِمْ إِلَى مَزْدَلِفَةَ ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بَعْدَ مَغِيبِ الشَّفَقِ قَبْلَ حِطِّ الرَّحَالِ
حَيْثُ نَزَلُوا بِمَزْدَلِفَةَ ، وَبَاتَ بِهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ الْفَجَرَ فِي
أَوَّلِ وَقْتِهَا مَغْلَساً بِهَا زِيَادَةً عَلَى كُلِّ يَوْمٍ ، ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ قَرْحٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ مَزْدَلِفَةَ الَّذِي
يُسَمَّى الْمُشْعَرَ الْحَرَامَ ، وَإِنْ كَانَتْ مَزْدَلِفَةُ كُلِّهَا هِيَ الْمُشْعَرُ الْحَرَامُ الْمَذْكُورُ فِي
الْقُرْآنِ . فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ أُسْفَرَ جَدًّا . ثُمَّ دَفَعَ بِهِمْ حَتَّى قَدِمَ مَنًى ،
فَاسْتَفْتَحَهَا بِرَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمَنًى ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثًا
وَسَتِينَ بَدَنَةً مِنَ الَّذِي سَاقَهُ وَأَمَرَ عَلِيًّا بِنَحْرِ الْبَاقِي ، وَكَانَ مِثْلُ بَدَنَةٍ ، ثُمَّ أَفَاضَ إِلَى
مَكَّةَ فَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ . .

وَكَانَ قَدْ عَجَلَ ضَعْفَةَ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ مَزْدَلِفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَرَمَوْا الْجَمْرَةَ
بَلِيلٍ ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ مَنًى الثَّلَاثِ ، يُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ
مَقْصُورَةً غَيْرَ مَجْمُوعَةٍ ، يَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ الْجُمَرَاتِ الثَّلَاثَ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ يَفْتَحُ
بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى ، وَهِيَ الصُّغْرَى ، وَهِيَ الدُّنْيَا إِلَى مَنًى ، وَالْقَصُوى مِنْ مَكَّةَ ،
وَيَخْتَمُّ بِجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ ، وَيَقِفُ بَيْنَ الْجَمْرَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَبَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ

وقوفاً طويلاً بقدر سورة البقرة يذكر الله ويدعو، فإن المواقف ثلاث عرفة، ومزدلفة، ومنى. ثم أفاض آخر أيام التشريق بعد رمي الجمرات هو والمسلمون، فنزل بالمحصب عند خيف بني كنانة، فبات هو والمسلمون في ليلة الأربعاء.

وبعث تلك الليلة عائشة مع أخيها عبد الرحمن لتعتمر من التنعيم، وهو أقرب أطراف الحرم إلى مكة من طريق أهل المدينة، وقد بُني بعده هناك مسجدٌ سمَّاه الناس مسجد عائشة، لأنه لم يعتمر بعد الحج مع النبي ﷺ من أصحابه أحد قط إلا عائشة، لأجل أنها كانت قد حاضت لما قدمت، وكانت معتمرة، فلم تطف قبل الوقوف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، وقال لها النبي ﷺ: «اقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ولا بين الصفا والمروة»، ثم ودع البيت هو والمسلمون ورجع إلى المدينة، ولم يقم بعد أيام التشريق ولا اعتمر أحد قط على عهده عمرة يخرج فيها من الحرم إلى الحل إلا عائشة وحدها، فأخذ فقهاء الحديث كأحمد وغيره بسننه في ذلك كله، وإن كان منهم ومن غيرهم من قد يخالف بعض ذلك بتأويل تخفى عليه فيه السنة.

انتهى كلامه رحمه الله وهو خلاصة جيدة لصفة حجة رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد أمرنا بالاعتداء به في هذا وغيره، فلنفعل مثل ما فعل حتى تكون أعمالنا في حجتنا وعمرتنا وجميع أمور ديننا صحيحة مقبولة عند الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة في صفة الحج

الحمد لله الذي تفضّل علينا بدين الإسلام، وبعثه النبي ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صَلَّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تَمَسَّكَ بسنته إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واشكروه حيث بَيَّنَ لكم دينكم وأتمَّ عليكم نعمته فتمسَّكوا به ، واسألوا الله الثبات عليه .

عباد الله : اعلموا أن أعمالَ الحج تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أركانُ لا يَصِحُّ الحجُّ أو لا يتمُّ إلا بها : وهي (الإحرام ، والوقوف بعرفة ، وطوافُ الإفاضة ، والسعيُّ بين الصفا والمروة) .

القسمُ الثاني : واجبات ، وهي : (الإحرامُ من الميقات المعتبر له ، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس لمن وقف نهاراً ، والمبيتُ بمزدلفة إلى نصف الليل لمن وافاها قبل منتصف الليل ، ورميُ الجمار ، والحلقُ ، أو التقصير ، والمبيتُ بمنى ليالي أيام التشريق ، وطوافُ الوداع على غيرِ الحائض والنفساء .

القسم الثالث : مستحبات ، وهي : ما عدا هذه الأركان والواجبات من أعمال الحج (كالإحرام بالحجِّ في اليوم الثامن ، والخروج إلى منى في هذا اليوم ، والمبيتُ بها ليلة التاسع وأداء الصلوات الخمس فيها كل صلاة في وقتها مع قصر الصلاة الرباعية ، والنزول بنمرة قبل الوقوف ، والدعاء في عرفة وقت الوقوف ، وفي مزدلفة بعد صلاة الفجر ، والبقاء في منى في النهار أيام التشريق ، وطوافِ القدوم في حق القارن والمفرد) .

ومن ترك ركناً من أركان الحجِّ فإن كان الإحرام أو الوقوف بعرفة لم يَصِحَّ حجُّه ، وإن كانَ غيرَهما لم يَتِمَّ حجُّه إلا به . ومن ترك واجباً فعليه دمٌ ، ومن ترك سنةً

فلا شيء عليه . فاحرصوا أيها المسلمون على إتمام حجكم على وفق ما شرعه الله
وبيّنه رسول الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

توحيد العبادة من خلال مناسك الحج

الحمد لله رب العالمين ، خَلَقَ الخلق لعبادته وأمرهم بتوحيده وطاعته ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله إلى جميع بريته . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
ساروا على نهجه وتمسكوا بسنته ، وسلّم تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنه خلقكم لعبادته ، قال تعالى :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

وبذلك أمر الله جميع الخلق ، فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
[البقرة : ٢١ - ٢٢]

والعبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا مع
الطهارة ، فكما أن المتطهر إذا أحدث بطلت طهارته ، فكذلك العابد إذا أشرك
بطلت عبادته ، كما قال تعالى لأشرف الخلق ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥]

فالشرك لا يصح معه عمل ولا تقبل معه عبادة ، ولهذا كثيراً ما يأتي الأمر
بالعبادة مقروناً بالنهي عن الشرك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا ﴿ [النساء : ٣٦] وكلُّ نبي يقول لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩]

عباد الله : إن الله شرع لنا حجَّ بيته العتيق ، فلتتدبر ما في هذا الحج من مظاهر التوحيد والابتعاد عن الشرك ، حتى يكون ذلك درساً عملياً نترسمه في كل عبادتنا .

ونحن إذا تدبرنا تأسيسَ هذا البيت وجدناه قد أُسِّسَ على التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَهْدُنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرَابَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

فأمرهما الله بتطهير البيت من سائر النجاسات ، وأعظمها الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة : ٢٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦]

إذا فهذا البيت أُسِّسَ على التوحيد ، ويجب أن يبقى على التوحيد إلى أن تقوم الساعة ، لا يجوز أن يُسَمَّحَ لمشرك بالوصول إليه ولا بمزاولته شركه حوله ، ولهذا لما فَتَحَ النبي ﷺ مكة المشرفة دخل المسجد الحرام وفوق الكعبة وحولها ثلاث مئة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بالقضيب ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

فَجَعَلَتِ الأصنامُ تنهاوى على وجوهها ، ثم أمر بها ﷺ فأخرجت من المسجد وأحرقت ، ثم دخل ﷺ الكعبة وأزال ما رسم على جدرانها من الصُّور ، وكلُّ ذلك عملاً بقول الله تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [الحج : ٢٦]

لأن هذا البيت قبلة المسلمين ، وإليه حجُّهم وعمرتهم ، وهو ملتقى قلوبهم وأبدانهم ، يأتون إليه من كل فج عميق ، فيجب أن يكون مصدر التوحيد ومنبع العقيدة الصحيحة على مرِّ الزمان وتعاقب الأجيال ، ويجب أن يُبَعَّدَ عنه كلُّ من أراد أن يبذر في أرضه بذور الشرك ، أو يمارس حوله إقامة البدع والخرافات ، حتى يظلَّ

مصدراً صافياً للإخلاص لله بالتوحيد، وإفرادِهِ بالعبادة، وإحياءِ سنة الرسول ﷺ والدعوة إلى ذلك.

وقد أمر الله بأداء الحج والعمرة خالصين له، فقال سبحانه : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

مما يدلُّ على أنَّ كلَّ حجٍّ وعمرة لا يتوفر فيهما توحيدُ العبادة، فليسا بمقبولين عند الله سبحانه وتعالى .

عباد الله : ومن مظاهر توحيد العبادات في الحجَّ : رفعُ الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله ونفي الشريك عنه وإعلان انفراده بالحمدِ والنعمة والملك : «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملكُ»، يُردِّدها الحجاج بين كل فترةٍ وأخرى حتَّى يشرعوا في التحلُّل من الإحرام .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحجَّ : أنَّ أعظمَ الذكر الذي يُقال في يوم عرفة : «لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ»، كما قال النبي ﷺ : «خيرُ الدعاءِ دعاءُ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ» .

فهذا إعلان في هذا المجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك لتوحيد العبادة بالنطق بهذه الكلمة وتكرارها، لأجل أن يستشعر الحاجُّ مدلولها ويعمل بمقتضاها، فيؤدي أعمالَ حجه خالصةً لله عز وجل من جميع شوائب الشرك .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحجَّ : أنَّ الله أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩]

مما يدلُّ على أنَّ الطواف خاصُّ بهذا البيت، فلا يجوزُ الطواف ببيتٍ غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة، ولا بالأشجار والأحجار، ومن هنا يعلمُ الحاجُّ أنَّ

كل طوافٍ بغير البيتِ العتيق فهو باطلٌ وليس عبادةً لله عز وجل وإنما هو عبادةٌ لمن شرَّعه وأمر به من شياطين الإنس والجن . .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق : أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يُكبر الله معتقداً أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله ، فهو يستلمهما طاعةً لله واقتداءً برسوله ﷺ ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبَّله : والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتُك .

ومن هنا يعلمُ المسلم أنه لا يجوزُ التمسُّحُ بشيءٍ من الأبنية والأحجار إلا بالركن اليماني والحجر الأسود (١) ، لأنها من شعائر الله ، فلا يتمسُّحُ بالأضرحة ولا غيرها لأن مخالفتُ لشرعِ الله ، ولأنها ليست من شعائرِ الله .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الحاجَّ حينما يفرُّغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، وفي الثانية يقرأ سورة الإخلاص ، لما تشتملُ عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين وإفراد الله بالعبادة .

وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص ، وبذلك يعرفُ العبدُ ربَّه ويُخلصُ له العبادة ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدرس العملي العظيم . .

ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة أن العبد يسعى بينهما امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَاعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨]

ومن ذلك يتعلَّمُ المسلم أنه لا يجوزُ السعي في أي مكانٍ من الأرض إلا بين الصفا والمروة لأنهما من شعائر الله وأن السعي بينهما إنما هو بأمرِ الله ، فكلُّ سعيٍ (١) في أثناء الطواف .

في غيرهما فليس عبادةً لله لأنه سعيٌ بغير أمر الله وبغير شعائره .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج ما شرَّعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٣]

وذكر الله في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدى في أيام منى من رمي الجمار ، وذبح الهدي ، وأداء الصلوات الخمس في هذا المشعر المبارك والأيام المباركة . كل هذه الأعمال ذكر لله عز وجل ، فرمى الجمار ذكر لله ، ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة : (الله أكبر) ، وذبح الهدي ذكر لله عز وجل ، كما

قال تعالى : ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ﴾ [الحج : ٣٤] وقال تعالى : ﴿ وَاللَّذَاتِ جَعَلْنَهَا كَمِّنَ شِعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَبَرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنَبَاِلَ اللَّهِ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَبَالُهِ النَّفْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : ٣٦ - ٣٧]

ومن هنا يتعلَّم المسلم أنَّ الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فلا يجوز أن يذبح لقبرٍ ولا لوليٍّ ولا لجني أو أي مخلوق ، لأنَّ الذبح عبادة ، وصرف العبادة لغير الله شرك .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج : أنَّ الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منه ، ونهى عن ذكر غيره من الرؤوساء والعظماء الأحياء والأموات ، وعن المفارقة في الأحساب والأنساب ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فَإِذَا أَقَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾

[البقرة : ١٩٨ - ٢٠٣] .

إنَّ الْحَجَّ لَيْسَ مَجْرَدَ رَحْلَةٍ اسْتَطْلَاعِيَّةٍ ، أَوْ مَتْعَةٍ تَرْفِيهِيَّةٍ ، أَوْ مَجْرَدَ مَظَاهِرٍ وَشِغَارَاتٍ وَلَكِنَّهُ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ ، وَتَعْلِيمٌ عَمَلِيٌّ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَنَبْذٌ لِلْعَقَائِدِ الْجَاهِلِيَّةِ .

فاتقوا الله - عبادَ الله - في أداء حُجَّكُمْ وسائر عباداتكم بأنْ تكونَ خالصةً لوجه الله ، وصواباً على سنة رسول الله حتى يكونَ حُجَّكُمْ مبروراً ، فإنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في بيان توحيد العبادة من خلال
الحج ومناسكه

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا يُصْلِحُهُمْ وَيُصْلِحُ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَاهُمْ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَخْشَى الْخَلْقَ لِلَّهِ وَأَتَقَاهُمْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ . وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . . . أَمَا بَعْدُ :

أيُّهَا النَّاسُ : اتقوا الله تعالى يَا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِحَجِّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ ، وَتَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنَاسِكِهِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَأَدْرَكْتُمْ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ بِلَادِكُمْ مِنْ أَخْطَاءٍ تَخَالَفُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ . عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْعَوْا فِي تَصْحِيحِ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ ذَلِكَ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ اللَّهَ حَمَلَ الْعَالَمِ مَسْئُولِيَّةَ تَعْلِيمِ الْجَاهِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ لِيُذِخُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢]

فإياكم والمجاملة فيما يُغضب الله، والمداهنة في دين الله .
﴿أُولَئِكَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

فالمؤمن يسعى في إصلاح نفسه، ثم في إصلاح غيره، قال ﷺ : « لا يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

فاتقوا الله - عباد الله - واهتموا بدينكم عموماً وبعقيدتكم خصوصاً، فإنها
الأصل والأساس، فإن الدين يبنى على أصلين :

الأصل الأول : الإخلاص لله في العبادة، والأصل الثاني : المتابعة
لِلرَّسُولِ ﷺ . وهذان الأصلان إنما يُعرفان من تدبر الكتاب والسنة واتباعهما، فإن
خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في مشروعية الهجرة وأنواعها بمناسبة بداية العام الهجري

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، شرع لعباده هجرة القلوب، وهجرة
الأبدان، وجعل هاتين الهجرةين باقيتين على مر الزمان، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته الحسان، وأشهد أن محمداً
عبدُه ورسولُه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على سائر الأديان . صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا وجاهدوا حتى فتحوا القلوب والبلدان، ونشروا
العدل والإيمان، وسلم تسليمًا كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، وليكن لكم في سيرة نبيكم صلى الله عليه
وسلم خير أسوة، وذلك بترسم خطاه والسير على نهجه والاقتداء به في أقواله

وأفعاله وأخلاقه كما أمركم الله بذلك، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١]

في هذه الأيام يُكثرُ الناسُ من التحدُّثِ عن هجرة الرسول ﷺ في الخطب والمحاضرات ووسائل الإعلام، ولا يعدو حديثهم في الغالب أن يكون قصصاً تاريخياً يملأون به الفراغ في أيام معدودات، ثم يُترَك ويُنسى دون أن يكون له أثر في النفوس أو قدوة في الأعمال والأخلاق، بل لا يعدو أن يكون ذلك عادةً سنوية تُردَّدُ على الألسنة دون فقهٍ لمعنى الهجرة وعملٍ بمدلولها.

إنَّ الهجرةَ معناها لغة: مفارقة الإنسان غيره ببدنه أو بلسانه أو بقلبه... ومعناها شرعاً: مفارقة بلاد الكفر أو مفارقة الأشرار، أو مفارقة الأعمال السيئة والخصال المذمومة، وهي من ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات : ٩٩]

أي : مهاجرٌ من أرض الكفر إلى أرض الإيمان، وقد هاجر عليه الصلاة والسلام ببعض ذريته إلى الشام حيث البلاد المقدسة والمسجد الأقصى، وبالبعض الآخر إلى بلاد الحجاز حيث البلد الحرام والبيت العتيق كما جاء في دعائه لربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

والهجرة من شريعة محمد ﷺ حيثُ أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لما اشتدَّ عليهم الأذى من الكفار في مكة، فخرجوا إلى أرض الحبشة مرتين فراراً بدينهم، وبقي النبي ﷺ في مكة يدعو إلى الله، ويلاقي من الناس أشدَّ الأذى، وهو يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠]

فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة وأذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إليها، فبادروا إلى ذلك فراراً بدينهم وقد تركوا ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، وقد أثنى الله عليهم بذلك ومدحهم ووعدهم جزيل الأجر

والثواب، وصارت الهجرة قرينة الجهاد في كتاب الله عز وجل، وصار المهاجرون أفضل الصحابة حيث قرؤوا بدينهم، وتركوا أعز ما يملكون من الديار والأموال والأقارب والعشيرة، وباعوا ذلك لله عز وجل وفي سبيله وابتغاء مرضاته، وصار ذلك شريعة ثابتة إلى أن تقوم الساعة، فقد جاء في الحديث: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها» فكل من لم يستطع إظهار دينه في بلد، فإنه يجب عليه أن ينتقل منها إلى بلد يستطيع فيه إظهار دينه، وإظهار الدين معناه: القيام بالدعوة إلى الله وإعلان البراءة من الكفار والمشركين، وبيان بطلان ما هم عليه، وليس معنى إظهار الدين هو تمكينه من القيام بالشعائر التعبدية فقط دون القيام بالدعوة إلى الله ومعاداة الكفار وإعلان البراءة منهم ومن دينهم وبيان بطلان ما هم عليه.

وقد توعد الله من قدر على الهجرة فلم يهاجر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ كَمَا وَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا قَالُوا لَيْتَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]

فهذا وعيد شديد لمن ترك الهجرة بدون عذر، وهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين. فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ). أي: بترك الهجرة قالوا فيم كنتم، أي: لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة (قالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ)، أي: لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، وهذا اعتذار منهم غير صحيح، لأنهم كانوا يقدرُونَ على الهجرة فتركوها، ولهذا قالت لهم الملائكة توبيخاً لهم: (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا).

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِظْهَارَ دِينِهِ فِي بَلَدٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ إِلَى بَلَدٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا ذَلِكَ، فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَا تَخْلُو مِنْ بِلَادٍ صَالِحَةٍ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء : ١٠٠].

أي : يجد مكاناً يتحصَّن فيه من أذى الكُفَّارِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ يَعُوْضُهُ اللَّهُ بِهِمَا عَمَّا تَرَكَ فِي بِلَدِهِ مِنَ الْمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَاءُ لِآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٤١ - ٤٢]

عباد الله : ومن أنواع الهجرة هَجْرُ الْمَعَاصِي مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالنِّفَاقِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْوَخِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ٥] الرُّجْزُ : الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا : تَرْكُهَا وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا.

وقال النبي ﷺ : «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» أي : تَرَكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْمَأْكَلِ الْمَحْرَمَةِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالنَّظَرِ الْمَحْرَمِ وَالسَّمَاعِ الْمَحْرَمِ، كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ يَجِبُ هَجْرُهَا وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهَا.

ومن أنواع الهجرة هَجْرُ الْعِصَاةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْفُسَّاقِ، وَذَلِكَ بِالْإِبْتِعَادِ عَنْهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل : ١٠]

أي : اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِكَ (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) أي : اتركهم تركاً لا عتاب معه.

ومن أعظم أنواع الهجرة هجرة القلوب إلى الله تعالى بإخلاص العبادة له في السر والعلانية حتى لَا يَقْصِدَ الْمُؤْمِنُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ، وَلَا يُحِبُّ إِلَّا اللَّهَ وَمَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ الْهَجْرَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاتِّبَاعِهِ وَتَقْدِيمِ طَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وبالجملة فهذه الهجرة هجرةٌ إلى الكتاب والسنة من الشراكيات والبدع والخرافات والمقالات والمذاهب المخالفة للكتاب والسنة، فتبين من هذا أن الهجرة أنواع، هي:

هجرُ أمكنة الكفر.. وهجرُ الأشخاص الضالين.. وهجرُ الأعمال والأقوال الباطلة.. وهجرُ المذاهب والأقوال والآراء المخالفة للكتاب والنسبة..

فليس المقصود التحدث عن الهجرة بأسلوب قصصي وسرد تاريخي، أو أن تقام لمناسبتها طقوس واحتفالات، ثم تُنسى ولا يكون لها أثرٌ في النفوس أو تأثيرٌ في السلوك، فإن كثيراً ممن يتحدثون عن الهجرة على رأس السنة لا يفقهون معناها ولا يعملون بمقتضاها، بل يخالفونها في سلوكهم وأعمالهم فهم يتحدثون عن هجرة الرسول وأصحابه وتركهم أوطان الكفر إلى وطن الإيمان وهم مُقيمون في بلاد الكفار، أو يسافرون إليها لقضاء الإجازة أو للنزهة، أو لقضاء شهر العسل كما يُسمونه بعد الزواج.

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عبادة القبور والأضرحة، بل يعبدونها من دون الله كما تُعبد الأصنام أو أشد، يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون الكفار والمنافقين والفاسقين، بل يتخذونهم أصدقاءً وأولياء من دون المؤمنين.

ومنهم من يجلب الكفار إلى بلاد المسلمين ويسكنهم بين أظهرهم ويمكّنهم من الدخول في البيوت وتربية الأولاد والخلوة بالمحارم ويأتمنونهم على الأسرار، فأين هجرُ الأشرار؟!

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المذاهب الباطلة والآراء المضلة والقوانين الكفرية، بل يجعلونها مكان الشريعة الإسلامية.

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المعاصي والأخلاق الرذيلة، فلا يهجرون الأغاني الماجنة والمزامير الفاتنة، والأفلام الخليعة، والمسلسلات الهابطة.

يتحدّثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عادات الكفار وتقاليدهم، بل يتشبّهون بهم في حلقِ اللحى وإطالةِ الشوارب وسفورِ النساء وغير ذلك من عوائد الكُفّار المذمومة، فأين هي معاني الهجرة وأنواعها من تصرّفات هؤلاء؟

فاتقوا الله - عباد الله - واقتبسوا من الهجرة وغيرها من أحداث السيرة النبوية دروساً تنهجونها في حياتكم، ولا يَكُنْ تحدّثكم عن الهجرة مجرد أقوالٍ على الألسنة أو حبر على الأوراق. . أعودُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال : ٧٤]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الهجرة

الحمدُ لله وحده، أنجز وعده، وأعزّ جنده، وهزّم الأحزاب وحده، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرّف ربه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، فلا نبي بعده. صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الهجرة من أعظم مقامات الدين . بها يفارق المسلم الكافر في وطنه وفي عقيدته وفي أخلاقه، وبها يحصل اعتزاز المسلم بدينه وفي شخصيته، وبها يحصل الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين . وقد كانت هجرة النبي ﷺ حدثاً عظيماً فرّق الله به بين أوليائه وأعدائه، وجعلها مبدأ لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله وميزة تميّز بها المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ على غيرهم، فكان المهاجرون أفضل الصحابة وأسبقهم ذكراً في القرآن الكريم .

وقد جعلَ صحابةُ رسول الله ﷺ الهجرةَ مبدأً لتاريخهم، فصاروا يؤرخون بها، وذلك أن عمرَ رضي الله عنه استشارَ أصحابَ رسول الله ﷺ في المبدأ الذي يؤرخون به خطاباتهم ومعاملاتهم، فأشاروا عليه أن يكونَ التاريخُ بهجرةِ النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين من بعدي» .

فلا يجوزُ للمسلمين استعمالُ التاريخِ الميلادي أو غيره من تواريخ الكُفار، لأنه لو كانَ جائزاً لما عدلَ عنه الصحابةُ رضي الله عنهم، ولأنَّ في استعمالِ التاريخِ الميلادي أو غيره من تواريخ الكُفار تشبُّهاً بالكفار ومشاركةً لهم في طقوسهم وأعيادهم، وقد نُهيينا عن التشبه بهم، والله قد أغنانا وأعزَّنَّا بالإسلام فلنعتزَّ به وبتاريخه ولنتمسك بكتاب ربِّنا وسنةِ نبينا، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في تحريم الضرر والضرار

الحمدُ لله ربَّ العالمين، أمرَ بالبرِّ والإحسان، ونهى عن الظلم والعدوان .
وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك والحمد والعظمة والسلطان
وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان . صَلَّى الله عليه وعلى
آله وأصحابه الذين نَشروا دينه في عموم الأوطان، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا . . . أما
بعدُ :

أيُّها الناس : اتقوا الله تعالى ، وكونوا عبادَ الله إخواناً كما سماكم الله ، يُحِبُّ
أحدكم لأخيه من الخير ما يحبُّه لنفسه، ويكرهُ له من الشرِّ ما يكرهُ لنفسه، يبذلُ
خيرَه لأخيه . ويكفُّ عنه شرَّه ولا يؤذيه . عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه : أن
رسول الله ﷺ قال : « لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ » حديثٌ حسنٌ رُوِيَ مسنداً ومرسلاً . وله

طرق يقوي بعضها بعضاً، وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به، وهو يدل على تحريم الضرر والضرار، والضرر: ضد النفع، وقد دل الحديث على تحريم إيصال الضرر إلى الناس بغير حق في أبدانهم وأعراضهم وأولادهم وأموالهم. وفي الحديث الآخر «مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ».

والمضارة بالناس على نوعين :

النوع الأول : أَنْ يُضَارَّهُمْ فِي غَيْرِ مَصْلَحَةٍ تَعُودُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ . وهذا لا شك في تحريمه وقبحه وقد ورد في القرآن القرآن الكريم النهي عن المضارة في مواضع : منها المضارة في الوصية ، قال تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ [النساء : ١٢]

وفي الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً : «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ فَيُضَارُّ فِي الْوَصِيَّةِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» ثم تلا : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء : ١٣ - ١٤] وخرجه الترمذي وغيره بمعناه .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الإضرار في الوصية من الكبائر ، ثم تلا هذه الآية .

وذلك لأن الله توعد أن يدخله النار خالداً فيها ، وذلك لا يكون إلا على كبيرة .

والإضرار في الوصية على نوعين :

النوع الأول : أَنْ يُوصِيَ لِبَعْضِ الْوَرِثَةِ بزيادةٍ على فرضه الذي فرضه الله له فيتضرر بقية الورثة ، ولهذا قال النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَدَرَ وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ» .

النوع الثاني : أَنْ يُوصِيَ بِزيادةٍ على الثُلث لغير وارث ، فينقص حقوق

الورثة، والنبي ﷺ إنما رَخَّصَ بالوَصِيَّةِ بِالثُّلْثِ فَأَقْلَ، فقال: «الثلث، والثلث كثير».

ومن المضاربة المنهي عنها في القرآن المضاربة في العشرة الزوجية .
كالمضاربة بمراجعة الزوجة المطلقة إذا طَلَّقَهَا ثم راجعها من غير أن يكون له رغبة فيها، وإنما قصده حبسها حتى تُصْبِحَ لا هي ذات زوج ولا مطلقة .

وفي الجاهلية كان الرجل يطلق المرأة فإذا قاربت نهاية العدة راجعها إضراراً لئلا تذهب إلى غيره، ثم يطلقها، قال تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّنَعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣١]
وقال تعالى: ﴿ وَبَعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

فدل ذلك على أن مَنْ كان قصده بالرجعة المضاربة بالزوجة فإنه آثم بذلك .

ومن أنواع المضاربة في العشرة الزوجية المضاربة بالإيلاء بأن يحلف على ترك وطء زوجته، وقد أمر الله أن يضرب له مدة أربعة أشهر، فإن رجع في أثنائها وكفر عن يمينه ووطئ زوجته كان ذلك توبته، وإن استمر على يمينه ولم يطأ زوجته حتى مضت أربعة الأشهر ألزمه الحاكم إما بالرجوع إلى وطء زوجته والتكفير عن يمينه . وإما بالطلاق، وذلك لإزالة الضرر عن الزوجة، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]

ومن المضاربة في العشرة الزوجية أن يطيل الزوج السفر من غير عذر، وتطلب امرأته قدومه فيأبى، وحكمه أنه يُمهَلُ ستة أشهر، فإن أبى القدوم بعد مضيها فإن الحاكم يفرق بينه وبين زوجته إذا طلبت ذلك دفعا للضرر عنها .

ومن أنواع المضاربة الممنوعة في القرآن المضاربة في تربية الأولاد كالمضاربة في الرضاع .

قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ بِوَلَدَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

فإضرارُ الوالدةِ بولدها أن يُنزعَ ولدها منها من أجلِ الإضرارِ بها، وإضرار المولود له (وهو الأب) بولده أن تأبى أمه أن تُرضعه، ليتكلف الأب طلبَ المراضع والمربياتِ له من غيرها.

ومن أنواع الضرر المنهي عنه في القرآن المضارة في المعاملات . كمضارة الكتاب والشهود الذين يكتبون الوثائق ويثبتون الحقوق بكتاباتهم وشهاداتهم، وقد نهى الله عن المضارة بهم والمضارة منهم بأصحاب الحقوق، قال تعالى : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

فالإضرارُ بالكاتب والشاهد أن يُدعى للكتابة والشهادة في وقتٍ أو حالةٍ تضرهما . ومضارة الكاتب والشاهد لأصحاب الحقوق أن يكتب الكاتب غير ما يُملئ عليه، ويشهد الشاهد بخلاف ما رأى أو سمع، أو يكتُم الشهادة بالكلية عند الحاجة إليها.

ومن المضارة في المعاملات المضارة بالمدين المعسر الذي أمر الله بإنظاره إلى مسيرة أو إعفائه من الدين، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ نَصَدِّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] فلا تجوز مطالبته ولا حبسه ما دام معسراً . كما لا يجوز أن يضار المدين الواجد بالدائن فيما طلبه من قضاء حقه .

ومن المضارة المنهي عنها في المعاملات بيعُ المضطر، وذلك بأن يضطرَّ الفقيرُ إلى شراءِ سلعةٍ، فلا يجد من يبيعُ عليه إلا بغبٍ فاحشٍ، أو يضطرَّ إلى بيعِ سلعةٍ فلا يجد من يشتريها منه إلا برخصٍ كثيرٍ . وقد روى أبو داود بسنده عن النبي ﷺ أنه خطبَ الناسَ، فقال : «إنه سيأتي على الناسِ زمانٌ عضوضٌ يعرضُ الموسرُ على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك» . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾

[البقرة : ٢٣٧]

ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطر.

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ تَعُودُ بِهِ عَلَى أَخِيكَ وَإِلَّا فَلَا تَزِيدَنَّهُ هَلَكَاءً إِلَى هَلَكَاهُ ».

وقد سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْ بَيْعِ الْمَضْطَرِ مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ : يَجِئُكَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ ، فَتَبِيعُهُ مَا يَسَاوِي عَشْرَةَ بَعَشْرِينَ .

عباد الله : إنه لا مانع من البيع المؤجل بثمن أكثر من الثمن الحاضر للمحتاج وغير المحتاج ، ولكن لا ينبغي أن تكون الزيادة كثيرةً مجحفة ، لا سيما إذا كان المشتري مضطراً إلى الشراء ، فلا ينبغي أن تستغل ضرورته ، ويحمل الزيادات الباهظة ، لأن هذا إضراراً يتنافى مع الرحمة والفضل بين المسلمين .

ومن أنواع الضرر الممنوع في الإسلام الضرر في مجال العبادات . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تُغْنِيهِمْ أَبَدًا ﴾ [التوبة : ١٠٧ - ١٠٨]

فاعتبر الضرر الحاصل في اتخاذ هذا المسجد في مطلع المقاصد السيئة ، ومنع رسوله من الصلاة فيه وأمر بهدمه .

النوع الثاني من أنواع المضارة : أن يضارَّ الناس بما فيه له منفعة خاصة ، مثل أن يتصرف في ملكه بما يترتب عليه الإضرار بجيرانه ، مثل أن يغرس في ملكه شجراً تتمدد أغصانه وعروقه على أملاك جيرانه ، أو يحفر بئراً تجذب الماء عنهم ، أو ينشيء مصنعا في ملكه يتضرر منه جيرانه بالدخان أو الغبار أو الأصوات أو الروائح ، أو يفتح في جداره نوافذ تطل على جيرانه أو يعلي البناء عليهم فيمنع عنهم الهواء ، والشمس إلى غير ذلك فإن هذا الضرر ممنوع تجب عليه إزالته .

وكذلك من أعظم المضارة بالجيران أن يؤجر بيته لأناس لا يصلون ولا

يخافون الله ، فإن هؤلاء يُضُرُّون المسلمين ويُضايقونهم وقد يؤثرون على أولادهم ومن خالطهم . فاتقوا الله يا مَنْ تَؤْجِرُونَ البيوت لا تجلبوا الكفرة والفساق وتسكنوهم بجوار المسلمين ، فإن الأجرة التي تحصل منهم لكم حرام ، والمسلمون يدعون عليكم فتلحقكم الآثام . وكذلك يحرم تأجير الدكاكين والمحلات لبيع المواد المحرمة كتسجيلات الأغاني وأشرطة الفيديو أو جعلها محلات للتصوير أو بيع التبغ ويجب على الحاكم إزالة الضرر إذا اشتكى منه الجيران وامتنع من إزالته .

ومن الإضرار الممنوع في حق الجار منعه من الارتفاق بملك جاره على وجه لا يضر به ، كأن يحتاج إلى وضع خشبة على جدار جاره ، والجدار يتحمل ، فإنه يجب على صاحب الجدار أن يُمكِّنه من ذلك ، لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : قال : «لا يَمْنَعَنَّ أحدكم جاره أن يغررَ خشبه على جداره» . وقضي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن يُجري ماء جاره في أرضه لما احتاج إلى ذلك ، وقال : لَتَمِرَنَّ به ولو على بطنك .

ومن الإضرار الممنوع أن يُمنَعَ الناس من الانتفاع بالمباحات المشتركة ، كالمنع من فضول المياه الجارية في الأنهار والأودية والمجمعة في الخوابي وغيرها ، أو يُمنَعُوا من الرعي في الفلوات . أو الاحتشاش أو الاحتطاب من الأراضي الموات ، أو الانتفاع بالمعادن المباحة كمعادن الملح وغيره . في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاء» . وفي «سنن أبي داود» : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : يا نبي الله ، ما الشيء الذي لا يحلُّ منعه . قال : «الماء» ، قال : يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحلُّ منعه ؟ قال : «الملح» ، قال : يا نبي الله ، ما الشيء الذي لا يحلُّ منعه ، قال : «أن تفعلَ الخيرَ خيرَ لك» . وقال ﷺ : «الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والنار والكلاء» .

ومن الأضرار الممنوع : مضارة الناس في طرقاتهم بوضع الأذى فيها، أو وضع ما يمنع المرور أو يسبب الحوادث . أو مخالفة أنظمة السير بما يعرض الناس للخطر، كل هذا ضرر محرم .

فاتقوا الله عباد الله وعليكم ببذل النفع لإخوانكم وجيرانكم ومنع الضرر والضرار: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في التحذير من الضرر والضرار

الحمد لله رب العالمين الذي خلق فسوى، والذي قَدَّرَ فَهَدَى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالدين والهدى وكلمة التقوى . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا في الآخرة والأولى . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه كما يحرم على المسلم أن يضرَّ بالناس يحرم عليه أن يضرَّ نفسه كأن يعرضها للخطر من غير مصلحة راجحة، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥]

وقد توعدَّ الله مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِأَشَدِّ الوعيد، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ٢٩ - ٣٠]

وكذلك من تسبَّب في قتل نفسه أو إمرض جسمه أو الإخلال بعقله بتناول المسكرات والمخدرات وشرب الدخان والقات، فإنه متوعدُّ بأشدِّ الوعيد ومعروض لأشنع العقوبات في الدنيا والآخرة .

ومن الإضرار بالنفس : التشديدُ عليها وتعريضُها للمشقة في أمورِ العبادات ، وقد شرَعَ الله لعباده شريعةً سَمَحَةً لا حرجَ فيها ، فقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقال ﴿ وَمَجَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

شرَعَ لأصحاب الأعذار من المَرْضَى والمسافرين والخائفين أحكاماً تُخَصِّصُهم في الصلاة والصيام وتتناسبُ مع أحوالهم ، وشرَعَ لعباده الاقتصادَ في العبادة مع المداومة عليها . فخيرُ العمل ما دامَ عليه صاحبه وإن قلَّ .

ونَهَى عن الغُلُوِّ والتشديد ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة : ٧٧] وقال النبي ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ» .

والغُلُوُّ : هو الزيادةُ عن الحدِّ المشروع ، وَلَمَّا بلغَ النبي ﷺ أن ثلاثةً من أصحابه أرادَ أحدهم أن يصومَ فلا يُفْطِرَ ، وأرادَ الآخرُ أن يقومَ الليلَ فلا يرقُدَ وأرادَ الثالثُ أن لا يتزوَّجَ النساء ، قال ﷺ : «أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاء ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سِتِّي فليسَ مِنِّي» . فعليكم - عبادَ الله - باتِّباعِ الكتاب والسنة في عباداتكم ، فخيرُ الحديث كتاب الله ، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها . . الخ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في معنى قوله ﷺ « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَ بَيْنٌ »

الحمد لله على جميع نعمه وأجلها نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بين لأمتيه الحلال والحرام. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وَسَلَّم تسليماً كثيراً ما تعاقبت الليالي والأيام... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن في الحلال غنية عن الحرام ، ومنجاة من العقوبات والآثام .

في «الصحيحين» عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يوشك أن يرتع فيه ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .

ففي هذا الحديث قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَشْيَاءَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . وَبَيْنَ مَوْقِفِ الْمُسْلِمِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ :

القسم الأول : الحلال البين : وهو الطيبات من المأكَل والمشارب والملابس والمناكح والمكاسب وغيرها مما نصَّ الله على جِلِّهِ ، أو لم يَرِدْ دَلِيلٌ بتحريمه ، فيبقى على الإباحة .

القسم الثاني : الحرام البين : وهو الخبائث من المأكَل والمشارب والملابس والمناكح والمكاسب وغيرها مما نصَّ الله على تحريمه ، أو ظَهَرَ خُبُّهُ

وضرُّه: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، والخمر والزنى، ونكاح المحارم، والرِّبَا، والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل من الغصب، والسرقة، والظلم، والرُّشوة، والغش، والخديعة أو أخذها بالخصومات الفاجرة والأيمان الكاذبة وشهادات الزور إلى غير ذلك من أنواع الظلم.

فالحلالُ البَيِّنُ كُلُّ يَعْرِفُهُ: العالمُ والجاهل، ونفسُ المؤمنِ تَطْمَئِنُّ إليه، وله آثارٌ طيبة على القلب والسلوك، وله فوائدٌ صحيحة للجسم والقلب، لأنَّه يغذِّي تغذيةً طيبةً، ويقوي على الطاعة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَامِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]

وموقفُ المسلم من هذا القسم أن يأخذه ويتمتَّع به من غير إسرافٍ، ويتقوى به على طاعة الله، ويشكر الله عليه.

والحرامُ البَيِّنُ: أيضاً كُلُّ يَعْرِفُهُ: العالمُ والجاهل، ونفسُ المؤمن لا تطمئنُّ إليه، وله آثارٌ قبيحة على القلب والسلوك، وله أضرارٌ صحيحة على الجسم والقلب، لأنَّه يغذِّي تغذيةً خبيثة.

وموقفُ المسلم من هذا القسم اجتنابه والابتعادُ عنه. لا يُدْخِلُهُ في ماله، ولا يأكلُ منه، ولا يلبسُ منه ولا يستعملُهُ بأي نوعٍ من الاستعمال، لأنَّه مأمورٌ بتركه واجتنابه وعدم القرب منه.

القسم الثالث: المشتبه: وهو ما يَخْفَى حكمُهُ على كثير من الناس، فلا يدرون: هل هو من قسم الحلال، أو من قسم الحرام؟ ولا يَظْهَرُ حكمُهُ إلا للراسخين في العلم، فيعرفون من أي القسمين هو.

وهذا مثلُ المسائلِ المختلفِ فيها بَيِّنَ أهلِ العلم نظراً لاختلاف الأدلة فيها وحاجته إلى نظرٍ دقيق، ومثلُ اختلاطِ المالِ الحلالِ بالمالِ الحرامِ على وجهٍ لا يمكنُ التمييزُ بينهما، ومثلُ اختلاطِ ملكه بملك غيره. واختلاطِ الميتة بالمُدَكَّاةِ من الحيوان، ومثلُ وجودِ شبهةٍ تحريمِ الرضاع فيمن يريدُ أن يتزوَّجها.

وموقفُ المسلم من هذا القسم أن يتوقف عنه تورعاً حتى يتبين له حكمه
تغليباً لجانبِ التحريم وإيثاراً للسلامة وبراءةِ الذمة، كما قال ﷺ: «فمن أتقى
الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه» أي: طلب البراءة لدينه من النقص ولعرضه من
الذم.

والعرضُ: هو موضعُ المدح والذم من الإنسان، فمن تجنب الأمور
المشتبهة فقد حصّن عرضه من الذم والعيب، كما أنه قبل ذلك قد حصّن دينه من
النقص والخلل، وعلى الجاهل مع ذلك أن يسأل أهل العلم عما اشتبه عليه،
قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

فسؤال أهل العلم يزولُ الجهل ويتضح الحق لمن أراد، وكما أن في
اجتناب الشبهات وقايةً للدين والعرض، ففيه أيضاً حصولُ الحاجز بين الإنسان
وبين الوقوع في الحرام، لأن من تورّع عن المشتبهات كان متورعاً عن الحرام من
باب أولى.

وقد كان النبي ﷺ يرى التمرة ساقطة في بيته أو في الطريق فلا يأكلها خشيةً
أن تكون من الصدقة، لأن الصدقة محرمة عليه ﷺ.

وقال لسبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى ما لا
يريبك».

ولهذا قال ﷺ في الذي يأتي الشبهات ولا يتورّع عنها مع اشتباهها: «ومن
وقع في الشبهات وقع في الحرام» إما لأنه حينئذ يفقد الورع الذي يحجزه ويبعده
عن الحرام، فإذا تجرأ على المشتبهات تجرأ على الحرام بالتدريج، وإما لأنه لا
يؤمن أن يكون في تناوله للمشتبه وقع على القسم المحرم منه، فيكون قد وقع في
الحرام حقيقةً، وكل هذا لعدم مبالاته. وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً شبه فيه هذا
الذي لا يتورّع عن الشبهات بالراعي الذي يرعى دوابه حول حمى حماه أحد

الملوك، فَمَنْعَ من الرعي فيه، فَإِنَّ الراعي إِذَا سَمَحَ لدوابه أَنْ ترعى قريباً من حدود هذا الحمى فإنه لا يَأْمَنُ أَنْ تدخلَ في الحمى وترعى فيه فيعاقبه المَلِكُ.

كذلك فَإِنَّ الله سبحانه له حِمَى مَنَعَ الدخولَ فيه، وهو ما حرَّمه على عباده، فمن قاربَ حِمَى الله بتناولِ المشتبهات وقعَ في حِمَى المحرمات، وحَلَّتْ عليه العقوبات، والله سبحانه حَمَى هذه المحرماتِ وسَمَّاها حدوده، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: لا تقربوا المحرماتِ التي حرَّمها، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا أَلْفَاوِحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]

وأما الحلال فقد نَهَى الله عن تعديهِ، فقال: ﴿بِهِنَّ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

فقد حَدَّدَ الله للناس الحرامَ والحلالَ، ونهى عن القُرْبِ من الحرام وعن تعدي الحلال.

عباد الله: إِنَّهُ لَمَّا قَلَّ الخوفُ من الله في هذا الزمان في قلوب كثير من الناس، وزالَ عنها الورعُ تجرأ كثير من الناس على فعلِ المحرماتِ وتركِ الواجبات، فكثُرَ الظلمُ والعدوان، والزورُ والبهتان، وكثُرَتِ الخصوماتُ الفاجرة والحيلُ الباطلة، وضاعت الأمانة وكثُرَتِ الخيانة، وأكل الربا، وأخذت الرشوة وكثُرَ الغشُّ والخديعة والكذبُ في المعاملات، وقُطعت الأرحام، وأكلت أموال الأيتام، تباغضتِ القلوب، وتناكرت النفوس، وكثُرَ في الناس تضييعُ الصلوات، ومنعُ الزكاة، والتهاونُ بالجمعِ والجماعات. وفشا في الناس عقوقُ الوالدين وقطيعةُ الأرحام، كلُّ ذلك بسببِ عدمِ التقيدِ بأحكام الحلال والحرام. والتورعِ عن المشابهة وما يَجُرُّ إلى الآثام.

فاتقوا الله - عباد الله ، وتوبوا إلى الله جميعاً - أيها المؤمنون - لعلكم تفلحون : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحلال والحرام

الحمد لله على فضله وإحسانه ، هداانا للإسلام ، وبَيَّنَ لنا الحلال والحرام .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ذو الجلال والإكرام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وسلم تسليماً كثيراً على الدوام . . . أما بعد :
أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن التقوى هي صلاح القلب ، فإذا صَلَحَ القلب صَلَحَتِ الأعمال والتصرفات ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُهُ لِلَّهِ فَإِنَّهُمْ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢]

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي ما زلنا نتأمل في معانيه : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسد كله ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كله ، ألا وهي القلب» فصلاح حركات العبد واجتنابه للمحرمات واتقاؤه للشبهات بحسب صلاح قلبه ، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله ، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه الله . صَلَحَتْ حركات الأعضاء كلها ، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقّي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات ، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يشتهي الإنسان ولو كرهه الله فَسَدَتْ حركات الجوارح كلها وانبعثت إلى المعاصي والمشتبهات ، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[الشعراء : ٨٨ - ٨٩]

واعلموا أن القلب يتأثر ويمرض بفعل المعاصي وترك الطاعات، فيمرض بالنفاق، قال تعالى في المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠]

ويُحجب بالمعاصي فيُغلف بغلافٍ كثيفٍ فلا يصلُ إليه نورٌ، ولا تؤثر فيه موعظةٌ، وهذا هو الرأ الذي قال تعالى فيه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤]

كما أن أكلَ الحرام . وعدمَ التورع عن الآثام يُقسي القلب فلا يستجيب له دعاء، قال ﷺ «أبعدُ الناسِ من الله القلبُ القاسي» رواه الترمذي .

فاتقوا الله عبادَ الله وحافظوا على صحة قلوبكم من أمراضِ المعاصي ، أكثرَ مما تحافظون على أجسامكم من الأمراضِ الحسية ، وداووها بكتابِ الله وسنة رسوله فإن خيرَ الحديث كتاب الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان الربا وحكمه

الحمدُ لله رب العالمين ، أحلَّ البيع وحرَّم الربا - لما فيه من الأضرارِ البالغة والأخطارِ المدمرة ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين امتثلوا أمره واجتنبوا ما نهاهم عنه وقدموا محبته على كل شيءٍ وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقوا الله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُم وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ مِنَ اللَّهِ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال : ٢٨]

فاحذروا فتنة المال ، فإنها خطيرة ، ونحن نخُصُّ في هذه الخطبة التحدث عن موضوع من أخطر المواضيع المالية ، ألا وهو موضوع الربا الذي أجمعت الشرائع على تحريمه ، وتوَعَّدَ الله المتعاملَ به بأشدَّ الوعيد ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] فأخبر سبحانه أنَّ الذين يتعاملون بالربا (لا يقومون) أي : من قبورهم عند البعث (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) أي : إلا كما يقوم المصروع بالجنون في حال صرعه ، وذلك لتضخم بطونهم بسبب أكلهم الربا في الدنيا .

كما توَعَّدَ الله سبحانه الذي يعودُ إلى أكل الربا بعدَ معرفة تحريمه بأنه من أصحاب النار الخالدين فيها ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأَوْثَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]

كما أخبر الله سبحانه أنه يمحَقُّ بركة الربا ، قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٦]

أي : يمحَقُّ بركة المال الذي خالطه الربا ، فمهما كُثرت أموال المرابي وتضخمت ثروته فهي محققة البركة لا خيرَ فيها ، وإنما هي وبال على صاحبها تعب في الدنيا وعذاب في الآخرة ، ولا يستفيد منها ، وقد وَصَفَ الله المرابي بأنه كَفَّارٌ أَثِيمٌ ،

قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

[البقرة : ٢٧٦]

فأخبر الله سبحانه أنه لا يُحِبُّ المرابي ، وحرمانه من محبة الله يستلزم أن الله يُبْغِضُهُ ويمقتَه . وتسميته كَفَّاراً ، أي : مبالغاً في كُفْرِ النعمة ، وهو الكفر الذي لا يُخرجُ عن الملة فهو كَفَّارٌ لنعمة الله ، لأنه لا يرحم العاجز ولا يساعد الفقير ، ولا يُنْظَرُ المعسر . أو المراد : أنه كَفَّارٌ الكفر المخرج من الملة إذا كان يستحل الربا . وقد وَصَفَه الله في هذه الآية الكريمة بأنه أَثِيمٌ ، أي : مبالغ في الإثم منغمس في الأضرار المادية والخلقية ، وقد أعلن الله الحرب منه ومن رسوله على المرابي ،

لأنه عدو لله ولرسوله إن لم يترك الربا، ووصفه بأنه ظالم، قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة - ٢٧٩]

وإلى جانب هذه الزواجر القرآنية من التعامل بالربا، جاءت زواجر في سنة الرسول ﷺ فقد عدّه النبي ﷺ من الكبائر الموبقة، أي : المهلكة، ولعن ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، كما أخبر ﷺ أن درهماً واحداً من الربا أشد من ثلاث وثلاثين زنيه في الإسلام، أو ست وثلاثين زنيه، على ما في الزنى من شناعة ..

وأخبر أن الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وتحريم الربا أشد من تحريم الميسر، وهو القمار، لأن المرابي قد أخذ فضلاً محققاً من محتاج، والمقامر قد يحصل له فضل، وقد لا يحصل له . فالربا ظلم محقق لأن فيه تسليط الغني على الفقير بخلاف القمار، فإنه قد يأخذ فيه الفقير من الغني، وقد يكون المتقارمان متساويين في الغنى والفقير فهو وإن كان أكلاً للمال بالباطل وهو محرّم فليس فيه من ظلم المحتاج وضرره ما في الربا .

وأكل الربا من صفات اليهود التي استحقوا عليها اللعنة الخالدة والمتواصلة، قال الله تعالى : ﴿ فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٠ - ١٦١]

والحكمة في تحريم الربا أن فيه أكلاً لأموال الناس بغير حق، لأن المرابي يأخذ منهم الربا من غير أن يستفيدوا شيئاً في مقابله، فيه إضرار بالفقراء والمحتاجين بمضاعفة الديون عليهم عند عجزهم عن تسديدها، وفيه قطع للمعروف بين الناس وسد لباب القرض الحسن، وفتح لباب القرض بالفائدة التي

تثقل الغني والفقر، وفيه تعطيل للمكاسب والتجارات والحرف والصناعات التي لا تنتظم مصالح العالم إلا بها، لأن المرابي إذا تحصّل على زيادة ماله بواسطة الربا بدون تعب، فلن يلتمس طرقاً أخرى للكسب الشاق ما دام أن ماله يزيد تلقائياً في ذمة المدين . .

والله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معاشهم قائماً على أن تكون الاستفادة كل واحد من الآخر مقابل عمل يقوم به له، أو عين يدفعها إليه، والربا خالٍ من ذلك، لأنه عبارة عن إعطاء المال مضاعفاً من طرفٍ لآخر بدون مقابلة من عينٍ ولا عملٍ .

أيها المسلمون : بعد ما سمعتم شدة تحريم الربا والوعيد عليه أظنكم تسألون ما هو الربا؟

فاعلموا أن الربا في اللغة : معناه الزيادة. وفي الشرع : زيادة في أموالٍ مخصوصة، وينقسم إلى قسمين : ربا النسيئة، وriba الفضل . . وriba النسيئة مأخوذ من النساء، وهو التأخير، وهو نوعان :

أحدهما : قلب الدين على العسر، وهذا هو أصل الربا في الجاهلية : أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل، فإذا حلّ الأجل قال له : أتقضى أم تربى؟ فإن وفاه وإلا زاد هذا في الأجل، وزاد هذا في المال فيتضاعف المال في ذمة المدين، فحرم الله ذلك بقوله : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾

[البقرة : ٢٨٠]

فإذا حلّ الدين وكان المدين معسراً لم يجز أن يقلب الدين عليه، بل يجب إنظاره، وإن كان موسراً كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى زيادة الدين مع يسار المدين، ولا مع إعساره، ولا يحلّ للدائن إلا رأس ماله في ذمة المدين .

النوع الثاني : من ربا النسيئة، ما كان في بيع كل جنسين اتفقا في علة ربا الفضل مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما، كبيع الذهب بالذهب، والفضة

بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والمِلْحُ بالملح مؤجلاً، وكذا بيع جنسٍ بجنسٍ آخر من هذه الأجناس مؤجلاً، وما شارك هذه الأشياء في العلة يجري مجراها.

والقسم الثاني : ربا الفضل ، وهو عبارة عن الزيادة في أحد العوضين إذا بيع بجنسه حالاً . وقد نصَّ الشارعُ على تحريمه في ستة أشياء هي : (الذهب، والفضة، والبرُّ والشعير، والتمر، والملح)، فإذا بيع أحدُ هذه الأشياء بجنسه حُرِّمَ التفاضلُ بينهما قولاً واحداً، لحديث عُبَادَةَ بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : «الذهبُ بالذهب، والفضةُ بالفضة، والبرُّ بالبرِّ، والشعيرُ بالشعير والتمر بالتمر، والمِلْحُ بالملح ، مثلاً بمثلٍ يداً بيدٍ» رواه الإمام أحمد ومسلم .

فدلَّ الحديثُ على تحريم بيع الذهب بالذهب بجميع أنواعه من مضروب، وغير مضروب، وجيدٍ وردىء، ومن بيع الفضة بالفضة بجميع أنواعها كذلك إلا مثلاً بمثلٍ يداً بيد سواءً بسواء، وعن بيع البرِّ بالبرِّ، والشعير بالشعير والتمر بالتمر بجميع أنواعه، والملح بالملح إلا متساويةً : مثلاً بمثل سواءً بسواء يداً بيد، ويُقاسُ على هذه الأشياء الستة ما شاركها في العلة فيحرمُ فيه التفاضلُ عند جمهور أهل العلم إلا أنهم اختلفوا في تحديد العلة .

والصحيحُ أنَّ العلةَ في النقيدين الثمنية، فيقاسُ عليها كلُّ ما جعلَ أثماًناً أي : نقوداً كالأوراق النقدية المستعملة في هذه الأزمنة فيحرمُ فيها التفاضلُ إذا بيع بعضها ببعض مع اتحاد الجنس .

والصحيحُ أنَّ العلةَ في بقية الأصناف الستة : البرُّ والشعير والتمر والملح ، هي الكيلُ أو الوزن مع كونها مطعومةً، فيتعدى الحكمُ إلى ما شاركها في تلك العلة ممَّا يُكَالُ أو يُوزَنُ، وهو مما يُطْعَمُ، فيحرم فيه ربا التفاضل .

فعلى هذا كلُّ ما شارك هذه الأشياء الستة المنصوصَ عليها في تحقُّق العلة فيه بأن يكون مكيلاً مطعوماً أو موزوناً مطعوماً، أو تحققت فيه علةُ الثمنية بأن كان

من النقود فإنه يدخله الربا، فإن انضاف إلى العلة اتحاد الجنس كبيع بربر حرم فيه التفاضل والتأجيل، لقوله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد».

وإن اتحدت العلة مع اختلاف الجنس كالبر بالشعير حرم فيه التأجيل، وجاز فيه التفاضل، لقوله ﷺ: «إذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» رواه مسلم وأبو داود. . ومعنى قوله: (يداً بيد)، أي: حالاً مقبوضاً في المجلس قبل افتراق أحدهما عن الآخر.

وإن اختلفت العلة والجنس جاز الأمران: التفاضل والتأجيل، كالذهب بالبر، والشعير بالفضة، ثم لنعلم أنه لا يجوز بيع مكيل بجنسه إلا كيلاً، ولا موزون بجنسه إلا وزناً، لقوله ﷺ: «الذهب بالذهب وزناً بوزن، والفضة بالفضة وزناً بوزن، والبر بالبر كيلاً بكيل، والشعير بالشعير كيلاً بكيل». ولأن ما خولف فيه معياره الشرعي لا يتحقق فيه التساوي، وكذلك لا يجوز بيع مكيل بجنسه جزافاً، ولا بيع موزون بجنسه جزافاً، لعدم العلم بالتساوي، والجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل.

أيها المسلمون: ومما يتعلّق بهذا الباب: ما يُسمّى بالصرف، وهو بيع نقد بنقد، سواء اتحد الجنس أو اختلف، وسواء كان النقد من الذهب أو الفضة أو من الأوراق النقدية المتعامل بها في هذا الزمان، فإنها تأخذ حكم الذهب والفضة لاشتراكها معها في علة الربا، وهي الثمنية، فإذا بيع نقد بجنسه كذهب بذهب أو فضة بفضة أو ورق نقدي بجنسه - كدولار بمثله، أو دراهم ورقية أجنبية أو سعودية بمثلها وجب حينئذ التساوي في المقدار والتقابض في المجلس، وإن بيع نقد بنقد من غير جنسه كدراهم سعودية ورقية بدولارات أمريكية مثلاً، وكذهب بفضة وجب حينئذ شيء واحد وهو الحلول والتقابض في المجلس، وجاز التفاضل في المقدار. . وكذا إذا بيع حلي من الذهب بدراهم فضة أو بورق نقدي وجب

الحلول والتقايض في المجلس ، وكذا إذا بيع حلي من الفضة بذهب مثلاً . أما إذا بيع الحلي من الذهب أو الفضة بحلي أو نقد من جنسه كأن يباع الحلي من الذهب بذهب ، والحلي من الفضة بفضة ، وجب الأمران : التساوي في الوزن ، والحلول والتقايض في المجلس .

أيها المسلمون : إن خطر الربا عظيم ولا يمكن التحرز منه إلا بمعرفة أحكامه ، ومن لم يستطع معرفتها بنفسه فعليه أن يسأل أهل العلم عنها ، ولا يجوز له أن يقدم على معاملة أو يسهم في شركة أو مؤسسة إلا بعد تأكده من خلوها من الربا ، ليسلم بذلك دينه وينجو من عذاب الله الذي توعد به المرابين ، ولا يجوز تقليد الناس فيما هم عليه من غير بصيرة ، خصوصاً في وقتنا هذا الذي كثر فيه عدم المبالاة بنوعية المكاسب ، وقد أخبر ﷺ أنه في آخر الزمان يكثر استعمال الربا ، ومن لم يأكله ناله من غباره .

نسأل الله العافية والسلامة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَتَائِهَ الَّذِينَ ءَامُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِن كَانَتْ ذَوُعُسْرَةً فَنَظَرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨ - ٢٨١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة ثانية في تمة الكلام في موضوع الربا

الحمد لله رب العالمين، جَعَلَ في الحلال غِنًىً عن الحرام، وَبَيَّنَ لعباده تفاصيل الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير الأنام. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام... أما بعد :

أيها المسلمون : اتقوا الله تعالى ، واجتنبوا ما نهاكم عنه لعلكم تفلحون ، يقول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨]

ونحن نتحدث إليكم في هذه الخطبة عن بيان أنواع من المعاملات الربوية الواقعة بين الناس اليوم، ليتجنبها المسلم، ويحذر منها خوفاً من عذاب الله تعالى، وابتعاداً عن المكسب الخبيث الذي يكون وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة، فأحد هذه المعاملات الربوية وأشدّها هو قِلبُ الدَّينِ على المعسر، إذا حلَّ، ولم يكن عنده سداد أو عنده سداد ولا يريد التسديد، زيد عليه الدينُ بكمياتٍ ونسبةٍ معينة حسب التأخير، وهذا هو ربا الجاهلية، وهو حرامٌ بإجماع المسلمين، وقال الله تعالى فيه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُم لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِن كَانَتْ ذُوْعُرَةً فَخِطْرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٨ - ٢٨٠]

ففي هذه الآية الكريمة جملة تهديدات عن تعاطي هذا النوع من الربا : أولاً : أنه سبحانه نادى عباده باسم الإيمان (يا أيها الذين آمنوا)، وقال (إن كنتم مؤمنين)، فدلَّ على أن تعاطي هذا النوع لا يليق بالمؤمن .

ثانياً : قال تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ)، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَتَعَاطَى هَذَا النُّوعَ مِنَ الرِّبَا لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَلَا يَخَافُهُ .

ثالثاً : قال تعالى (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا)، أي : اتركوا، وهذا أمرٌ بترك الرِّبَا، والأمرُ يفيد الوجوبَ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ يَتَعَاطَى الرِّبَا قَدْ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ .

رابعاً : أنه سبحانه أعلن الحرب على مَنْ لَا يَتْرُكُ التَّعَامُلَ بِالرِّبَا، فقال تعالى : (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا)، أي : لم تتركوا الرِّبَا، (فَأَذْنُوبُ حَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)، أي : اعلموا أنكم تحاربون الله ورسوله، وَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ مَهْزُومٌ وَلَا بَدَّ .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَدِيرًا﴾

[فاطر : ٤٤]

خامساً : تسمية المرابي ظالماً، وذلك في قوله تعالى : (فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْمُونُ وَلَا تَظْلَمُونَ) كل هذه التهديدات الربانية صدرت على تعاطي المعاملات الربوية .

ومن المعاملات الربوية القرضُ بالفائدة بأن يُقرضه شيئاً بشروط أن يُوفيه أكثر منه، أو يدفع إليه مبلغاً من المال على أن يُوفيه أكثر منه بنسبة معينة كما هو العملُ في البنوك، وهو ربا صريح .

فالبنوكُ تقوم بعقد صفقات القروض بينها وبين ذوي الحاجات وأربابِ التجارات وأصحاب المصانع والحرفِ المختلفة، فتدفعُ لهؤلاء مبالغ من المال نظيرَ فائدة محددة بنسبة مئوية، وتزدادُ هذه النسبة في حالة التأخير عن السداد في الموعد المحدد، فيجتمعُ في ذلك الربا بنوعيه : ربا الفضل و ربا النسيئة .

ومن المعاملات الربوية ما يجري في البنوك من إيداع بالفائدة، وهي الودائع الثابتة إلى أجلٍ يتصرف فيها البنكُ إلى تمامه، ويدفعُ لصاحبها فائدة ثابتة بنسبة معينة في المئة عشرة أو خمسة . . .

ومن المعاملات الربوية : بيع العينة ، وهو أن يبيع سلعةً بثمنٍ مؤجلٍ على شخص ، ثم يعودُ ويشتريها منه بثمنٍ حالٍّ أقلَّ من الثمنِ المؤجلِ ، وسُميت هذه المعاملةُ بيعَ العينة ، لأنَّ مشتريَ السلعةِ إلى أجلٍ يأخذُ بدلها عيناً ؛ أي : نقداً حاضراً ، والبيعُ بهذه الصورة إنما هو حيلةٌ للتوصلِ إلى الربا ، وقد جاء النهيُ عن هذه المعاملة في أحاديثٍ وآثارٍ كثيرةٍ منها قوله ﷺ «إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذنابَ البقر ، ورَضِيتُم بالزرع ، وتركتم الجهادَ سلَّطَ الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أبو داود . وقال ﷺ : «يأتي على الناس زمانٌ يستحلُّون الربا بالبيع» .

أما إذا اشترى السلعةَ إلى أجلٍ ، ثم باعها على غيرٍ منَ باعها عليه لينتفعَ بثمنها ، فهذه تُسمَّى مسألة التورق ، وهي جائزةٌ عند الجمهور ، ويسمِّيها بعضُ العامة بالدينية أو الغائبة ، ولا بأسَ بها إن شاء الله لحاجة الناس إليها ، لكن بشرط أن لا يبيعَ السلعةَ التي استدانها على من استدانها منه .

أيها المسلمون : احذروا من دخولِ الربا في معاملتكم واختلاطه بأموالكم ، فإن أكلَ الربا وتعاطيه من أكبرِ الكبائر وما ظهرَ الربا والزنى في قومٍ إلا ظهرَ فيهم الفقرُ والأمراضُ المستعصية ، وظلمُ السلطان وحلولُ الكوارث والإفلاس .

والربا يهلكُ الأموالَ ويمحقُ البركات . ولقد شدَّدَ الله الوعيدَ على آكلِ الربا وجعلَ أكله من أفحشِ الخبائث وأكبرِ الكبائر ، وبينَ عقوبةَ المرابي في الدنيا والآخرة ، وأخبرَ أنه محاربُ الله ولرسوله فعقوبته في الدنيا أنه يمحَقُ بركةَ المال ويعرَّضُه للتلفِ والزوال . فكم تسمعون منَ تلفِ الأموالِ العظيمة بالحريقِ والغرقِ والفيضانِ ، فيصبحُ أهلُها فقراءَ بين الناس ، وإن بقيت هذه الأموالُ الربوية بأيدي أصحابها فهي ممحوقَةٌ البركة ، لا ينتفعون منها بشيءٍ إنما يقاسون أتعابها . ويتحمَّلون حسابها ، ويُصلُّون عذابها .

والمرايى مُبَغَضٌ عند الله وعند خلقه، لأنه يأخذ ولا يعطي، يجمع ويمنع، لا ينفق ولا يتصدق، شحيح جشع، جموع منوع، تنفر منه القلوب، وينبذه المجتمع، وهذه عقوبة عاجلة، وعقوبته الآجلة أشد وأبقى، كما بينها الله في كتابه. وما ذاك إلا لأن الربا مكسب خبيث، وسُحْت ضار، وكابوس ثقيل على المجتمعات البشرية.

ومن أنواع الربا صرف العملات بعضها ببعض من غير تقابض في المجلس، وكذا بيع الحلي من الذهب أو الفضة بجنسه مع الزيادة في أحد العوضين: كأن يبيع الحلي من الذهب بحلي من الذهب مع زيادة، بسبب أن أحد الحليين أحسن من الآخر نوعاً أو صنعةً، ومن أراد أن يبيع حلياً رديء النوع أو الصنعة بحلي من جنسه أحسن منه، فالطريق الصحيح أن يبيع الحلي الذي لا يرغبه بدراهم أو غيرها ويقبض الثمن، ثم يشتري به النوع الذي يريده من الحلي الجيد، أما إذا باع الحلي بغير جنسه كأن باع حلي ذهب بحلي فضة أو بدراهم فضة أو دراهم ورقية، فلا بأس بالزيادة، لكن بشرط التقايض في المجلس.

وبعض الناس يقع في هذا المحذور بحيث يشتري الحلي من الذهب أو الفضة بدراهم ولا يسدّد القيمة في المجلس أو لا يسدّدّها كاملةً، وإنما يسدّدّها أو يسدّد بقيتها متأخراً، وهذا ربا صريح. وكذا لا يجوز بيع النوع الجيد من التمر أو البر وغيرهما من الأصناف الربوية بنوع رديء من جنسه أكثر منه، كأن يبيع الصاع من الجيد بصاعين من الرديء فإن هذا هو الربا، والطريق الصحيح أن يبيع الرديء بدراهم، ثم يشتري بالدراهم من الجيد.

فاتقوا الله - عباد الله - واحذروا التعامل بالربا بجميع أنواعه، فإن خطره عظيم وعاقبته وخيمة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الربا

الحمد لله رب العالمين، جَعَلَ الخير والبركة في الكسبِ الحلال. وأمرَ بالاستعانة به على صالح الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً يتكرران بتكرارِ الغدوِّ والآصال... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن ضررَ الربا وإثمَه لا يقتصرانِ على أخذه، فقط بل يستوي في ذلك الأخذُ له والمعطيُ له والمعينُ على أخذه. فقد لعنَ النبي ﷺ أكلَ الربا، وموكلَه، وشاهديه، وكاتبَه. فاللعنةُ شملت الأربعة لتعاونهم على الإثم والعدوان، فالذي يقترضُ بالفائدة ويدفعُها ملعونٌ، والذي يقرضُ بها ويأخذُها ملعونٌ، والكاتبُ الذي يكتبُ عقودَ الربا ملعونٌ، وكذلك الموظفُ الذي يشتغلُ بالبنوكِ والمؤسساتِ الربوية تشملُه اللعنة والإثم. والجميع محاربون لله ولرسوله.

فقد أعلن الله الحربَ منه ومن رسوله على المرابين، ومن حاربه الله ورسوله فهو مهزومٌ، أرايتم - والله المثل الأعلى - لو أن دولةً قوية تملكُ مختلفَ الأسلحة الفتاكة أعلنتِ الحربَ على دولةٍ ضعيفة لا تملكُ شيئاً من السلاح ماذا سيكونُ من الدولة الضعيفة المهددة من الخوفِ والقلق وعدمِ الاستقرار، فإذا كانَ هذا الخوفُ من المخلوق، فكيفَ الخوفُ من الخالق العظيم الذي لا يُعجزُه شيءٌ الذي له جنود السماوات والأرض التي لا يعلمُها إلا هو؟ فقد يُسلطُ على المرابين أنواعا من جنوده التي يرونها أولاً يرونها:

فقد يُسلطُ العبادَ بعضهم على بعض، ويلهمهم اختراعَ الأسلحة الفتاكة المدمرة التي تهددُ البشرية بالفناء والدمار، كما هو الواقعُ اليوم، حتى إنَّ مخترعي تلك الأسلحة وممتلكيها يخافون منها أكثرَ من غيرهم.

وقد يُسَلِّطُ الله الأمراض الفتاكة التي لم يُعْثَر لها على علاجٍ ، فتأكلُ المجتمعات ، كما هو الواقعُ الآن من حدوثِ هذه الأمراض التي لم تكن في أسلافنا الذين مَضَوْا .

وقد يُسَلِّطُ الله الجرادَ والبعوض والحشرات ، فتأكلُ المحاصيلَ ، وتُقلِّقُ راحةَ السكان ، ولا يستطيعون مدافعتها بأيِّ وسيلة .

وقد يسَلِّطُ الله الجبابرةَ والأحزابَ على الشعوب فتسلُبُ أموالَها ، وتُقلِّقُ أمنَها ، وتسوِّمُها سوءَ العذاب .

وقد يسَلِّطُ الله على الأموال ما يُتلفُها من الكوارثِ كالفيضانات والغرقِ والحرائقِ وكسادِ الأسعار وغير ذلك من أنواعِ النقص .

وقد يعاقبُ الله الناسَ بانحباسِ الأمطارِ ، وغُورِ الآبارِ ، وقلةِ المياه أو انعدامها ، فينشأُ عن ذلك هلاكُ الزروع والأشجار والمراعي ، وغلاءُ الأسعار . وغير ذلك من الأضرار .

وجنودُ الله التي يسلطها على مَنْ حاربه كثيرةٌ ومتنوعةٌ لا يعلمُها إلا هو . قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٥]

فاتقوا الله - عباد الله - واحذروا موجباتِ غضبه وعقابه ، واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

في تحريم أذية المسلمين في مرافقهم

الحمد لله رب العالمين، أمر بالإحسان والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن الإساءة والأذى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق والهدى، وأمر ببذل الندي وكف الأذى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أنزل الله سكينته عليهم وألزمهم كلمة التقوى، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واحذروا أذية المسلمين في طرقاتهم وجميع مرتفقاتهم. فقد أخبر النبي ﷺ أن إماطة الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان، وأسباب دخول الجنان، وأنها من أنواع الصدقة والإحسان، وأن وضع الأذى في الطريق من أعظم الإساءة والعصيان، ومن أسباب اللعنة والخذلان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضْع وستون أو سبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والأذى : كل ما يؤذي المارَّ كالحجر، والشوكة، والعظم، والنجاسة، والحديد، والزجاج وغير ذلك، وإماطته : تنحيته وإزالته.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضت علي أعمال أمتي حَسَنُها وسيئُها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُمَاطُ عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدْفَنُ». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ شَمْسٌ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةً، وَتُعِينُ

الرجل في دابته فتحمل عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة. وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». رواه البخاري ومسلم.

والسلامي : هي العظام الدقيقة، والمفاصل التي في جسم الإنسان، ومعنى الحديث : أن تركيبة هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه بها، ليكون ذلك شكرياً لهذه النعمة.

ومن أنواع هذه الصدقة إزالة الأذى عن طرقات المسلمين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك، فأخذه، ف شكر الله له، فغفر الله له»، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم : قال «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين».

وكما جاء الترغيب في إزالة الأذى عن طرقات المسلمين من أجل سلامة المارة، فقد جاء الوعيد الشديد في حق من يلقي الأذى في الطرقات، ويؤذي المارة ويعرقل السير في الطريق.

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اتقوا اللاعنين : الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم» ومعناه : النهي عن قضاء الحاجة في الطريق الذي يسلكه الناس، أو في الظل الذي يجلسون فيه، وأن من فعل ذلك فهو مستحق للعنة والعقوبة، لأنه يؤذي الناس بذلك وينجسهم أو يحرمهم المرور في الطريق، والجلوس في الظل وهم بحاجة إلى ذلك، فيدعون عليه باللعنة.

وقد تساهل كثير من الناس اليوم في هذا الأمر، فصاروا لا يبألون بأذية الناس في طرقاتهم وأمكنة جلوسهم واستراحاتهم، يحفرون الحفر في الطريق ويطرخون

القمامة، ويلقون الأحجار، والحديد، وقطع الزجاج، ويرسلون المياه، ويوقفون السيارات في الطرقات، ولو كان في ذلك أذية الناس وسد الطريق، وعرقلة السير، وتعريض المارة للخطر، ونسوا أو تناسوا ما في ذلك من الوعيد والإثم، ولا تجد من يحتسب الأجر، فيزيل هذا الأذى أو يتسبب في إزالته بمراجعة المسؤولين عن ذلك. وإذا كان هناك ظل حول الطرق العامة الطويلة من شجر أو كبارى يستريح فيها المسافرين جاء من يفسد ذلك عليهم بوضع القاذورات والأوساخ فيها، أو التبول والتغوط، أو تفريغ زيت السيارة، أو ذبح الأغنام، وترك الدم والفرد والعظام ومخلفات الطعام أو غير ذلك مما يفسد الظل على من جاء بعده!! أين الإيمان؟ أين الإنسانية؟ أين الشيمة والمرؤوة؟ أين خوف الله من هؤلاء المستهترين بحرمات المسلمين وحقوقهم ومرتفاتهم؟ ماذا سيكون شعور المسلم إذا سد الطريق في وجهه أو ملأه بالأوساخ والوحل، أو ملأه بالأحجار والحديد وقطع الزجاج والعلب والكراتين الفارغة، أو عمقت فيه الحفرة، أو دُسن بالأنجاس والروائح الكريهة!!

وماذا سيكون شعور المسلم إذا أجهده السير في السفر، ومسه حر الشمس والسموم فأوى إلى ظل ليستريح فيه، وعندما يصل إليه يجده مليئاً بالقاذورات والروائح الكريهة والمناظر البشعة؟، ماذا سيكون في نفسه من الغضب؟ وماذا سيقول بلسانه في حق من فعل ذلك من الدعاء عليه. وهو مستحق لذلك بقبیح فعله وإساءته إلى إخوانه المسلمين؟

فاتقوا الله، يا من تؤذون الناس في طرقاتهم وأمكنة استراحاتهم، كفوا أذاكم، واحترموا حق إخوانكم، واتقوا دعوات المظلومين، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب.

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم ما يفعله بعض السفهاء من وقوفهم بالسيارات في وسط الشوارع بعضهم إلى جانب بعض يتحدثون ويتمارحون

ويحجزون الطريقَ على المارةِ ويعرَّضونَ الناسَ للخطرِ.

وهذا منكرٌ ظاهرٌ يجب إنكاره وتأديب مَنْ فعله، ومن ذلك ما يفعله بعضهم من ترويع الناس وإزعاجهم بالعبث بالسيارات. بما يسمونه بالتفحيط، وهو في الحقيقة مظهرٌ من مظاهر السُّخف والتخلُّف العقلي والتخلُّف الحضاري وكفران للنعمة.

ومن ذلك الطيشُ في قيادة السيارات، والتهوُّرُ في السرعة، وإزعاجُ الناس بأصوات أبواق السيارات، خصوصاً عندما يسمعون بانتصار فريق رياضي على فريق آخر حسبَ تعبيرهم، وهو في الحقيقة ليس بانتصار، وإنما هو خسارٌ وهبوطٌ وتأخرٌ، لأنَّ الانتصارَ الحقيقي هو التقدم والظفر بما ينفع الأمة ويزيد في قوتها وما فيه رفعة دينها.

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم وتعريضهم للخطر أن يتولَّى قيادة السيارات بعض مَنْ لا يُحسنون القيادة، أو لا يستطيعون السيطرة عليها لصغر أسنانهم من الأطفال، فيعرَّضون أنفسهم ويعرَّضون غيرهم للخطر. فيجبُ على ولاية الأمور وعلى أولياء الصغار منعهم من قيادة السيارات إشفاقاً عليهم وعلى غيرهم من الخطر، ويجبُ التعاونُ مع ولاية الأمور في درءِ هذا الخطر عن المسلمين.

ومن أذية المسلمين الجلوسُ على الطُّرقاتِ لما في ذلك من الاطلاعِ على شئونهم الخاصة التي لا يُحبُّون الاطلاعَ عليها، ولما في ذلك من النظرِ إلى ما لا يجوزُ النظرُ إليه من النساء. وغير ذلك من المحاذير، وأشدُّها عدمُ القيامِ بالواجب نحو المارة...

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوسُ في الطُّرقاتِ» فقالوا: يا رسولَ الله، ما لنا من مجالسنا بدُّ، نتحدَّثُ فيها! فقال رسولُ الله ﷺ: «إذا أبيتم إلاَّ المجلس فأعطوا الطريقَ حقَّه»، قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ الله، قال: «غَضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ

بالمعروف والنهي عن المنكر». متفق عليه. فدلّ هذا الحديث على منع الجلوس في الطريق إلا لمن قام بحقه من هذه الأمور.

وأما من جلس للتفرّج، ولم يقم بما أرشد إليه ﷺ من هذه الأمور فهو آثم، ويجب على ولاية الأمور منعه من ذلك، خصوصاً من يحصل منهم فعل المنكر، كالذين يغازلون النساء، ويلاحقنهن بقصد الفساد.

ومن أذية المسلمين تحويل الشوارع إلى ملاعب للكرة، مما يتسبب بكثرة الصخب والتجمّعات حولها مما يؤذي المارة وأصحاب البيوت وربما يتسبب عنه أضرار كثيرة وتجمعات مشبوهة.

ومن أذية المسلمين في الطريق مخالفة بعض سائقي السيارات لأنظمة المرور وأصول القيادة كالتهور في السرعة، وعدم التزام خط السير، وقطع إشارة الوقوف أو الوقوف في الأمكنة التي يُمنع الوقوف فيها.

أو قيادة السيارة وهو في حالة لا يتمكن من ضبط القيادة كما ينبغي، كمن يغالبه النعاس، وجميع هذه الأحوال تعرّض الإنسان وتعرّض غيره للخطر، فيجب تلافيتها والحذر منها...

فكم نَجَمَ عن هذه الأحوال من حوادث ذهبَتْ فيها أنفس كثيرة محترمة، أو تعطلت فيها أعضاء، وتعيّبت فيها أجسام، وتعطلت فيها حواس، وكل ذلك راجع إلى تفريط السائقين، أو تهورهم، أو جهلهم بأصول القيادة، أو تهاونهم بأرواح الناس...

إن مسؤولية هذه الحوادث وما ينجم عنها من الأضرار من تلف الأموال والأنفس يتحمّلها هؤلاء السائقون، ومن يُمكنهم من قيادة السيارات وهم لا يُحسنونها.

إن السيارات بمثابة الأسلحة الفتاكة لا يجوز أن يتولّاها إلا من يُحسن استعمالها والتصرف فيها، ويجب الحذر من التلاعب بها والتساهل في شأنها.

فاتقوا الله عبادَ الله في أنفسكم وفي إخوانكم ، واحترموا حقوقَ المسلمين ، واجتنبوا أذيتهم والإضرار بهم .

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا
مَا كَتَبَ سُبُوحًا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨]
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

في التحذير من الإضرار بالناس في مرافقهم

الحمدُ لله ذي الفضل والإنعام ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ،
له الملك وله الحمد ، ذو الجلال والإكرام ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله
المبعوث بالهدى ودين الإسلام ، عليه وعلى آله وأصحابه أفضلُ الصلاة
والسلام . . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنه يحرمُ على المسلم أن يُحدث في
طريق المسلمين ما يضرُّ بهم وإن كان هو ينتفع بذلك ، فلا يجوزُ لأصحابِ البنايات
وقتَ البناء وضعَ موادِّ البناء في الطريق ، ولا حفرُ الحُفَرِ وإقامة الحواجز التي تمنعُ
المارة أو يشقُّ عليهم تجاوزها ، ولا يجوزُ لأصحابِ البيوت وضعَ الخزانات البارزة
للماء أو الغاز أو تركيب أجهزة التكيف إذا كانت تأخذُ جزءاً من الطريق ، وتضايقُ
المارة بالاصطدام بها أو تتسربُ منها المياهُ على الطريق ، ولا يجوزُ إرسالُ ماء
الغسيل من البيوت إلى الشوارع ، ولا عملُ الدرج للمداخل ، أو بناء الدكاك التي
يُجلَسُ عليها ، أو عملُ الروشن المعترض أو الجانبي إذا كانت هذه الأشياءُ تضيقُ
الشوارع وتضرُّ بالمارة ، ولا يجوزُ ربطُ الدوابِّ وإيقافُ السيارات في الشوارع ، إذا
كان في ذلك احتجازٌ لشيء من الطريق وإيذاءٌ للمارة ، وكذا لا يجوزُ من بابٍ أولى

ترك الدواب تعترض في الشوارع أو في طُرُق السيارات العامة في الصحراء، لما يترتب على ذلك من تعريض الناس للخطر بالاصطدام بها، وكم حصل من جرأ ذلك من كوارث مروعة. ولا يجوز غرس الأشجار وغرس المواسير والقضبان في الشوارع والطرق، لأنها مشتركة بين المسلمين، فلا يجوز لأحد الاستئثار بها، لما يترتب على ذلك من الإضرار بالناس.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وكفوا أذاكم عن الطرقات، تسلموا من العقاب، وأميطوا عنها الأذى الحاصل من غيركم تفوزوا بالثواب.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة تأخر نزول المطر

الحمد لله رب العالمين، يبتلي عباده بالشدائد ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما كان وما يكون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واحذروا عقابه ، وحاسبوا أنفسكم وتوبوا من ذنوبكم ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .

عباد الله : إنكم في هذا العام تشكون من امتناع المطر الذي به حياتكم وحياة مواشيكم وزروعكم وأشجاركم ، فتذكروا أنه ما حبس عنكم إلا بذنوبكم ، وأن الله غني كريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ [الأعراف : ٩٦]

وقد أمر الله عند انحباس المطر بالاستغفار من الذنوب التي هي السبب في منعيه، فقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ يُجْنِتِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿ [نوح : ١٠ - ١٢] وقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿ وَيَنْفَعُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿ [هود : ٥٢]

وقد شرع لنا نبينا محمد ﷺ صلاة الاستسقاء عند انحباس الأمطار، ليرجع الناس إلى ربهم ويتوبوا من ذنوبهم.

وليس الاستغفار مجرد لفظ يُردَّد على اللسان، وليست صلاة الاستسقاء مجرد عادة تُفعل في الأوطان، وإنما هما توبة وندم، وعبادة وخضوع لرب العالمين، وتحول من حالة فساد إلى حالة صلاح، فلا بُدَّ أن تكون حال المسلمين بعد صلاة الاستسقاء أحسن من حالهم قبلها، إذا كانوا صادقين في توبتهم ومعترفين بذنوبهم، لقد كان النبي ﷺ يرفع يديه في دعاء الاستسقاء فلا يحطهما إلا وقد نشأ السحاب، وسالت الأودية والشعاب، لأنه صادق مع ربه، وكذلك خلفاؤه الراشدون، وصحابته الأكرمون، كانوا يستسقون فيسقون ويسألون فيعطون، لصدقهم مع الله في توبتهم ورغبتهم إلى الله في دعائهم.

استسقى النبي ﷺ في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء، فأصاب المسلمين العطش، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، وقال بعض المنافقين: لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أو قد قالوها: عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط يديه ودعا، فما رد يديه من دعائه حتى أظلم السحاب، وأمطروا، فأنعم السيل الوادي، فشرب الناس وارتووا.

ولما شكى المسلمون في المدينة إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، خرج

فَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى، فَأَنْشَأَ اللَّهَ سَحَابَةً، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتْ السَّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكَفِّ ضَحِكٌ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: فَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَرَعَةٍ وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ. قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، أَي: أَسْبُوعًا، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكُهَا عَنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا. اللَّهُمَّ عَلَى الْأَكَامِ وَالظَّرَابِ وَبَطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ..

فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَالِ بِالْإِسْتِسْقَاءِ وَالْإِسْتِصْحَاءِ. كَذَلِكَ هُوَ سَبْحَانَهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، يَسْتَجِيبُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا دَعَوْهُ صَادِقِينَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

أَمَّا إِذَا دَعَوْهُ بِالسَّنَةِ كَاذِبَةٍ وَقُلُوبٍ غَافِلَةٍ وَأَفْعَالٍ فَاسِدَةٍ، وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي لَا يَغَيِّرُونَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْئًا، فَهَؤُلَاءِ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاءٌ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنْتُمْ تَسْتَبْطِئُونَ نَزُولَ الْغَيْثِ وَأَنَا أَسْتَبْطِئُ نَزُولَ الْحَجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَلِذَلِكَ تَرُونَ النَّاسَ الْيَوْمَ يَسْتَغِيثُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ لَا لِقَلَّةِ

في خزائن الله، ولكن لذنوبهم ومعاصيهم، أما تَرَوْنَ الصلاة قد أُضِيعَتْ، أما ترون المحرمات قد انتهكت، أما تَرَوْنَ جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد خَفَّ، أما تَرَوْنَ الأمانات قد ضُيِّعَتْ. أما ترون المعاملات قد فَسَدَتْ، أما ترون الربا قد فشا وانتشر، أما ترون المعازف والمزامير والأغاني قد عَلَتْ أصواتها في البيوت والأسواق، أما تَرَوْنَ الغيرة قد ذهبت، أما ترون المساجد قد هُجِرَتْ، فلا يرتادها إلا القليل؛ أما ترون الآباء قد أهملوا أولادهم والأولاد عَفَّوا آباءهم.. هل غيرنا من هذه الأمور شيئاً قبل أن نستسقي، حتى يغيّر الله ما بنا؟!

لا نقول: إن هذه الأوصاف السيئة عَمَّتْ جميع المسلمين، فهناك من عباد الله الصالحين مَنْ هُمْ سالمون منها في أنفسهم، لكنهم لا يحاولون إصلاح غيرهم، ولا يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعتهم، والعقوبة إذا نزلت عَمَّتْ الجميع عَمَّتْ العاصين لمعصيتهم، والصالحين بسكوتهم. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٢٥]

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ». رواه النسائي بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه».

وعن أبي الأحوص قال: قرأ ابن مسعود: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر : ٤٥]

فقال: كاذ الجُعْلُ يعذب في جحره بذنب ابن آدم. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة : ١٥٩]

أن الحشرات تلعن عصاة بني آدم، وتقول: إنما منعنا القطر بسببهم. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذْكُرُونَ ﴿ [الأعراف : ١٣٠]

أي : أصابهم الله بالجذب والقحط ، وأصاب ثمارهم وغلاتهم بالآفات ،
والعاهات ليتعظوا بذلك ، ويتوبوا .

وها هي سنة الله لا تبدل في عالمنا المعاصر ، فكم أصابهم من احتباس
الأمطار ، واجتياح الثمار والأمراض والمجاعات ، فهل غيروا من حالهم ، أو
أصلحوا ما فسد من أعمالهم ، هل تذكروا ذنوبهم ، فأصلحوا عيوبهم . إن الكثير
والكثير في غفلة معرضون ، ونخشى أن يُصيبنا ما أصاب الأولين .

إن في تصريف الأمطار بإنزالها في بعض الأقطار ، وحبسها عن بعض
الديار ؛ لبرة لأولي الأبصار ، وعظة للعصاة والفجار . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا
خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾
[الفرقان : ٤٨ - ٥٠]

وإن القادر على منع نزول الأمطار قادر على تغوير المياه من الآبار . قال
تعالى مخوفاً عباده من ذلك : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾
[الملك : ٣٠] وقال تعالى : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لِمُطْلَبًا ﴾
[الكهف : ٤١] وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْشَدُوهُمْ بِخُزْنَيْنِ ﴾ [الحجر : ٢٢]
أي : لا تقدر على حفظه في الآبار والغدائر والعيون ، بل نحن الحافظون
له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة إليه . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ
فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَلِنَأْتِيَ بِهِ لِقَدِيرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨]

أي : كما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على سحبه من مخازنه في الأرض
وتغويره في أعماقها ، فلا تستطيعون الحصول عليه مهما بذلتم في طلبه والبحث
عنه ، حتى يهلك الناس بالعطش ، وتهلك مواشيهم وحروثهم . .

فاتقوا الله - عباد الله ، واحذروا من هذه التهديدات ، وتوبوا إلى ربكم

وإدعوه أن يُغيثكم ويسقيكم ، فإنه قريب مجيب ، يجيب من دعاه ولا يُخيب من رجاه .

وإياكم وقسوة القلوب عند نزول المصائب ، فإنها سبب الهلاك والدمار .
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ فَلَمَّا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤١ - ٤٥]
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في التذكير بمناسبة تأخر المطر

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير ، صَلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه . الذين هم في الحروب أسود وفي الظلم بدور ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم البعث والنشور . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وتوبوا إليه ، واعلموا أنه مهما بلغ العبد من الذنوب والمعاصي ، فإنه لا يجوز له القنوط من رحمة الله وترك التوبة ، فإن القنوط من رحمة الله كفر وضلال . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُش مِّن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنُطْ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ﴾

[الزمر : ٥٣ - ٥٤]

فتوبوا إلى الله، وأسألوه أن يُغِيثَكُمْ، وأحيُوا سنة نبيكم بإقامة صلاة الاستسقاء، فإنها من أكد السنن، فِرُّوا إلى الله، وأخرجوا إلى مصلاًكم متواضعين متخشعين مُظهريْن لفقركم وحاجتكم، كما كان يفعلُ رسولُ الله ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في وصف خروج النبي ﷺ للاستسقاء قال: خرج النبي ﷺ متواضعاً متبذلاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً، فصلَّى ركعتين كما يصلي العيد.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها... الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

التذكير بما حصل في بعض البلاد من حوادث الفياضانات

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجَدِّ والتشمير، وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وتفكروا فيما يجري من الحوادث وما فيها من العبر ، وتذكروا ، فإنَّ العاقل مَنْ تَذَكَّرَ واعتبر ، ولا يَكُنْ حَظُّكُم منها مروَّرها على الأذَانِ دونَ أنْ تنفُذَ إلى القلوبِ ، لأبْدُ أنكم قد سَمِعْتُم ما جَرَى في بعضِ الدول من كثرة السيول التي تسببت في هلاك كثير من الأنفس ، وتلف الكثير من الأموال

والممتلكات، وخراب الكثير من المدن والقرى، حتى أصبح أهلها بلا مأوى ولا مال، وليس عندهم ما يلبسون ويفترشون، ولا ما يأكلون ويشربون، وقد عجزت الإمدادات والمساعدات الدولية ومنظمات الإغاثة أن تسد حاجتهم، وكلما اتجهت المساعدات إلى بلد أصيب البلد الآخر بأشد مما أصيب به البلد الأول، كوارث ينسى بعضها بعضاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ألم يكن هذا مذكراً بما جرى للأمم السابقة مما قصه الله علينا في القرآن العظيم لنعتبر به ونتعظ؟ ألم يكن مذكراً بما جرى لقوم نوح من الغرق بالطوفان الذي عم الأرض وعلا قمم الجبال، ولم ينج منه إلا نوح عليه الصلاة والسلام وأصحاب السفينة؟ ألم يكن مذكراً بما جرى لعاد الذين أرسل الله عليهم الريح العقيم.

﴿ مَا نَذِّرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ ﴾ [الذاريات : ٤٢]

ألم يكن مذكراً بما جرى لفرعون وجنوده حيث أغرقهم الله في البحر عن آخرهم في لحظة واحدة؟ ألم يكن مذكراً بما جرى لسبأ: ملوك اليمن وأهلها الذين كانوا في نعمة عظيمة في بلادهم من اتساع أرزاقهم ووفرة زروعهم وثمارهم وجمال بلادهم، ولما بعث الله تعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق ربهم، ويشكروا له، ويفردوه بالعبادة، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والأنداد، أعرضوا عما أمروا به وكفروا نعمة الله فعاقبهم الله بإرسال سيل العرم، أي: السد الذي انهار، فاجتاح الماء بلادهم، واجتث زروعهم وأشجارهم، وأغرق ديارهم، ودك حصونهم، وأتلف أموالهم ومحاصيلهم، فذلوا بعد عزّة، وضعفوا بعد قوة. وتفرقوا بعد اجتماع وألفة، وخافوا بعد أمن ومنعة، قال الله تعالى في قصتهم:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ الْبَلَدَ طَيِّبَةَ رَبِّ عَفُورٌ فَاعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ لَشِقٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾

[سبأ : ١٥ - ١٧]

قال ابن كثير رحمه الله : فهذا الذي صار أمر الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير، والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، ولذلك قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ يَكْفُرُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبا : ١٧]

قال بعض السلف : جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل : وما التعسر في اللذة؟ قال : لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من يُغصه إياها.

والحاصل يا عباد الله : أننا إذا تفكرنا فيما يجزي من الحوادث وربطناها بمثيلاتها مما ذكره الله في كتابه نجد أن سنة الله لا تتغير، كما قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَحْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٢]

يجب علينا نحو هذه الحوادث والكوارث عدة أمور:

الأول : أن نستدل بها على قدرة الله سبحانه، وشدة عقوبته للعصاة والمذنبين، فنخشى أن يُصيبنّا مثل ما أصابهم، فتتوب إلى الله تعالى من ذنوبنا. لكن مع الأسف الشديد البعض منا يعتبر هذه الحوادث من الأمور العادية، ويفسرها بأنها حوادث طبيعية وظواهر كونية، فلا يكون لها وقع في نفسه ولا تأثير في قلبه، ولا تغيير في سلوكه، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف : ١٠٥]

إن نسبة هذه الحوادث إلى الطبيعة والظواهر الكونية أو الحركات الفلكية كفر بالله تعالى، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءِ أَيٍّ : مطر كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال : «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : «أصبح من عبادي مؤمنٌ

بي وكافر، فأما مَنْ قال: مُطَرْنَا بفضلِ الله ورحمته، فذاك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما مَنْ قال: مُطَرْنَا بنوءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب».

ففي هذا الحديث دليلٌ على أن إنزالَ المطر وحدوثَ الحوادث من الله عز وجل هو الذي خلقها وقَدَّرها، فمن نَسَبَ ذلك إلى الله فقد آمنَ بالله وشكرَ نعمته ومن نسبها إلى غيرِ الله فقد كفرَ بالله ولم يشكرْ نعمته وهذا الكفرُ فيه تفصيل، فإن كانَ يعتقدُ أن الكواكبَ والطوالعَ والحركاتِ الفلكيةِ والظواهر الكونية هي التي تتصرف في نزولِ المطر أو انحباسِهِ، فهذا كفرٌ أكبرٌ، وهو قولُ أهلِ الطبيعة الذين لا يؤمنون بالله.

وأما إن كانَ لا يعتقدُ أن لهذه الأشياء تأثيراً في نزولِ المطر وانحباسه، وإنما ذلك إلى الله، ولكنه أضافَ حدوثَ هذه الأشياء إليها من إضافةِ الشيء إلى سببه، فهذا كفرٌ أصغرٌ، لأنه نَسَبَ أفعالَ الله إلى غيره.

والواجبُ نسبةُ نزولِ المطر وجميعِ النعمِ أو النقمِ إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ الْمَاءُ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَن نَّاتُرِلْتُمُوهُ مِنَ الْمَزِيدِ أَمْ نَكُنُ مِنَ الْمُنْزِلِينَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة : ٦٨ - ٧٠] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْزِجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا فَيَهْبِطُ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ وَكَأَدُّ سَنَا بَرَقَةٍ يَدْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور : ٤٣ - ٤٤]

الأمر الثاني : يجبُ علينا أن نعتقد أن هذه الحوادث تجري من الله سبحانه وتعالى لينبئه بها العبادَ. كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم : ٤١]

الأمر الثالث : يجبُ علينا أن نساعدَ إخواننا المسلمين الذين أُصيبوا بهذه المصائب، فنُرسلَ لهم المعوناتِ التي تخففُ عنهم مُصابهم، فبادروا - رحمكم الله - بمساعدتهم فإنها فرصةٌ لذوي الإحسان أن يُقدِّموا لأنفسهم ما يجدونه عندَ الله خيراً وأعظمَ أجراً.

الأمر الرابع : يجب على عموم المسلمين أن يتعظوا يعتبروا بهذه الحوادث المروعة، ويتوبوا من ذنوبهم، ويشكروا الله على نعمه العظيمة بالاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وصرفها في طاعة الله، وأن لا يسرفوا في استعمالها، ويبدروا في إنفاقها، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَآتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦-٢٧]

فإن بعض الناس لما أفاض الله عليهم المال وأعطاهم الثروة أسرفوا في الإنفاق على الحفلات والولائم في الزواجات والمناسبات، فأكثروا من أنواع الأطعمة واللحوم والفواكه التي يذهب غالبها هدرًا، لأنهم يدعون إليها أقواماً ليسوا بحاجة إليها، فلا يتناولون منها إلا القليل، وتبقى هذه الأطعمة واللحوم كما هي، ثم يكون مصيرها الإهدار والوضع مع القمامة. فاتقوا الله يا من تعملون هذا العمل، واعلموا أنكم مسؤولون عن كل حبة تهدرونها، وعن كل درهم تنفقونه في غير موجب، وتذكروا حالتكم قبل سنين وأنتم لا تجدون ما تأكلون، ولا تستقرون في بلادكم، بل تسافرون إلى البلاد الأخرى للبحث عن العمل الذي تعيشون منه، واليوم قد أفاء الله عليكم من الخير وأسدى عليكم من النعم المتنوعة، فاشكروا الله على ذلك، وتذكروا أن هناك أكباداً جائعة . . هناك أرامل وأيتام، وهناك شيوخ وعجائز قد أصيبت بلادهم بالحروب والزلازل والفيضانات، فأصبحوا بلا مال ولا بيوت ولا طعام ولا كسوة، فاعتبروا بحالهم وفقيرهم وحاجتهم، واخشوا أن يصيبكم ما أصابهم، وارحموهم يرحمكم الله « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكَّرْتَهُ أَوْ إِنْ طَعِمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَلِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١١ - ١٧]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

من الخطبة الثانية في التذكير بالحوادث

الحمد لله الذي جعل فيما تجري به الأقدار عبرة لأولي الأبصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار. وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقب الليل والنهار . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واحذروا عقابه ، فقد كان النبي ﷺ يقول عند المطر «اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق» ، ويقول : إذا كثر المطر وخيف منه الضرر : «اللهم حوالينا ، ولا علينا ، اللهم على الآكام والصراب وبطون الأودية ومنابت الشجر» . .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إذا تَخَيَّلَت السماءُ تَغْيِيرَ لَوْنِهِ ﷺ ، وخرجَ ودخلَ وأقبلَ وأدبرَ ، فإذا أمطرتُ سُرِّيَ عنه ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ عَائِشَةُ ، فسألته ، فقال رسولُ الله ﷺ : «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤]

وهذه النصوصُ تدلُّ على أنَّ المطر قد يجعله الله عذاباً يهلكُ به مَنْ يشاء ويدمرُ به ما يشاء من المدن والمزارع ، وقد يجعله الله رحمةً يحيي به الأرضَ بعد موتها ، وهذا دليلٌ على قدرة الله الذي يصرفه كيف يشاء . كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا وَنُسَوِّقَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٨ - ٥٠]

وهذا الذي حَصَلَ هذه الأيام في بعض البلاد أكبر دليل على ذلك ، وهذا مما يوجب علينا الاعتبارَ والاتعاظَ والتوبة إلى الله مما نحن فيه لئلاَّ يحلَّ بنا مثل ما حلَّ بهم ، فإنَّ المعاصي تُوجبُ زوالَ النعم ونزولَ النقم وخرابَ الديار ، فقد كانت

بعض البلاد المجاورة زهرة الحياة كما تعلمون، فيها من رَغِدِ العيش وجمال المنظر ووفرة المال ما جَعَلَهَا أَحْسَنَ بلاد العالم، وصارَ الناس يتوافدون إليها للنُّزْهة والمَصِيف. ثم أنزلَ اللهُ بها عقوبته وأزالَ ما فيها من مُتَعِ الحياة، وسلَّطَ أهلَهَا على أنفسهم، فصاروا يتقاتلون من غير سبب، وانقسموا شِيعاً وأحزاباً، وهلكَ منهم الكثيرُ وشُرِّدَ الكثيرُ أليس في هَذَا لنا عِبْرَةٌ وموعظة، أما نخشى أَنْ يُصَيِّبَنَا مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ .

ونحن كما لا يخفى على الجميع تساهلْنَا في ديننا وأهملْنَا جانبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في بيوتنا، تكاسَلْنَا عن أداءِ الصلاة، تعاملَ الكثيرُ منا بالربا والرَّشوة والغشِّ، كَثُرَ التزويرُ والفجور في الخصومات، تبرَّجَ كثيرُ من النساء بالزينة وخرَجْنَ إلى الأسواق كاسياتٍ عاريات، استقدمَ الكثيرُ منا رجالاً ونساءً أجنباً، وأدخلوهم في بيوتهم، وخَلَطُوهم مع عوائلهم ومحارمهم باسم سائقين وخِدِّيمين وخِدِّيمات، ارتفعت أصواتُ المزامير والأغاني في كثيرٍ من البيوت والمحلات، وعُرِضَتْ فيها أفلامُ الفيديو الخليعة والمسلسلات الهابطة .

كُلُّ هَذَا وأكثرُ منه يحدثُ في بلادِنَا، وكثيرٌ من بيوتِنَا، ولا نُنْكِرُ، ولا نغارُ، ولا نخافُ أَنْ يَحِلَّ بنا ما حَلَّ بغيرِنَا من العقوبات . فاتقوا الله - عبادَ الله - وتوبوا إليه واستدركوا الأمرَ قَبْلَ فَوَاتِهِ، فَإِنَّا عَلَى خَطَرٍ . واعلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة . . الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على الزواج وتسهيله

الحمد لله رب العالمين، خَلَقَ بِقُدْرَتِهِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَشَرَعَ الزَّوَاجَ لِهَدَفٍ أَسْمَى وَغَايَةٍ عَظْمَى، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أُسْرَى بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْعُلَا فَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَتَمَسَّكُوا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. . . أما بعدُ:

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، واعلموا أَنَّ الله سبحانه وتعالى شَرَعَ الزَّوَاجَ لمصالحَ عَظِيمَةٍ.

منها : أَنَّهُ يَصُونُ النَّظَرَ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَيُحَصِّنُ الْفَرْجَ وَيَحْفَظُهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ».

ومنها : أَنَّهُ يَبْعَثُ الطَّمَأْنِينَةَ فِي النَّفْسِ، وَيَحْصُلُ بِهِ الْإِسْتِقْرَارُ وَالْأُنْسُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

ومنها : أَنَّهُ سَبَبٌ لِحَصُولِ الذَّرِيَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَنْفَعُ اللَّهُ بِهَا الزَّوْجِينَ، وَيَنْفَعُ بِهَا مَجْتَمَعَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ ﷺ : « تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مَكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمِ » رواه أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

ومن مصالحِ الزَّوَاجِ : قِيَامُ الزَّوْجِ بِكِفَالَةِ الْمَرْأَةِ وَنَفَقَتِهَا، وَتَوْفِيرِ الرَّاحَةِ لَهَا وَصِيَانَتِهَا وَرَفْعَتِهَا عَنِ التَّبَدُّلِ وَالِامْتِهَانِ فِي طَلَبِ مَوْوَنَتِهَا، وَإِعْزَازِهَا مِنَ الذَّلَّةِ

والعنوسة والكساد في بيت أهلها. قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢]

والأَيْمَى : جمع أَيْم ، وهو مَنْ لا زوج له من رجلٍ وامرأة.

عباد الله : لما كان الزواج بهذه الأهمية في الكتاب والسنة، وفيه هذه الفوائد العظيمة، فإنه يجب على المسلمين أن يهتموا بشأنه، ويسهلوا طريقه، ويتعاونوا على تحقيقه، ويمنعوا مَنْ يريد تعويقه من العابثين والسفهاء والمُخْذَلِينَ الذين يُفْسِدُونَ في الأرض ولا يصلحون، فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ إِذَا سَمِعُوا بِخُطْبَةِ رَجُلٍ لَامْرَأَةٍ حَاوَلُوا جَرَمَانَهُ مِنْهَا، وَهُنَاكَ مَنْ يَرِيدُونَ أَنْ يَسْتَغْلُوا الزَّوْجَ لِمَصَالِحِهِمُ الْخَاصَةِ، وَيُخَضِّعُوهُ لِرَغْبَاتِهِمُ الْهَابِطَةِ الدُّنْيَا، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا الْإِفْسَادُ وَالْوَقُوفُ فِي سَبِيلِ كُلِّ إِصْلَاحٍ، وَتَنْفِيزُ مَا فِي صَدُورِهِمْ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَمَنْ أَجَلَ إِيْقَافِ هَؤُلَاءِ عِنْدَ حَدِّهِمْ، وَعَدَمِ تَمَكِينِهِمْ مِنْ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَلِيَأْخُذَ الزَّوْجُ طَرِيقَهُ الْمَشْرُوعَ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمْرَ التَّزْوِيجِ بِيَدِ الرِّجَالِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ ﴾ [النور : ٣٢]

وهذا خطابٌ للرجال العقلاء، كما خاطبهم النبي ﷺ بقوله : «إِذَا أَنْكَحْتُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفُسَادٌ كَبِيرٌ» رواه الترمذي، وقال : حديث حسن غريب.

ومن العراقل التي وُضِعَتْ في طريق الزواج : التكاليفُ الباهظة من ارتفاع المهور، والمباهاة في إقامة الحفلات، واستئجار أفخم القصور، مما لا مبرر له إلا إرضاء النساء والسفهاء، ومجاراة المبذرين والسخفاء ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الاسراء : ٢٧]

فيجبُ على المسلمين القضاء على هذه العادات السيئة، والعملُ بسنة الرسول ﷺ في تيسيرِ مؤنة الزواج وتخفيف المهور.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تَغْلُوا في صُدُقِ النساء ، فإنَّها لو كانت مَكْرُمَةً في الدنيا أو تقوى في الآخرة ، كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أُوقية . رواه الخمسة ، وصحَّحه الترمذي .

والاثنتا عشرة أُوقية تساوي مئة وعشرين ريالاً سعودياً بالريال الذي هو من الفضة ، أين هذا المبلغ من مبالغ المهور التي تعلّمونها اليوم .

ولقد استنكر النبي ﷺ المَغَالاة في المهور ، كما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجلٍ : «عليكم بزوجةٍ؟» قال على أربع أواقٍ ، فقال له : «على أربع أواقٍ؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل» قال العلماء : أنكر عليه ﷺ هذا المبلغ ، لأنه كان فقيراً . فالفقير يُكره له تحمُّل الصداق الكثير ، بل يحرم عليه إذا لم يتوصَّل إليه إلا بمسألة أو غيرها من الوجوه المحرمة .

والغني يُكره له دفع المبلغ الكثير في الصداق إذا كان من باب المباهاة ، لأنه يسنُّ سنة سيئة لغيره . وأمَّا الوليمة بمناسبة الزواج فهي مستحبة ، فقد قال النبي ﷺ لبعض أصحابه لما تزوج : «أولم بشاة» ، وهي على قدر حال الزوج ، فلا ينبغي تركها ، ولا يجوز الإسراف فيها كما يفعل اليوم من ذبح الأغنام الكثيرة ، أو الإبل ، ثم لا تؤكل ، وإنما يُلْقَى لحمها في القمامة أو يُهدَر في التراب ، ولا يجوز المبالغة في حفل الزواج باستئجار القصور الفخمة ، ويحرم أن يشتمل الحفل على منكرات كاختلاط النساء بالرجال ، أو يكون فيه أصوات مطربين ومزامير وتصوير وسفور ، ولا يجوز للمسلم أن يحضر حفلاً فيه مثل هذه المنكرات إلا إذا كان يقدِّر على إزالتها .

عباد الله : ومن معوقات الزواج ما يتعلَّل به كثير من الفتيات أو أولياؤهن من أنه لا بد أن تُكْمَل الفتاة دراستها الجامعية ، حتى قوّت ذلك على الكثير منهن زهرة عمرها ، وصرف عنها الخطاب الأكفاء ، مع أن الدراسة ليست ضرورية ،

بينما الزواج أمرٌ ضروري لها، ثم ماذا إذا حَصَلَتِ البنتُ على أعلى الشهاداتِ الدراسية، وفاتها الزواجُ المناسب في الوقتِ المناسب، إنها تخسرُ حياتها الزوجية التي لا تعويضُ لها، لأنَّ سعادةَ المرأة في حصولِ الزوجِ الصالح، لا في حصولها على المؤهلِ الدراسي، لأنها تستغني عن الدراسة ولا تستغني عن الزوج.

فاتقوا الله أيها المسلمون في بناتكم، لا تُضَيِّعُوا عليهن فرصةَ الزواجِ المبكر من أجلِ الدراسة، وحتى لو رَغِبَتْ هي عن الزواجِ من أجلِ الدراسة، فإنها قاصرةُ النظر، فيجبُ على وليِّها أن يأخذَ على يدها وأن يؤثرَ عليها في اختيارِ الزواجِ على الدراسة، ويبينَ لها الأخطارَ التي تترتبُ على تفويته وتأخيرهِ، وأنَّ الدراسة لا تُعوِّضُ عما يفوتُ عليها من مصالحِ الزواجِ.

والأخطرُ من ذلك أنَّ بعضَ الفتيات قد تكونُ موظفةً، فتركُ الزواجَ أو لا تحرصُ عليه من أجلِ البقاء في وظيفتها، وقد يكونُ بعضُ الأولياء لا يريدُ أن تزوجَ موليته من أجلِ أن تستمرَّ في الوظيفة ويستفيدَ من مُرتبها، غيرَ مُبالٍ بما تتعرَّضُ له من الفتنة وما يفوتُ عليها من المصالحِ العظيمة في تركِ الزواج، أليسَ هذا هو العَصْلُ الذي نهى الله عنه وحرَّمه في محكمِ كتابه؟ بلى والله هو ذاك.

فإنَّ العَصْلَ أن يَمْنَعَ الوليُّ تزويجَ موليته من خاطبٍ كُفُوَ رضىته من أجلِ مصلحته الشخصية، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية - رحمه الله - : إذا خطبها كُفُوٌ وآخرُ فمَنَعَ صارَ ذلك كبيرةً يَمْنَعُ الولايةَ، لأنَّه إضرارٌ وفَسْقٌ.

وقد ذَكَرَ العلماء - رحمهم الله - أنه إذا عَصَلَ الوليُّ الأقربُ، فإنَّ الولايةَ تنتقلُ عنه إلى الوليِّ الأبعدِ، فإن لم يكنْ لها وليٌّ غيرُ العاضلِ أو كانَ لها أولياءُ، ورفضوا تزويجها، فإنَّ السلطانَ يتولَّى تزويجها. كما قال النبي ﷺ «فإن اشتَجَرُوا فإنَّ السُّلطانَ وليٌّ مَنْ لا وليَّ له»، أي: إذا امتنعَ الأولياءُ من تزويجِ موليتهم من كُفُوٍ رضىته، فإنَّ السلطانَ يزوِّجها به، سواءً كان العَصْلُ من أجلِ بغضِ الوليِّ

للخاطب، أو كان من أجل المطمع في مرتب موليته الموظفة أو غير ذلك من المقاصد السيئة.

أما منع تزويجها ممن رضى به وهو ليس كفؤاً لها، فهذا منع بحق وليس عَضْلاً، لأنه من أجل مصلحتها ودفع العار عن أسرتها، فاتقى الله - أيتها الفتاة المسلمة - لا تركي الزواج من أجل الدرامة أو من أجل الوظيفة، فإنك ستندمين وتخسرين خسارة لا تعوضها الدراسة ولا الوظيفة، فإن الزواج لا عوض له.

واتقوا الله أيها الأولياء لا تمتنعوا من تزويج مولاتكم من أجل أهوائكم ورغباتكم الشخصية، أو من أجل أطماعكم الدنيئة، أو عدم مبالاةكم، فإنهن أمانات في أعناقكم، وقد استرعاكم الله عليهن: «وكل راع مسؤول عن رعيته»، وربما يسبب منع تزويج الفتيات أو تأخير عاراً وخزياً لا تغسله مياه البحار.

فاتقوا الله - عباد الله - واهتموا بهذا الأمر غاية الاهتمام، فإنه جدير بذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢]

ولا يكن همكم الطمع في المهور، أو المباهاة والمفاخرة في المظاهر مع نسيان العواقب، واعتبروا بالمجتمعات التي اشتغلت نساؤها بالدراسات والوظائف وعطلت الزواج أو قللت الاهتمام به، ماذا حصل فيها من فساد الأخلاق وانتهاك الأعراض وتفكك الأسر وفساد التربية وخواء البيوت من الزوجات الصالحات حتى صارت النساء كالرجال: ربّات أعمال لا ربّات بيوت، ولا مربيات أطفال، بيوتهن كبيوت العزّاب بحاجة إلى من يقوم بها، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من لم تنفعه المواعظ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسْعٌ عَظِيمٌ﴾ [النور : ٣٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على الزواج

الحمد لله رب العالمين : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : له الملك كله يرث الأرض ومن عليها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الناس كافةً، مَنْ أطاعَهُ دَخَلَ الجنةَ ، ومن عَصَاهُ دَخَلَ النارَ . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار . وسلَّمَ تسليماً كثيراً . . . أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن من معوقات الزواج وأعظم العُضَلِ وأشدَّ الظلم للنساء ما يفعله بعض القبائل من تحجير المرأة على ابن عمها أو قريبها ، لا يزوجه إلا به ، ولو كانت لا تريده ، وإذا تزوجت من غير ابن عمها بغير إذنه وتنازله عن حقه الذي يزعمه فإنه يهدد بالانتقام ؛ وهذه عادة جاهلية وظلم عظيم يجب منعه والقضاء عليه ، وهذا التحجير الباطل شبيه بما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النساء ، فقد كانوا إذا مات الميت وله زوجة ورثها قريبه كما يرث ماله ، فإن شاء تزوجه وإن شاء زوجه من غيره ، وأخذ مهرها ، وإن شاء استبقاها حتى تُعطيه ما يطلب منها من مال . فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ [النساء : ١٩]

فأبطل الله تلك العادة الجاهلية ، ورفع الظلم عن المرأة ، وأعطاهما الحق في اختيار الزوج الذي يصلح لها ، وجعلها أحق بنفسها ، فهؤلاء الذين يحجرون على النساء اليوم يريدون أن يعيدوا سنة الجاهلية في الإسلام .

فيجب عليهم التوبة إلى الله وترك هذه العادة القبيحة ، ومن لم يتركها وجب على وليّ أمر المسلمين منعه منها وردعه بالعقوبة الصارمة ، فاتقوا الله يا معشر الأولياء في بناتكم وأخواتكم ، ومن هن تحت ولايتكم من النساء في المبادرة

بتزويجهنَّ واغتنام الزوج الصالح في دينه وخلقه، دونَ نظرٍ إلى المظاهر البراقة والاعتبارات الزائفة، عملاً بقوله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

ومن الظلم العظيم للنساء وعرقلة طريق الزواج عليهن أن يمتنع الوليُّ من تزويج موليته إلا بشرط أن يزوجه الآخر موليته. وهو ما يُسمَّى عند العامة بالبذل، ويُسمَّى في الشرع نكاح الشغار.

فإن لم يُسمَّ فيه مهرٌ لهما، وجُعِلَت المرأة في مقابل المرأة فهو نكاح باطل بإجماع أهل العلم، وإن سُمِّيَ فيه مهرٌ فقد اختلف العلماء في صحته، والصحيح أنه باطل. لأنَّ الرسول ﷺ نهى عن ذلك وحذَّر منه. ففي «الصحيحين»: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن الشغار.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنَّ الرسول ﷺ نهى عن الشغار، وقال: الشغار: أن يقول الرجلُ زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا شغار في الإسلام».

لأنَّ الشغار يفضي إلى إجبار النساء على نكاح من لا يرغبن فيه إشاراً لمصلحة الأولياء على مصلحة النساء، ولأنَّه يُفضي إلى حرمان المرأة من مهرٍ مثلها، ولأنَّه يُفضي إلى النزاع والخصومات بعد الزواج، لأنه لو حصل اختلاف بين أحدهما مع زوجها أثر على نكاح الأخرى مع زوجها ولو لم يكن بينهما اختلاف، لأنَّ كل واحدة مرهونة بالأخرى.

فاتقوا الله - عباد الله - وانتهوا عما نهى الله عنه ورسوله، واعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

في أحوال الإنسان في هذه الدنيا

الحمد لله الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبْلُوكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا وهو العزيز الغفور، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريكَ له يُحْيِي وَيُمِيتُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير. صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه الذين وَعَدَهُمُ اللَّهُ بالمَغْفِرَةِ والأَجْرِ الكبير، وسلَّمَ تسليمًا... أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنكم ما خلقتُم عبثًا ، ولم تُتركوا سُدىً ، خلَقَكُم الله لعبادته ، وأمرَكُم بتوحيده وطاعته ، وأوجدَكُم في هذه الدارِ ، وأعطاكم الأعمارَ ، وسَخَّرَ لكم الليلَ والنهارَ ، وأمدَّكم بنعمه وسَخَّرَ لكم ما في السماواتِ وما في الأرضِ جميعاً منه ، لتستعينوا بذلك على طاعةِ الله ، وأرسلَ إليكم رسوله ، وأنزَلَ عليكم كتابه لِيُبَيِّنَ لكم ما يجبُ وما يحرمُ ، وما ينفعُ وما يضرُّ وما أنتم قادمون عليه من الأخطارِ والأهوالِ لتأخذوا حذرَكُم وتستعدُّوا لما أَمَامَكُم . جَعَلَ هذه الدنيا دارَ عملٍ ، والآخرةَ دارَ جزاءٍ ، وحذَّرَكُم من الاغترارِ بهذه الدنيا والانشغالِ بها عن الآخرةِ ، لأنَّ الدنيا ممرٌ . والآخرةُ هي المقرُّ ، وإذا لم تُسرَّ أيُّها العبدُ إلى الله بالأعمالِ الصالحةِ ، وتطلُبِ الوصولَ إلى جنته ، فإنه يُسارُ بك وأنت لا تدري ، وعمَّا قريبٍ تَصِلُ إلى نهايتك من هذه الدنيا ، وتقول : ﴿ رَبِّ لَوْلَا آخِرَتِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١٠ - ١١]

ابن آدم : إنك في هذه الدنيا تتقلَّبُ بينِ أحوالٍ ثلاثٍ :

نعمٌ تتوالى من الله عليك تحتاجُ إلى شُكْرِ ، والشكرُ مَبْنِيٌّ على أركانٍ ثلاثةٍ :

الاعترافِ بِنِعْمِ اللَّهِ بَاطْنًا، والتحدُّثِ بِهَا ظَاهِرًا، وتصريفها في طاعةِ مولِها ومعطيها. فلا يَتِمُّ الشُّكْرُ إِلَّا بِهَذِهِ الْأَرْكَانِ، وَلَا تَسْتَقِرُّ النِّعْمُ إِلَّا بِالشُّكْرِانِ.

الحال الثاني مما يجري على العبد في هذه الدنيا من محنٍ وابتلاءات من الله يبتلي بها، فيحتاج إلى الصبر، والصبرُ ثلاثة أنواع: حبسُ النفس عن التسخُّطِ بالمقدور، وحبسُ اللسان عن الشكوى إلى الخلق، وحبسُ الأعضاء عن أفعالِ الجَزَعِ، كلطم الخدودِ، وشقَّ الجيوبِ، ونتف الشعرِ، وأفعالِ الجاهلية. ومدارُ الصبر على هذه الأنواع الثلاثة فَمَنْ وَفَّاهَا وَفِّيَ أَجْرَ الصَّابِرِينَ. وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى:

إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [الزمر : ١٠]

والله سبحانه لا يبتلي العبدَ المؤمنَ ليُهْلِكَه، وإنما يبتلي ليمتحنَ صبره وعبوديته لله، فإذا صَبَرَ صَارَتِ الْمُحَنَّةُ فِي حَقِّهِ مُنْحَةً، واستحالت البليةُ في حقه عطيةً، وصارَ من عبادِ الله المخلصين الذين ليس لعدوِّهم سلطانٌ عليهم، كما قال تعالى لِإِبْلِيسَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٩ - ١٠٠]

الحال الثالث : ابتلاؤه بِالْهَوَى والنفس والشيطان، فالشيطانُ العدوُّ الأكبر، وهو ذئب الإنسان وعدوه، وإنما يغتاله ويظفرُ به إذا غَفَلَ عن ذكرِ الله وطاعته، واتبَعَ هواه وشهوته، ولكنَّ الله سبحانه فَتَحَ لِعَبْدِهِ بابَ التَّوْبَةِ والرجوعِ إليه، فإذا تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَحِيحَةً تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَخَلَّصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ عَنْهُ. وإذا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بابَ التَّوْبَةِ والندمِ والانكسارِ والاستعانةِ بِاللَّهِ ودعائه والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكَنَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وأَرَاهُ عِيُوبَ نَفْسِهِ وَسَعَةَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ وَرَحْمَتَهُ بِهِ. فَرُؤْيَةُ عِيُوبِ النَّفْسِ تَوْجِبُ الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ والذُّلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، والخُوفَ مِنْهُ. وَرُؤْيَةُ فَضْلِ اللَّهِ تَوْجِبُ مَحَبَّتَهُ والطَّمَعُ بِمَا عِنْدَهُ، فيكونُ بَيْنَ الْخُوفِ وَالرَّجَاءِ، ويكونُ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا.

عباد الله : إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا طَالَ عِوَابُ عِيوبِ نَفْسِهِ عَرَفَ قَدْرَهَا واحترقها . فلا يدخله عجب ولا كبر ، وإذا نظر في فضل ربه عليه أحبه وعظمه . وأول مراتب تعظيم الله سبحانه تعظيم أوامره ونواهيه ، وذلك بفعل ما أمر الله به من الطاعات ، وترك ما نهى عنه من المعاصي والسيئات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : تعظيم الأمر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف . ولا بتشدد غال . ولا يحملا على علة توهم الانقياد .

وقد وضح ابن القيم كلام شيخه هذا فقال : ومعنى كلامه : أن أول مراتب تعظيم الله عز وجل تعظيم أمره ونهيه ، وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسوله ﷺ إلى كافة الناس . ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه ، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه . وتعظيم نهيه واجتنابه ، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر ، فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم ، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي . فليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الأمر والنهي . فعلامه التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها ، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها والجرح على فعلها في أوقاتها ، والمسارة إليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند قوت حق من حقوقها كمن يحزن على فوت صلاة الجماعة ، ويعلم أنه لو قبلت صلاته منفرداً فإنه قد فاتته سبعة وعشرون ضعفاً ، ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء يفوته سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندماً وأسفاً ، فكيف : وكل ضعيف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف وما شاء الله تعالى فإذا قوت العبد عليه هذا الربح وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع

لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه. وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يُصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجاهد عليه ولكانت قرعة. وكذلك الجمع الكثير الذي تُضاعف الصلاة بكثرته وقلته وكلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل، وكلما بُعدت الخطى إلى المسجد كانت خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة. وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور قلب كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة، فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره. فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها، فهي بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميتين اللذين يراد إهداء أحدهما إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، كما في السنن والمسند وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد ليصلي الصلاة وما كتبت له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ: عشرها».

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تُحصَر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يُفسدُه ويُحبطُه، فالرياء وإن دق مُحبط للعمل، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة مُحبط له أيضاً. لقوله ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهَا أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». أي: مردود على صاحبه غير مقبول عند الله تعالى. والمن بالعمل على الله مفسد له. قال تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِنْ أَسْلَمْتُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]

والمن بالصدقة والمعروف والبر والإحسان مفسد لها. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]

وقد تُحْبَطُ أعمالُ الإنسان وهو لا يشعرُ، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢]

حَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَبُوطِ أَعْمَالِهِمْ بِالْجَهْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يَجْهَرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِرِدَّةٍ، بَلْ مَعْصِيَةٌ تُحْبِطُ الْعَمَلَ وَصَاحِبُهَا لَا يَشْعُرُ بِهَا.

وقد يتساهل الإنسان بالشيء من المعاصي وهو خطيرٌ، وإثمُه كبيرٌ، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُوا بَأْفَاءِ كُفْرٍ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٥]

وفي الحديث : «إِيَّاكُمْ وَمَحْقَرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ طَالِبًا»، وقال بعضُ الصحابة : إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ.

عباد الله : ومن علاماتِ تعظيمِ حرَمَاتِ اللَّهِ ومَنَاهِيهِ أَنْ يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ، وَأَنْ يَكْرَهُ الْعَصَاةَ، وَيَتَعَدَّ عَنْهُمْ. وَيَتَعَدَّ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَوْقَعُ فِي الْمَعَاصِي، فَيَغْضُ بَصَرَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيَصُونَ سَمْعَهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ الْإِسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَازِفِ وَالْمَزَامِيرِ وَالْأَغَانِي وَالْغِيَّةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَيَصُونَ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَغْضَبَ إِذَا انْتَهَكَتِ مَحَارِمُ اللَّهِ فَيَأْمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَقُومَ بِالنَّصِيحَةِ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعَ الرُّخْصَ وَالتَّسَاهُلَ فِي الدِّينِ، وَلَا يَتَشَدَّدَ فِيهِ إِلَى حَدٍّ يَخْرُجُهُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ وَالْإِسْتِقَامَةِ.

لأنَّ مَنْ تَتَّبَعَ الرُّخْصَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهَا كَانَ مُتَسَاهِلًا. وَمَنْ تَشَدَّدَ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَانَ جَافِيًا، وَدَيْنُ اللَّهِ بَيْنَ الْعَالِي وَالْجَافِي، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَمْرِ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: إِمَّا تَقْصِيرٌ وَتَفْرِيطٌ، وَإِمَّا إِفْرَاطٌ وَغُلُوٌّ، فَإِنَّهُ يَأْتِي إِلَى الْعَبْدِ،

فإن وَجَدَ فيه فتوراً وتوانياً وترخساً ثَبَّطَهُ وأَقْعَدَهُ وَضَرَبَهُ بِالْكَسَلِ والتواني والفتور وفتح له باب التاويلات، حتى ربما يترك هذا العبدُ أوامر الله جُمْلَةً، وإن وَجَدَ عنده رغبة في الخير وَحَبًّا في العملِ وحرصاً على الطاعة وخوفاً من المعاصي أمره بالاجتهاد الزائد حتى يزهِّدَه بالاعتصار على الحدِّ المشروع، فيحمِلَه على الغلوِّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم. كما يُحْمَلُ الأولُ على القصور دون هذا الصراط، ويحولُ بينه وبين الدخول فيه.

فاتقوا الله - عباد الله - أَعُوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذَّابٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر : ٥ - ٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحوال الإنسان في هذه الحياة

الحمد لله على نِعَمِهِ الباطنة والظاهرة، جَعَلَ الدنيا مزرعةً لِلْآخِرَةِ. وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الحمدُ في الأولى والآخرة. وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله المؤيَّدُ بالمعجزاتِ الباهرة. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نَجُومِ الْهَدْيِ الزَاهِرَةِ، وَسَلَّمْ تسليمًا كثيرًا. . . أما بعدُ :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وتأمَّلُوا في دنياكم وسرعة زوالها، وتغيُّر أحوالها، فإنَّ ذلك يحملُكم على عدمِ الاغترار بها، ويحفزُكم على اغتنامِ أوقاتها قبل فواتها. يقولُ الإمام ابنُ القيم رحمه الله : فإن ضَعُفَتِ النَّفْسُ عن ملاحظةِ قِصْرِ الوقت وسرعةِ انقضائه، فليَتَدَبَّرْ قَوْلُهُ عز وجل : ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف : ٣٥] وقَوْلُهُ عز وجل : ﴿قُلْ كَلِمَاتٌ فِي الْأَرْضِ عَدَّةٌ سِنِينَ قَالُوا لَيْسَ بِهَا نَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ قُلْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[المؤمنون : ١١٢ - ١١٤] وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُفْتَحُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَخْفَتُونَ مِنْهُمْ إِن لَّيْتُمُ الْأَعْشَرَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّيْتُمُ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [طه : ١٠٢ - ١٠٤]

وخطب النبي ﷺ أصحابه يوماً فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال، وذلك عند الغروب قال : «إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي بقي من الدنيا بأسرها ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظٍّ بخسٍ خسيسٍ لا يساوي شيئاً، ولو طلب الله تعالى الدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً، وأكمل منه.

كما في بعض الآثار : «ابن آدم : بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً. ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً».

وقال بعض السلف : ابن آدم : أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة مُر بنصيبك من الدنيا فانظمته انتظاماً.

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن الدنيا محطة تنزلون فيها في سفركم إلى الآخرة لتأخذوا منها الزاد لذلكم السفر فتزودوا ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ [البقرة : ١٩٧]

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . الخ

في الدين الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما كان وما يكون . وما تسرون وما تعلنون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون . وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم يبعثون . أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واشكروه إذ هداكم للإسلام وجعلكم إن تمسكنم به خير أمة أخرجت للناس . فإن الإسلام أكبر نعمة أسداها الله للبشرية ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَخَافُوا أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَشَاوَوْكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَزَادَكُمْ مِنَ الْأَطْيَبِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

انظروا إلى الناس من حولكم تجدونهم ما بين ملاحدة تنكروا للأديان وأنكروا الخالق وتجبروا على الخلق وتسموا بأسماء مختلفة ما بين شيوعية وبعثية وقومية واشتراكية وقد استدرجهم الله فأعطاهم من السلطة والقوة والاختراع والتكتل ما أربهاوا به العالم واغتروا به في أنفسهم ، ثم إن الله سبحانه دمرهم بسهولة فأضعف قوتهم وشتت شملهم ومزق وحدتهم وسلط عليهم الفقر والفاقة حتى أصبحوا عبرة للمعتبرين . ما أغنت عنهم قوتهم ولا نفعتهم جموعهم وجنودهم ولا حمتهم أسلحتهم الفتاكة لقد انهارت الشيوعية لأن أصحابها لم يبنوها على دين ولم يقيموها على أساس . بل بنوها على شفا جرف هار فانهار بهم في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين . ومن الناس من يتمسك بدين وضعه لنفسه أو

وضعه له شياطين الجن والانس يعبد صنماً أو قبراً أو شجراً أو حجراً لا ينفع ولا يضر. ولا يسمع ولا يبصر. بل هو أضعف ممن عبده كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبْنِتُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر : ١٣-١٤].

وذلكم هو دين الوثنيين على اختلاف أجناسهم وتنوع معبوداتهم قديماً وحديثاً. ومن الناس من يتمسك بدين مبدل محرف أو منسوخ قد انتهى العمل به. وأولائكم هم اليهود والنصارى وهم المغضوب عليهم والضالون الذين نسأل الله أن يجنبنا طريقهم في آخر سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا ومن الناس من ينتسب إلى الدين الصحيح وهو الإسلام انتساباً في الظاهر وهو يكفر به في الباطن وإنما انتسب إليه ليعيش مع المسلمين ويخادعهم أولائكم هم المنافقون الذين أخبر الله أنهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً. ومن الناس الآن من ينتسب إلى الإسلام بأقواله لكنه يخالفه بأفعاله وتعبداته فيدعو غير الله ويدبح لغير الله ويستغيث بالأموات ويعبد القبور. أو يتقرب إلى الله بدين لم يشرعه فيتقرب إليه بالبدع والمحدثات. يفتنى عمره ويتعب جسمه وينفق ماله في إحياء البدع والخرافات باسم الإسلام والدين. وهو يبعد عن رب العالمين. وأولائكم هم عباد الأولياء والصالحين الذين يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أولائكم هم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٤]. وقال تعالى فيهم : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُشْفَى مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية : ٢-٧].

ومن تمام عقوبتهم وابتلائهم أنهم يحسبون أنهم على حق فلا يقبلون النصيحة ولا يفيد فيهم التوجيه. (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ومن الناس من ينتسب إلى الإسلام الآن لكنه لا يقيم أركانه فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ولا يحكم بشرع الله ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الربا

والمكاسب الخبيثة. وإنما يكفي بمجرد التسمي وما يكتب في جواز السفر وحفيظة النفوس قد اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم. ومن الناس اليوم خلق كثير ينتسبون إلى الإسلام لكنهم فرّقوا دينهم وكانوا شيعا. فانقسموا إلى جماعات وجمعيات وأحزاب وفرق لكل فرقة وجماعة منهج يختلف عن منهج الفرق الأخرى في الاعتقاد والتعبّد والدعوة ولم يبق على الحق من هذه الفرق إلا من تمسك بالكتاب والسنة وسار على منهج السلف الصالح كما قال النبي ﷺ: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قيل من هي يا رسول الله. قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) ولقد أخبر الله سبحانه عن براءة النبي ﷺ من هذه الفرق المخالفة للفرقة الناجية قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٩]. وبين سبحانه طريق النجاة من هذا الاختلاف بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران : ١٠٣].

إنه لا صلاح ولا فرج ولا نجاة من عذاب الله إلا بالتمسك بالاسلام علما وعملا واعتقادا قولاً وفعلًا وحكما به بين الناس: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩].

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[آل عمران : ٨٥]. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران : ٨٣]. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام : ١١٤]. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠].

وهناك من يتحمسون للإسلام اليوم ويقومون بالدعوة إليه بزعمهم وهم جهال بأحكامه أو مغرضون يريدون الدس فيه وإثارة الفتن بين المسلمين فيروجون الشبه ويزهدون في علم السلف ويصفون العلماء بأنهم قاصروا النظر لا يفهمون فقه الواقع. وهم يريدون بذلك أن يفصلوا المسلمين عن علمائهم حتى يدخلوا عليهم

مبادئهم وأفكارهم المنحرفة وقد يستخدمون لذلك بعض أبنائنا المغرورين .
فتنبهوا لذلك واحذروا فتنتهم ولا تروجوا أقوالهم بينكم فإنها سبب فتنة وشر راعنا
الله وأياكم وجميع المسلمين من الفتن إن الذي لا يفهم فقه الواقع في الحقيقة هو
الذي لا يتنبه للدعوات المدسوسة باسم الإسلام من أجل إثارة الفتنة وشق عصا
الطاعة وتفريق الكلمة فاحذروا هذا الصنف واحذروا من دعاة السوء - واتقوا الله
لعلكم ترحمون .

بارك الله لي ولكم في القرآن

من الخطبة الثانية في الدين الحق

الحمد لله رب العالمين ، رضي لنا دين الإسلام . فلا يقبل دينا سواه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ولا نعبد إلا إياه . وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله أعلم الخلق وأخشاهم وأتقاهم الله . صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه ومن والاه . أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أنه لا يتحقق
للإنسان التمسك بدين الإسلام حتى يتبرأ مما سواه من سائر الأديان . لأنه لم يبق
بعد بعثة محمد ﷺ دين صحيح إلا دين الإسلام الذي جاء به . قال ﷺ : (والله لو
كان أخي موسى حيا ما وسعته إلا اتباعي) وقال ﷺ : (لا يسمع بي يهودي ولا
نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ لَا
أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ
دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون] .

بعض الجاهل يقول إن الإسلام جاء بحرية الأديان والتعايش بين أصحابها
وهذا خطأ واضح . وجهل فاضح . فالإسلام لا يقر الأديان الباطلة ولذلك شرع
عند القدرة قتال أهلها لازالتها قال تعالى : ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً

وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ ﴿[الأنفال : ٣٩].

وإنما أمر بترك اليهود والنصارى على دينهم إذا بذلوا الجزية وخضعوا لدين الإسلام وهم صاغرون وذلك لأنهم أهل دين سماوي منسوخ فأعطوا الفرصة من أجل أن ينتقلوا منه إلى دين الإسلام بعد تأمله بخلاف الوثنيين والدهرية فهؤلاء لا يجوز تركهم على كفرهم . فالواجب على المسلم ألا يتكلم في هذه المسائل الخطيرة إلا عن علم وبصيرة .

عباد الله : إن دين الإسلام دين العزة فهو يعلمو ولا يعلمى عليه فما بال بعض المسلمين يذلون أنفسهم للكفرة والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] . ويقول تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا أردنا العزة بغيره أذلنا الله فالواجب على المسلم أن يعتز بدينه ولا يذل ولا يهون . الواجب على المسلم أن يترفع بدينه عن الدنيا والذائل والأخلاق الفاسدة والصفات الهابطة . ولكن بعض المنتسبين إلى الإسلام إذا سافروا إلى بلاد الكفار صاروا عارا على الإسلام بأخلاقهم وتصرفاتهم القبيحة يمارسون أقبح الفحش والاجرام . ولا يتورعون عن الحرام . يعاقرون الخمر . ويغشون مجالس اللهو والفجور . ويظهرون نساءهم بأقبح مظاهر العري والسفور . فيشوهون الإسلام عند من لا يعرف الإسلام وهم في الحقيقة إنما يمثلون أنفسهم الحقير ويظهرون ما تكنه قلوبهم من مرض ونفاق . والإسلام بريء منهم ومن تصرفاتهم . فاتقوا الله عباد الله واحمدوا الله على دين الإسلام واعتزوا به وأظهروه على حقيقته في أي مكان يعزكم الله وينصركم . واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة ظهور مرض الايدز

الحمد لله رب العالمين ، على فضله واحسانه ، حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . شهادة مخلص لله في السر والعلن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ترك أمتة على البيضاء لا يزيغ عنها إلا من فتن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بهديه فأدوا الفرائض والسنن . وتجنبوا المحارم ما ظهر منها وما بطن . وسلم تسليماً كثيراً - أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واحذروا المعاصي فانها سبب العقوبات العاجلة والآجلة فما حل في العالم بلاء إلا وهي سببه . وقد تناقل العالم في هذه الأيام بواسطة وكالات الأنباء العالمية ووسائل الاعلام المختلفة نبأ حدوث وباء خطير سموه طاعون العصر الحديث . أخذ ينتشر بسرعة وتموت فيه المئات والآلاف من الناس . وهو ما يسمى بمرض الايدز أو فقد المناعة في الجسم الانساني حتى يصبح معرضاً للإصابة بالأمراض والأورام الخطيرة التي تقضي عليه بسرعة ، ورغم البحوث الطبية لم يتوصل الطب على مقدمة إلى علاج له فصار مرضاً مستعصياً وقد ذكر الأطباء أن السبب لهذا المرض هو الزنا واللواط وتناول المخدرات - وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الاسراء : ٣٢]

وقول النبي ﷺ : (ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا) صدق الله ورسوله - الآن اعترف العالم كله ضمناً بما نصت عليه هذه الآية الكريمة والحديث الشريف لكن هل نعتبر ، بل لقد ذكروا أن هذا المرض لا يقتصر على من أصيب به بل ينتقل منه الى زوجته وأولاده . بل وينتقل عن طريق نقل الدم من شخص مصاب به إلى

شخص سليم، وعن طريق مصافحة المصاب أو معانقته للشخص السليم وعن طريق اختلاط المصابين بهذا المرض بالسالمين منه في المجالس والمواطن المزدحمة أو التعاقب على دورات المياه. وتقدر منظمة الصحة العالمية ان ما يقرب من عشرة ملايين من البشر مصابون الآن بهذا المرض ويتوقع أن ينتشر بشكل أكثر ما لم يقض على أسبابه من الزنا واللواط وتناول المخدرات ولا يمكن القضاء على هذه الأسباب الا بتطبيق الحدود الشرعية على الزناة واللوطية ومروجي المخدرات فقد أمر الله بجرم الزاني المحصن حتى يموت، وخسف الأرض باللوطية وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود. وأمر النبي ﷺ بقتل الفاعل والمفعول به^(١) في اللواط. وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على وجوب قتله. لكنهم اختلفوا في كيفية قتله. فمنهم من قال يلقي من شاقق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط. ومنهم من قال يحرق بالنار كما حرق خالد بن الوليد اللوطي بأمر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ومنه من قال يقتل بالسيف. فهم لم يختلفوا في وجوب قتله. وانما اختلفوا في كيفية تنفيذ القتل وهذا اختلاف لا يؤثر.

وأمر الله سبحانه بقتل المفسدين في الأرض ومنهم مروجو المخدرات بزراعتها أو بيعها من أجل راحة البشرية من شرهم والقضاء على الآثار القبيحة التي تنتج من جرائمهم وأمر الله سبحانه بغض البصر وحفظ الفروج وتحجب النساء عن الرجال وقرارهن في البيوت وحرم سفر المرأة بدون محرم ومنع من الاختلاط بين الرجال والنساء وحرم خلوة الرجل بالمرأة التي لا تحل له. كل ذلك من أجل القضاء على هذه الجرائم ووقاية الناس من آثارها القبيحة ولكن يأبى الذين في قلوبهم مرض إلا أن يُمرّدوا المرأة على هذه الأحكام الشرعية ويصفوها بأنها تقاليد قديمة وظلم للمرأة وهضم لحقوقها. الخ ما يقولون من الزور والأقوال الخبيثة - والآن ليدققوا وبال أمرهم قال الإمام العلامة ابن القيم رحمة الله عليه: ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب

وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقى ما يوقع أعظم العدوأة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه وفي ذلك خراب العالم كانت مفسدة الزنا تلي مفسدة القتل في الكبر. ولهذا قرنه الله سبحانه بها في كتابه ورسوله ﷺ في سنته قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠].

فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح - فاتقوا الله عباد الله وأعملوا الأسباب الواقية من عقوباته العاجلة والآجلة بالتوبة إلى الله وحفظ أنفسكم وحفظ محارمكم من الفواحش وأسبابها لعلكم تفلحون .
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . أمرنا بالتمسك بهذا الدين لنكون من المفلحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصا له الدين . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا - أما بعد أيها الناس اتقوا الله تعالى واحذروا من عقابه . يا من تسافرون للخارج - إلى مواطن البلاء ومعاطن البلاء اتقوا الله في أنفسكم وفي أهللكم وعوائلكم وفي مجتمعكم لا تتمرغوا في الوحل وتغمسوا أنفسكم في البلاء وتجلبوه إلى بلادكم كالذباب الذي يقع على النجاسة والقاذورات ثم يحملها برجليه إلى أجسام الأبرياء - يقول الأطباء إن جرثومة هذا المرض الخطير الذي سمعتم شيئا عن آثاره المدمرة لا تنتشر بشكل عارض وإنما

تنتقل نتيجة لسلوك بشري يمكن للانسان أن يتوقاه بالتمسك بالدين والقيم الأخلاقية النزيهة والابتعاد عن مواطن الفساد وقرناء السوء وتجنب الاستمتاع المحرم والابتعاد عن تعاطي المخدرات وتجنب نقل الدم من شخص لآخر قبل التأكد من سلامته. فاتقوا الله عباد الله واحمدوا الله على هذا الدين القويم الذي بين لكم الخير والشر وشرع لكم ما يكفل سلامتكم في الدنيا والآخرة. وقد يقول قائل إن الرسول ﷺ قد نفى العدوى بقوله ﷺ (لا عدوى ولا طيرة) فما بالك تذكر لنا قول الأطباء في إعداد هذا المرض - ونقول: إن النبي ﷺ نفى العدوى التي كانت تعتقدها الجاهلية من أن المرض يعدى بنفسه وأثبت العدوى التي تكون بقضاء الله وقدره عقوبة منه سبحانه بسبب مخالطة المجذوم ومخالطة الممرض للمصح والقدوم على بلد الوباء - فالواجب علينا تعاطي أسباب النجاة. وتجنب أسباب الهلاك والعقوبات. فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله الخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في سورة العصر

الحمد لله رب العالمين؛ أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له «الرحمن. علم القرآن» وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، بالمال واللسان والسنان وسلم تسليماً كثيراً - أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وتأملوا كتاب ربكم ففيه الهدى والنور، وشفاء الصدور ومعنا الآن سورة وجيزة من كتاب الله هي سورة العصر قال فيها الامام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا لم يفترقوا إلا بعد أن يقرأ أحدهم على الآخر سورة العصر..

وذلك من أجل العمل بها - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

ثلاث آيات تتضمن بيان أسباب الخسران والريح ولا شك أن كل عاقل يريد الريح ولا يريد الخسارة لكنه لا يعلم الأسباب الموصلة إلى الخسارة فيتجنبها والأسباب الموصلة إلى الريح فيطلبها . وقد منّ الله على عباده فبين ذلك لهم في سورة وجيزة يحفظها ويفهمها الكبير والصغير والعامي والمتعلم لتقوم بذلك حجته على خلقه . وليعمل بها من يريد النجاة لنفسه فله الحمد والمنة، وله الحجة البالغة على خلقه .

أقسم سبحانه بالعصر الذي هو الوقت الذي يعيشه الناس في هذه الحياة وهو سبحانه يقسم بما شاء من خلقه ، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم إلا بالله ، لأن القسم من المخلوق بغير الله شرك - وهو سبحانه لا يقسم بشيء من خلقه إلا إذا كان فيه سر عظيم وحكمة بالغة من أجل أن يلفت الأنظار إليه إما للاعتبار به أو الاستفادة منه . وهو هنا أقسم بالعصر الذي هو الزمان والوقت الذي يعيشه الناس في هذه الحياة لما فيه من العبر، من تقلب الليل والنهار وما يجري فيهما من الحوادث والمتغيرات والمتضادات وما فيه من الفائدة العظيمة للإنسان إذا استغل هذا الوقت فيما ينفعه ويفيده . أقسم سبحانه أن كل إنسان خاسر في الدنيا والآخرة سواء كان ملكاً أم صعلوكاً . أم غنياً أم فقيراً . أم عالماً أم جاهلاً أم شريفاً أم وضيعاً أم ذكراً أم أنثى . إلا من استغل هذا الوقت بأربعة أشياء - الإيمان . والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر - فالإيمان هو تصديق القلب وبقينه وعلمه بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته واستحقاقه للعبادة مع النطق بذلك باللسان والعمل به في الجوارح . والعمل الصالح هو فعل ما أمر الله به من الطاعات وترك ما نهى الله عنه من المعاصي مع الإخلاص لله في ذلك والمتابعة للرسول ﷺ وعطف عمل الصالحات على الإيمان وإن كان داخلياً فيه من أجل الاهتمام به والتأكيد على أن تصديق القلب لا ينفع بدون عمل - كما قال الحسن البصري رحمه الله : ليس

الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما قر في القلوب وصدقته الأعمال . وما كل عمل يكون صالحاً إلا ما توفر فيه الإخلاص لله من جميع أنواع الشرك ، والمتابعة للرسول ﷺ وترك جميع البدع والمحدثات وهناك كثير من الخلق يعملون أعمالاً يرجون فائدتها وثوابها وهي تبعدهم عن الله وعن جنته وتدخلهم نار جهنم لما كانت فاقدة لهذين الشرطين أو أحدهما - الإخلاص والمتابعة قال تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٌ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٢-٥] .

يعني حارة شديدة الحرارة ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٦-٧] .

قال ابن عباس وقتادة : تخشع ولا ينفعها عملها (ناصبه) عملت عملاً كثيراً تعبت فيه دخلت به النار لأنه ليس على المنهج المشروع وإذا كان هذا حال الذين يعملون - لكنهم يعملون على غير هدى - فما حال الذين لا يعملون أصلاً وإنما يعيشون في هذه الدنيا عيشة البهائم لبطونهم وفروجهم فلا يصلون ولا يزكون ولا يتورعون عن حرام ، ولا يكفون عن الاثم والإجرام .

وقوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ التواصي بالحق هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة وبحكمة . وتعليم الجاهل وتذكير الغافل - فلا يكفي أن الإنسان يعمل العمل الصالح ويقتصر على إصلاح نفسه بل لا بد أن يعمل على إصلاح غيره . لأنه لا يكون مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ولا يكون الإنسان ناجياً من الخسار حاصلاً على الربح إلا إذا عمل على إصلاح نفسه وإصلاح غيره . وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يقول بعض السفهاء في هذه الأيام : إن هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتدخل في أمور الناس ولا يدري هذا الجاهل أن الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر يريدون الخير للناس والنجاة لهم من عذاب الله وانقاذهم من الهلاك . وقد جاء في الحديث ان الناس إذا رأوا

المنكر ولم يغيروه أو شك ان يعمهم الله بعذاب من عنده . وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . وقوله تعالى : ﴿وتواصوا بالصبر﴾ الصبر هو حبس النفس على طاعة الله وإبعادها عن معصيته وهو ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله . وصبر عن محارم الله . وصبر على أقدار الله المؤلمة . ومناسبة ذكر الصبر بعد ذكر التواصي بالحق ، لأن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يتعرض لأذى الناس القولي والفعلية فعليه أن يصبر على ذلك ويستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحمل ما يناله من الناس من الأذى ، لأن الذي لا يصبر على أذاهم لا يستمر على نصيحتهم ، وقد قال لقمان لابنه : ﴿يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧] .

وقال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأمرهم : ﴿وَلَصَبِرِكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم : ١٢] .

والذي ليس عنده صبر لا يصلح للقيام بإصلاح الناس بل لا يقوى على القيام بإصلاح نفسه . ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد وقال الإمام أحمد رحمه الله : وجدنا خير أمورنا بالصبر . إن سورة العصر سورة عظيمة معجزة وجيزة في ألفاظها غزيرة في معانيها . جامعة لأسباب السعادة بحذافيرها ومحذرة عن أسباب الشقاوة جميعها ، ولو أراد أبلغ الناس وأفصحهم ان يبين أسباب السعادة وأسباب الشقاوة لاحتاج إلى مجلدات وقد لا يصل إلى المطلوب لكنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله . فاتقوا الله أيها المسلمون واجعلوا سورة العصر منهجاً تسيرون عليه في طريقكم إلى الله ولا تضيعوا العمل بها فتكونوا من الخاسرين

بارك الله لي ولكم في القرآن

من الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً - وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واحفظوا أوقاتكم من الضياع وأعمالكم من الفساد. واغتنموا أعماركم بالطاعة والأعمال الصالحة قبل أن تندموا على فواتها يوم لا ينفع الندم. ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

إنه عمرك أيها الإنسان فرصة وهبها الله لك لتنفقه فيما ينفعك فاحرص على حفظه أكثر مما تحرص على حفظ مالك لأن المال إذا ضاع يمكن التعويض عنه. أما وقت العمر فلا يمكن التعويض عنه. كثير من الناس يشكو من الفراغ ويريد أن يشغل الوقت بما يستنفده ولو كان ضاراً أو لا فائدة منه. يسهر الليل على اللهو واللعب وينام عن الصلاة. يسافر للنزهة وقضاء الإجازة الصيفية ولو في أفسد البقاع. يعطي نفسه ما تشتهي ولو كان فيه مضرتها وشقاوتها. لا يحسب حساباً لغده ومستقبله. لا يفكر في الموت والقبر والحشر والحساب والمصير الدائم لا يتأمل في سورة العصر وما تطلبه منه. لا يفكر في العواقب ولا يعتبر بما حصل لغيره من سوء العواقب فاتقوا الله وأعلموا ان خير الحديث كتاب الله - .

في النهي عن تغيير العبادات عن وضعها الشرعي

الحمد لله أمرنا بطاعته واتباع رسوله . ونهانا عن اتباع أهوائنا والقول عليه بلا علم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمد عبده ورسوله القائل : (وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة) . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واتبعوا ما أنزل إليكم ربكم ولا تغيروا ولا تبدلوا فقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] .

وقال ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وإن بعض الناس في هذا الزمان يحاولون تغيير العبادات عن وضعها الشرعي ولذلك أمثلة كثيرة ، فمثلاً صدقة الفطر أمر رسول الله ﷺ بإخراجها من الطعام في البلد الذي يوجد فيه المسلم عند نهاية شهر رمضان بأن يخرجها في مساكين ذلك البلد وقد وجد من يفتي بإخراج القيمة بدلاً من الطعام ومن يفتي بدفع دراهم يشتري بها طعام في بلد آخر بعيد عن بلد الصائم وتوزع هناك . وهذا تغيير للعبادة عن وضعها الشرعي فصدقة الفطر لها وقت تخرج فيه وهو ليلة العيد أو قبله بيومين فقط ولها مكان تخرج فيه وهو البلد الذي يوافي تمام الشهر والمسلم فيه ولها أهل تصرف فيهم وهم مساكين ذلك البلد ولها نوع تخرج منه وهو الطعام فلا بد من التقيد بهذه الاعتبارات الشرعية وإلا فإنها لا تكون عبادة صحيحة ولا مبرئة للذمة ، وقد اتفق الأئمة الأربعة على وجوب إخراج صدقة الفطر في البلد الذي فيه الصائم ما دام فيه مستحقون لها . وصدر بذلك قرار من هيئة كبار العلماء في المملكة فالواجب التقيد بذلك وعدم الالتفات إلى من ينادون بخلافه لأن المسلم يحرص على براءة ذمته والاحتياط لدينه وهكذا كل العبادات لا بد من أدائها على مقتضى الاعتبارات الشرعية نوعاً

ووقتاً ومصرفاً فلا يغير نوع العبادة الذي شرعه الله إلى نوع آخر فمثلاً: فدية الصيام بالنسبة للكبير الهرم والمريض المزمن اللذين لا يستطيعان الصيام قد أوجب الله عليهما الأ طعام عن كل يوم بدلاً من الصيام. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وكذلك الاطعام في الكفارات، كفارة الظهار وكفارة الجماع في نهار رمضان وكفارة اليمين. وكذلك إخراج الطعام في صدقة الفطر، كل هذه العبادات لا بد من إخراج الطعام فيها ولا يجزيء عنه إخراج القيمة من النقود لأنه تغيير للعبادة عن نوعها الذي وجبت منه. لأن الله نص فيها على الإطعام فلا بد من التقيد به. ومن لم يتقيد به فقد غيّر العبادة عن نوعها الذي أوجبه الله، وكذلك الهدى والأضاحي والعقيقة عن المولود. لا بد في هذه العبادات ان يذبح فيها من بهيمة الأنعام النوع الذي يجزيء منها ولا يجزيء عنها إخراج القيمة او التصديق بثمانها. لأن الذبح عبادة، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والأكل من هذه الذبائح والتصدق من لحومها عبادة، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

فلا يجوز ولا يجزيء إخراج القيمة أو التصديق بالدرهم بدلاً من الذبح. لأن هذا تغيير للعبادة عن نوعها الذي شرعه الله، ولا بد أيضاً أن تذبح هذه الذبائح في المكان الذي شرع الله ذبحها فيه. فالهدى يذبح في الحرم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣].

وقال تعالى في المحرمين الذين ساقوا معهم الهدى: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُهُ وَسَكْرًا حَتَّى تَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].

والأضحية والعقيقة يذبحهما المسلم في بلده وفي بيته ويأكل ويتصدق منهما ولا يبعث بقيمتها ليشترى بها ذبيحة تذبح وتوزع في بلد آخر - كما ينادي به اليوم بعض الطلبة المبتدئين أو بعض العوام بحجة ان بعض البلاد فيها فقراء

ومحتاجون - ونحن نقول إن مساعدة المحتاجين من المسلمين مطلوبة في أي مكان - لكن العبادة التي شرع الله فعلها في مكان معين لا يجوز تجاوز الصفة التي شرعها الله بها، وهؤلاء شوّشوا على الناس حتى كثر تساؤلهم عن هذه المسألة . ولقد كان النبي ﷺ يبعث بالهدي إلى مكة ليذبح فيها وهو مقيم بالمدينة . ويذبح الأضحية والعقيقة في بيته بالمدينة ولا يبعث بهما إلى مكة مع أنها أفضل من المدينة وفيها فقراء قد يكونون أكثر حاجة من فقراء المدينة، ومع هذا تقيد بالمكان الذي شرع الله أداء العبادة فيه فلم يذبح الهدي بالمدينة ولم يبعث بالأضحية والعقيقة إلى مكة بل ذبح كل نوع في مكانه المشروع ذبحه فيه «وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» نعم لا مانع من إرسال اللحوم الفائضة من الهدي والأضاحي إلى البلاد المحتاجة - لكن الذبح لا بد أن يكون في المكان المخصص له شرعاً . ومن أراد نفع المحتاجين من اخواننا المسلمين في البلاد الأخرى فليساعدهم بالأموال والملابس والأطعمة وكل ما فيه نفع لهم . أما العبادات فإنها لا تغير عن وقتها ومكانها بدعوى مساعدة المحتاجين في مكان آخر والعاطفة لا تكون على حساب الدين وتغيير العبادة . .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

من الخطبة الثانية في النهي عن تغيير العبادات

الحمد لله رب العالمين . أكمل لنا الدين . وأتم علينا النعمة . وأوضح لنا الأحكام . وأمرنا بتعلمها والتقيد بها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديه وتمسك بسنته وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى كما أمركم الله واعبدوه على نور من هدي كتابه وسنة نبيه واحذروا القول عليه بلا علم والفتوى في دينه بغير بصيرة . فإن ذلك من أعظم المحرمات . وإذا أشكل عليكم شيء من أمور دينكم فراجعوا فيه أهل العلم كما أمركم الله بذلك في قوله : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

فالفَتوى في الدين لا تؤخذ عن كل أحد . وإنما تؤخذ عن أهل الذكر . وأهل الذكر هم العلماء بكتاب الله وسنة رسوله . وإننا نرى في هذه الأزمنة تساهلاً في أمر الفتوى وقبولها من كل أحد . فعندما يخطب خطيب أو يتكلم متكلم في مسألة من مسائل الدين يبادر كثير من الناس إلى قبولها والعمل بها دون رجوع إلى أهل العلم . وهذا الأمر يندرج بخطورة شديدة . إن الكثير ممن يخطبون ويتكلمون ليسوا فقهاء وفقهاء قليل . وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء . فعليكم عباد الله بالتثبت في أمور الأحكام الشرعية . فإن هذا من دينكم . واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بالأمن والإيمان . وغمرنا بالفضل والنعم والاحسان . وأشهد أن لا إله إلا الله الرحيم الرحمن . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوههم باحسان . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد أيها الناس اتقوا الله واشكروا نعمه فقد تأذن بالمزيد لمن شكره . وتأذن بالعذاب الشديد لمن كفره . تعلمون ما كانت تنعم به هذه البلاد منذ أن من الله عليها بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومؤازرة آل سعود له - رحم الله الأموات ووفق الأحياء للقيام بمناصرة هذه الدعوة المباركة التي أراح الله بها عن هذه البلاد كثيراً من الشرور والفتن . وحل محلها الاجتماع والوفاق وسلامة الاعتقاد والأخلاق . فأهل هذه البلاد والله الحمد جماعة واحدة في الاعتقاد والسلوك والحكم قادتهم ورعيتهم يحرسون العقيدة ويحكمون الشريعة ويقيمون الحدود ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصونون الأعراض والأموال . لا نقول إنهم كاملون في كل شيء ولا نقول إنه لا تقع عندهم بعض المخالفات لكن ما يقع من ذلك فإنه والله الحمد يعالج على ضوء الشريعة وكان مثل هذا يقع في عهد النبي ﷺ فقد وجد من يسرق ومن يزني ومن يشرب الخمر ومن يقطع الطريق في عهده ﷺ لكنه كان يقيم الحدود ويردع المجرمين وكانت بلادنا والله الحمد تسير على هذا النهج المستقيم . ولكن في هذه

الأزمان المتأخرة بحكم تقارب العالم واختلاط الناس وحدوث وسائل الاعلام التي تبث ما يقال وما يفعل هنا وهناك تأثر بعض شباب هذه البلاد وخصوصا بعض المتدينين منهم بأفكار غريبة تفد إليهم من مجتمعات أخرى ومن جماعات تنتسب الى الإسلام والدعوة إليه لكن عندها جهل كثير وفيها أخلاط مشبهون مندسون بين تلك الجماعات ترى تضليل من خالفها - بل إن هذه الجماعات يضلل بعضها بعضا وربما يكفر بعضها بعضا فتأثر بذلك بعض شبابنا وتشربوا أفكار هذه الجماعات وتنكروا لما كانت عليه هذه البلاد الطيبة من منهج سليم واتباع لمذهب سلف هذه الأمة وصاروا يسيئون الظن بعلماء هذه البلاد وقادتها . ويطبقون عليهم ما تقوله الجماعات التي في البلاد الأخرى في بعض علمائهم المنحرفين وقادتهم المخالفين لهدي الإسلام ويأخذون من الزلات اليسيرة والأخطاء القليلة التي تقع في هذه البلاد حجة لهم فيما يقولونه من سيء القول ولا يفرقون بين الخطأ اليسير الذي يمكن علاجه في هذه البلاد وبين الخطأ الكبير الموجود في البلاد الأخرى . ولا ينظرون إلى ما تنعم به هذه البلاد في ظل الحكم الإسلامي وتطبيق الشريعة وما تعيشه البلاد الأخرى من انحرافات في العقيدة وتعطيل لأحكام الشرع مما سبب لها الفوضى والقلق واختلال الأمن . وبلغ الأمر ببعض هؤلاء الشباب هدامهم الله إلى الوقعة في العلماء وولاة الأمور والنهور في الأقوال . بل لقد حصل بين فئات هؤلاء الشباب من الاختلاف والمهارات فيما بينهم في المجالس وفيما يسجلونه على الأشرطة أو يقولونه في محاضراتهم ما يندى له الجبين وذلك بسبب أن كل طائفة من هؤلاء الشباب انتمى إلى جماعة من الجماعات المعاصرة المختلفة في مناهجها ومقاصدها ولم يبق من شبابنا سالما من هذه الأفكار إلا من من الله عليه بالتعقل واتباع المنهج السليم الذي تسير عليه هذه البلاد وهو منهج السلف الصالح الذي دعا إليه الامام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وسارت عليه سياسة هذه البلاد من بعده - لقد عظم الأمر وتجاوز حده وصار شغل كثير من الناس الشاغل هو القيل والقال وتذاكر العيوب والبحث عن النقائص ودفن الفضائل وترديد ما يقوله أناس يعيشون في مجتمعات تختلف عن بلادنا كثيرا في عقائدها ونزعاتها .

وثقافتها وأفكارها. وربما استغلَّ بعض أفراد هذه الجماعات الأجنبية عن بلادنا وبعض قادتها حماس بعض شبابنا وجهلهم بدينهم وبقائعهم فلقنوهم تلك الأفكار ونموها في رؤوسهم من أجل إزالة ما تنعم هذه البلاد به من وفاق ووثام وأمن واستقرار لأنها هي الدولة الوحيدة التي تحكم بكتاب الله وسنة رسوله وتحارب الشرك والبدع والمذاهب الهدامة والنحل الضالة وتساعد المسلمين في أقطار الأرض وتنشر فيهم العقيدة الصحيحة والمفاهيم السليمة. ولا شك أن هذا سيغيظ أصحاب العقائد الفاسدة والمبادئ المنحرفة والمناهج المعوجة فلذلك صاروا يكيّدون لها بمختلف الدسائس حتى شوشوا على شبابنا وشككوهم في صحة مسيرة هذه البلاد ونوايا قادتها وعلمائها - حتى وجد من شباب هذه البلاد ومثقفهم من يتقص علماءنا ويرميهم إما بالمداهنة وإما بقصور الأفهام وعدم فقه الواقع - إن الذي لا يفهم فقه الواقع في الحقيقة هو الذي لا يميز بين المناهج المنحرفة والمنهج السليم. هو الذي يتقبل الأفكار المشبوهة ويترك فقه الكتاب والسنة. هو الذي لا يميز بين الضار والنافع هو الذي يترك منهج أهل السنة والجماعة الذي لا انقسام فيه ولا اختلاف ويستبدله بمناهج مستوردة مشبوهة لم تنفع أهلها ولم تصلح بلادها ولم تصدر عن علماء محققين وإنما صدرت عن جهلة وأصحاب ثقافات ضحلة لا تسمن ولا تغني من جوع - أيها المسلمون: إن الذي ندعو إليه أمتنا عموماً وشبابنا خصوصاً هو معرفة الحق والثبات عليه والسير على ما سار عليه سلفنا كما قال الامام مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. إن هذه البلاد والحمد لله ليست بحاجة الى استيراد الأفكار إنها بحاجة الى التمسك بعقيدتها والمحافظة على منهجها السليم الذي سارت عليه من مئات السنين بنجاح ووفاق ووثام. وكان يجب أن تؤثر على غيرها بالدعوة الصحيحة والعقيدة السليمة لا أن تتأثر بما يخالف منهجها وعقيدتها ، فاتقوا الله أيها المسلمون واسمعوا قول الله لكم: ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

من الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله عصمة لمن تمسك به عند حصول الامتحان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وأسمائه وصفاته الحسان. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى كافة الثقلين الانس والجان - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي البر والإحسان. وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن نبينا ﷺ أخبرنا أنها ستكون فتن وأمرنا أن نتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا لننجو من شرها فقال عليه الصلاة والسلام: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. كتاب الله وستي) وقال عليه الصلاة والسلام: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة) وقال: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة. كلها من النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) وقد وعد الله من اتبع السلف الصالح بالرضا والجنة فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ فَتُؤْتَوْنَ مِنْهَا قِسْماً غَيْرَ مُتَوَاتِلاً﴾ [البقرة: ١٩٥] والمهاجرين والأنصار واَتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضْوَانُهُ وَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة: ١٠٠].

فلا خروج لنا من هذه الاختلافات الواقعة اليوم وتعدد الجماعات إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بمنهج السلف الصالح في العقيدة والدعوة والسلوك وهو المنهج الذي كانت تسير عليه هذه البلاد - بحمد الله - من ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها إلى الآن. ونرجو الله أن يستمر هذا الخير. ولن يستمر إلا إذا حفظناه من الدخيل وعمقناه في نفوس شبابنا وحذرناهم من التيارات المضادة له أي خير في تلك الجماعات المختلفة المتصارعة المختلطة من كل

جاهل ومبتدع وقبورى وصوفى ومعتزلى لا تقىم للعقيدة وزنا ولا تنتمى لمذهب السلف وإنما تركز فى دعواتها على جوانب جانبية كل يهدف من ورائها على مطامع وأهداف مشبوهة . ولذلك تفرقوا واختلفوا فهم بحاجة الى دعوة ولن يجمعهم الا الرجوع لكتاب الله وسنة نبيه والتمسك بمنهج السلف وأن يكونوا جماعة واحدة على مثل ما كان عليه لنبي ﷺ وأصحابه . وفق الله المسلمين للتمسك بكتابه وهدي نبيه . فان خير الحديث كتاب الله . . الخ .

الفهرس

٠٠٣	المقدمة
٠٠٥	في التذكير بنعمة الإسلام والتحذير من المبادئ الهدامة
٠١١	في الأخوة الإيمانية وثمراتها
٠١٨	في البراءة من الكُفَّار
٠٢٧	الحث على العمل بالكتاب والسنة، والتحذير مما سواهما
٠٣١	في الدعاء وفوائده
٠٣٨	في بيان ضوابط العبادة الصحيحة
٠٤٥	في التحذير من البدع
٠٥٢	في النهي عن الابتداع في شهر رجب وغيره
٠٥٨	في الاستجابة لله ولرسوله
٠٦٥	في الحث على تعلُّم العلم النافع
٠٧٣	في جهاد النفس والشيطان
٠٨١	في الحسنه والسيئة
٠٨٧	في الحث على العمل الصالح
٠٩٣	خصال من الإيمان
٠٩٩	في خُلُق الحياء وفوائده
١٠٤	في الإنفاق في سبيل الله وإخلاص النية في ذلك
١١٣	في الحث على إخراج زكاة الحبوب والثمار
١٢٠	ظاهرة التأخر في الحضور لصلاة الجمعة والجماعة
١٢٧	في خصال الفطرة
١٣٣	الطهارة للصلاة
١٣٨	شروط الصلاة

١٤٥	في بيان أركان الصلاة وواجباتها وسننها
١٥٣	في بيان ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة
١٦١	في بيان أحكام صلاة الجماعة
١٦٩	في بيان صلاة أهل الأعذار
١٧٦	في أحكام صلاة الجمعة
١٨٢	في الذكر بعد الصلاة (وسنن الرواتب مع الفرائض)
١٨٨	في فضل صلاة التطوع
١٩٤	(من الخطبة الثانية: في بيان الأوقات التي يُنهي عن الصلاة فيها)
١٩٥	في أحكام الجنائز
٢٠٣	خطبة الاستسقاء
٢٠٨	عيد الفطر المبارك
٢١٦	عيد النحر
٢٢٤	استقبال شهر رمضان المبارك
	في آخر جمعة من شعبان: بيان ما يثبت به دخول شهر رمضان
٢٣٠	المبارك وخروجه
٢٣٥	بعض أحكام الصيام
٢٤٠	في الحث على تعلّم القرآن وتلاوته في العمل به
٢٤٦	في الزكاة وأحكامها
٢٥٤	في الحث على الاجتهاد في العشر الأواخر
٢٦٠	في بيان ما يُشرع في ختام الشهر
٢٦٧	فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان
٢٧٣	أشهر الحجّ وفضائلها
٢٧٨	في فضل شهر ذي الحجة
٢٨٣	في بيان عظمة البيت الحرام
٢٩٠	في بيان مزايا الحجّ وشروطه ووجوبه
٢٩٤	في الاستعداد للحجّ

٣٠٠	بيان صفة الحج
٣٠٥	توحيد العبادة من خلال مناسك الحج
٣١١	في مشروعية الهجرة وأنواعها بمناسبة بداية العام الهجري
٣١٧	في تحريم الضرر والضرار
٣٢٥	في معنى قوله ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَ بَيْنٌ»
٣٣٠	في بيان الربا وحكمه
٣٣٧	تتمة الكلام في موضوع الربا
٣٤٣	في تحريم أذية المسلمين في مرافقهم
٣٤٩	بمناسبة تأخر نزول المطر
٣٥٥	التذكير بما حصل في بعض البلاد من حوادث الفيضانات
٣٦٢	في الحث على الزواج وتسهيله
٣٦٩	في أحوال الإنسان في هذه الدنيا
٣٧٦	في الدين الحق
٣٨١	بمناسبة ظهور مرض الايدز
٣٨٤	تأملات في سورة العصر
٣٨٩	في النهي عن تغيير العبادات عن وضعها الشرعي